نقد العلم والعلماء

أو

تلبيس إبليس

للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى

« عنى بنشره للمرة الأولى »

محمد أمين الخانجى و محمد منير الدمشقى

سنة ١٣٤٠ هـ

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

نقد العلم والعلماء

أو

تلبيس إبليس

للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى

« عنى بنشره للمرة الأولى »

محمد أمين الخانجى و محمد منير الدمشقى

سنة ١٣٤٠ هـ

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سلم ميزان العدل الى أكف ذوى الالباب * وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب * وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب * وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب (١) * أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الاسباب * وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص فى نيته غير مرتاب * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وقد سدل الكفر على وجه الايمان الحجاب * فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب * وبين للناس ما نزل اليهم وأوضح مشكلات الكتاب * وتركهم على المحجة البيضاء لاسرب فيها (٢) ولا سراب * فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الاصحاب * وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الحشر والحساب * وسلم تسليما كثيراً

أما بعد فان أعظم النعم على الانسان العقل ، لأنه الآلة فى معرفة الاله سبحانه والسبب الذى يتوصل به الى تصديق الرسل . الا أنه لما لم ينهض بكل

---

(١) عاب عيباً فهو عائب والاسم عاب كما هنا

(٢) السرب بفتحتين الوكر والسراب الذى تراه نصف النهار كأنه ماء ولا ماء يشير المصنف الى ما رواه ابن ماجه فى سننه عن أبى الدرداء مطولا من قوله صلى الله عليه وسلم وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء

المراد من العبد، بعثت الرسل وأنزلت الكتب . فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين فاذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس . ولما ثبت عندالعقل أقوال الانبياء الصادقة ، بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم اليهم ، واعتمد فيما يخفى عنه عليهم .

ولما أنعم الله على هذا العالم الانسي بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم عليه السلام. فكان يعلمهم عن وحي الله عز وجل فكانوا على الصواب الى أن انفرد قابيل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الاهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضلال حتى عبدوا الاصنام واختلفوا فى العقائد والافعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم، وميلا الى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم، فصدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين

﴿ فصل ﴾ واعلم أن الانبياء جاؤا بالبيان الكافي ، وقابلوا الامراض بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف . فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً ، وبالدواء سماً ، وبالسبيل الواضح جرداء (١) مضلا . وما زال يلعب بالعقول الى أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبدون الاصنام فى البيت الحرام ، ويحرمون السائبة (٢) والبحيرة والوصيلة والحام ، ويرون وأد البنات ، ويمنعوهن الميراث ، الى غير ذلك من الضلال الذي سوله لهم ابليس (٣) فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه

---

(١) يقال مكان جرد أى لا نبات فيه

(٢) هى الناقة المنذورة تسيب فترعى حيث شاءت فلا يمسها أحد بسوء. والبحيرة بنتها تبحر أذنها أى تشقق وتخلى مع أمها. والوصيلة هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين أى اثنين فان ولدت فى الثامنة جدياً ذبحوه لآلهتهم وان ولدت جدياً وعناقاً قالوا وصلت أخاها فلا يذبحونه من أجلها ولا تشرب لبنها النساء وكان للرجال وجرت مجرى السائبة . والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضاه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل .

(٣) اعلم أن الشرع جاء هادماً لهذه العادات القبيحة محذراً من

وسلم . فرفع المقابح ، وشرع المصالح . فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره . فلما انسلخ نهار وجودهم . أقبلت أغباش الظلمات ، فعادت الاهواء تنشئ بدعا ، وتضيق سبيلا مازال متسعا ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً ، ونهض ابليس يلبس ويزخرف ، ويفرق ويؤلف . وانما يصح له التلصص فى ليل الجهل فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح

فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده . فان فى تعريف الشر تحذيرا عن الوقوع فيه * ففي الصحيحين من حديث حذيفة قال : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر . مخافة

كل سوء . ناهياً عن كل شرك ، محبباً في كل جميل ، فاعتنقه الكثير ودخله الناس أزواجاً وأفذاذاً وانتشر في جميع الارض في أقرب وقت انتشاراً لم يعهد له نظير من قبل ومن بعد . واستمر على ذلك والناس تعتنقه طوعاً لا كرهاً الى أن دخل فيه أفراد من اليهود والمجوس وانتسبوا اليه ظاهراً وهم في الواقع يعملون على هدمه وتقويض دعائمه . فأخذوا يوقدون نار الفتنة بين أهله ويدخلون فيه أشياء من التى كان ينهى عنها يحسنونها لعامة الناس حتى شوهوا معالمه واتخذها من جاء بعدهم ممن لا يميزون بين الصحيح والسقيم والحق والباطل ديناً يتقربون بها الى ربهم والله تعالى أعز شأناً من أن يتعبد الناس بمثل هذه الخرافات . ومن ذلك نذر الغنم والبقر وغيرها للاولياء يتركونها ترعى حيث شاءت لا يمسها أحد بسوء ظنا منه بل اعتقاداً أنها محسوبة لذلك الولى مكلوءة بعينه أنى ذهبت . فلو منعها من زرعه لانتقم منه ذلك الولى بما شاء وهذا بعينه ما كان عليه أهل الجاهلية الاولى قال الله تعالى : « ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون » . اللهم وفق علمائنا وأمرائنا الى رد هذه العقائد الفاسدة التى شوهت وجه الدين وجعلت عليه غشاء من ظلماتها حجبت نوره الساطع الذى هو هدى ورحمة وبشرى لقوم يؤمنون

أن يدركني * وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن على البزاز قال أخبرنا أحمد ابن على الطريثيثي قال أخبرنا هبة الله بن حسن الطبرى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن اسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : والله ما أظن على ظهر الارض اليوم أحداً أحب الى الشيطان هلاكا منى . فقيل وكيف . فقال : والله انه ليحدث البدعة فى مشرق أو مغرب فيحملها الرجل الىّ فاذا انتهت الىّ قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها

﴿ فصل ﴾ وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنه ، ومخوفاً من محنه ، وكاشفا عن مستوره ، وفاضحاً له فى خفى غروره . والله المعين بجوده ، كل صادق فى مقصوده

وقد قسمته ثلاثة عشر بابا ينكشف بمجموعها تلبيسه ، وتبين للفطن بفهمها تدليسه ، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه ابليسه . والله موفقى فيما قصدت ، وملهمى للصواب فيما أردت .

﴿ ذكر تراجم الابواب ﴾

﴿ الباب الأول ﴾

الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي عن ابن اسحاق نا ابن المبارك ثنا محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . خطب بالجابية فقال : قام فينا رسول الله عليه وسلم فقال من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد * أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة . قال: خطب عمر الناس بالجابية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في مثل مقامي هذا ، فقال من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد . قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيي بن علي المديني نا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ثنا أبو محمد بن صاعد ثنا سعيد بن يحيي الاموي ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد * حدثنا عبد الاول بن عيسى نا أبو القصار بن يحيي ثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن اسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عمر . قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد * أخبرنا عبد الاول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي نا عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا ابن صاعد ثنا ابراهيم بن سعد الجوهري ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مرادنيه عن زياد ابن علاقة عن عرفجة. قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة * أخبرنا محمد بن عمر الارموي والحسين بن على المقرى نا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الدارقطنى ثنا أبو جعفر أحمد بن اسحاق بن البهلول حدثنى أبي ثنا محمد بن يعلى ثنا سليمان العامرى عن الشيبانى عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :يد الله على الجماعة ، فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى أنبأنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله . قال :خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده . ثم قال هذا سبيل الله مستقيما .قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه . ثم قرأ «وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل» * وبالاسناد قال احمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية. فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد * حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبي البحترى بن عبيد بن سليمان عن أبيه عن أبى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم. أنه قال : اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة . فعليكم بالجماعة فان الله عزوجل لم يجمع أمتى الاعلى الهدى

أخبرنا عبدالملك بن أبى القاسم الكروخي قال أخبرنا أبوعامر الازدى وأبو بكر الغورجي قالا أخبرنا الجراحي قال أخبرنا المحبوبي ثنا الترمذى ثنا

محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الافريقى عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمر . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليأتين على أمتى كما أتى على بنى اسرائيل ، حذو النعل بالنعل حتى أن كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك . وان بنى اسرائيل تفرقت (١) على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار الا ملة واحدة . قالوا : من هى يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى . قال الترمذى هـذا حديث حسن غريب لا يعرف الا من هـذا الوجه * وروى أبوداود فى سننه من حديث معاوية بن أبى سفيان . أنه قام فقال : ألا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : ألا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وأن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون فى النار وواحـدة فى الجنة وهى الجماعة وأنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه

أخبرنا أبو البركات بن على بن البزاز نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله ابن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسى نا يوسف بن يعقوب بن اسحاق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله . قال : الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب . قال : عليكم بالسبيل والسنة فانه ليس من عبد على سبيل وسـنة ، ذكر الرحمن ففاضت عيناه من

(١) قال أبو منصور البغدادى للحديث الوارد فى افتراق الامة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك وأبى هريرة وأبى الدرداء وجابر وأبى سعيد الخدرى وأبى بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبى أمامة وغيرهم

خشية الله فتمسه النار . وان اقتصاداً في سبيل وسنة ، خير من اجتهاد في أخلاف * أخبرنا سعد الله بن علي نا الطريثيثي نا هبـة الله بن الحسين نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد بن أحمد الشرقي ثنا عثمان بن أيوب نا اسحاق بن ابراهيم المروزي . قال ثنا أبو اسحاق الاقرع قال سمعت الحسن بن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال: النظر الى الرجل من أهل السنة يدعو الى السنة وينهى عن البدعة ــ عبادة * أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الاصبهاني ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي قال أنبأنا سفيان بن عيينة . قال: سمعت عاصما الأحول يحدث عن أبي العالية . قال : عليكم بالأمر الاول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا ــ قال عاصم فحدثت به الحسن . فقال: قد نصحك والله وصدقك * أخبرنا محمد بن عبـد الباقي نا أحمد بن أحمد قال نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية ابن عمرو نا أبو اسحق الفزاري ، قال قال الأوزاعي : اصبر نفسك على السنة ؛ وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ؛ وكف عما كفوا عنـه ؛ واسلك سبيل سلفك الصالح ؛ فانه يسعك ما وسعهـم * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبـد الله الحافظ أنبأنا محمد بن عبد الله بن أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروي ثنا عبد الله بن عروة . قال : سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعي . قال : رأيت رب العزة في المنام . فقال لي يا عبـد الرحمن ؟ أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . فقلت : بفضلك يارب . وقلت يارب أمتني على الاسلام . فقال : وعلى السنة * أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا ابراهيم ابن عبد الله ثنا محمد بن اسحق . سمعت أبا همام السكوني يقول : حدثني أبي قال سمعت سفيان يقول : لا يقبل قول الا بعمل ولا يستقيم قول وعمل الا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية الا بموافقة السنة * أخبرنا محمد نا أحمد

نا أبو نعيم أنبأنا محمد بن على ثنا عمرو بن عبدويه ثنا احمد بن اسحق ثنا عبد الرحمن بن عفان قال ثنا يوسف بن اسباط . قال قال سفيان : يايوسف اذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام ، واذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة * أخبرنا سعد الله بن على نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى نا محمد بن زياد البلدى ثنا أبو أسامة عن حماد بن زيد قال أيوب : انى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفقد بعض أعضائى * وبه قال الطبرى وأخبرنا الحسين بن أحمد ثنا عبد الله اليزدجردى ثنا عبد الله بن وهب ثنا اسماعيل بن أبي خالد قال ثنا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب . قال قال : ان من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة *

قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون ثنا جعفر بن محمد بن نصير ثنا أحمد ابن محمد بن مسروق ثنا محمد بن هارون أبو نشيط ثنا أبو عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب . قال : ان من نعمة الله على الشاب اذا نسك ، أن يواخى صاحب سنة يحمله عليها * قال الطبرى واخبرنا عيسى بن على ثنا البغوي ثنا محمد بن هارون ثنا سعيد بن شبيب . قال : سمعت يوسف بن أسباط . يقول : كان أبى قدرياً وأخو الى روافض فأنقذنى الله بسفيان * قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص نا عبد الله بن عدى ثنى أحمد بن العباس الهاشمى ثنا محمد بن عبد الاعلى . قال : سمعت معتمر بن سليمان يقول : دخلت على أبى وأنا منكسر فقال لى مالك قلت مات صديق لى فقال مات على السنة قلت نعم قال تحزن عليه * قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن زهير ثنا يعقوب بن كعب ثنا عبدة ثنا عبد الله ابن المبارك عن سفيان الثورى . قال : استوصوا بأهل السنة خيراً ، فانهم غرباء * أخبرنا أبو منصور بن حيرون نا اسماعيل ابن أبى الفضل الاسماعيلى نا حمزة

ابن يوسف السهمي نا عبد الله بن علي الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر بن عبد الواحد . قال . قال لنا ابن أبي بكر بن عياش : السنة في الاسلام ، أعز من الاسلام في سائر الأديان

سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي المقرى يقول سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندراني يقول سمعت أبا منصور محمد الازدي يقول سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول سمعت أحمد بن منصور يقول سمعت الحسن بن محمد الطبري يقول سمعت محمد بن المغيرة يقول سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول سمعت الشافعي يقول :اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد نا أبو نعيم أخبرني جعفر الخلدي في كتابه . قال سمعت الجنيد يقول : الطرق كلها مسدودة على الخلق . الا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته ، فان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه * أخبرنا عمر بن طفر نا جعفر بن محمد نا عبد العزيز بن علي الازجي نا علي بن عبد الله بن جهضم نا محمد بن حابان . قال : سمعت حامد بن ابراهيم يقول قال الجنيد بن محمد : الطريق الى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى . الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لسنته . كما قال الله عز وجل : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » .

﴿ الباب الثاني ﴾

في ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني قال أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال أخبرني أبي ثنا يزيد عن ابراهيم بن سعد أخبرني أبي وأخبرنا أبو غالب محمد ابن الحسن الماوردي وأبو سعد البغدادي قالا نا المطهر بن عبد الواحد نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان نا محمد بن ابراهيم الحروزي ثنا لوين ثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحدث في أمرنا ماليس فيه فهو رد اخبرنا موهوب بن احمد نا علي بن احمد البسري ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوي ثنا احمد بن ابراهيم الموصلي واسحاق بن ابراهيم المروزي قالا ثنا ابراهيم بن سعد عن ابيه عن القاسم بن محمد عن عائشة. قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد * قال البغوي وحدثنا عبد الاعلى بن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن ابي عون عن سعد بن ابراهيم عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها. ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: من فعل أمرا ليس عليه أمرنا فهو رد ـ أخرجاه في الصحيحين * اخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا ابو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثني ابي ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبي عن مجاهد عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم. أنه قال: من رغب عن سنتي فليس مني ـ انفرد باخراجه البخاري * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي

وحجر بن حجر . قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه » . فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين . فقال عرباض : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا . فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا ، فانه من يعش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة — قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح * اخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن احمد ثني ابي ثنا عبدالله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن ابي وائل وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دوني . فأقول يارب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك — أخرجاه في الصحيحين * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن محمد نا أبو نعيم ثنا أحمد بن اسحاق ثنا عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحيي ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيي بن أبي عمرو الشيباني عن عبدالله بن محرز قال : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة * أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا عمر ابن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال حدثني أبو عبدالله يعني أحمد بن حنبل ثنا عبدالرزاق ثنا معمر . قال : كان طاوس جالساً وعنده ابنه . فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس أصبعيه في أذنيه . وقال : يا بني أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فان هذا القلب ضعيف . ثم قال : أي بني أسدد — فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر * قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن على الضبي . قال : كان رجل معنا يختلف الى ابراهيم . فبلغ ابراهيم أنه قد دخل في الارجاء فقال له ابراهيم

اذا قمت من عندنا فلا تعد * قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدائي . قال قلت لسفيان بن عيينة : ان هذا يتكلم في القدر - يعني ابراهيم بن أبي يحيي . فقال سفيان : عرفوا الناس أمره وسلوا الله لي العافية * قال حنبل وحدثنا سعدويه ثنا صالح المري . قال : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح باباً من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن سيرين : إما أن تقوم وإما أن نقوم * أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا أحمد بن احمد نا ابو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا ابو بكر بن راشد ثنا ابراهيم بن سعيد ابن عامر عن سلام بن ابي مطيع . قال : قال رجل من اهل الاهواء لايوب أكلمك بكلمة ؟ قال : لا ولا نصف كلمة * قال ابن راشد وحدثنا ابو سعيد الاشج ثنا يحيي بن يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السختياني قال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً الا ازداد من الله عز وجل بعداً * أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا الطريثيثي نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن علي نا البغوي نا أبو سعيد الاشج نا يحيي بن اليمان قال سمعت سفيان الثوري قال : البدعة أحب الى ابليس من المعصية المعصية يثاب منها والبدعة لا يثاب منها (١) أخبرنا ابن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن علي ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل بن اسماعيل . قال : مات عبد العزيز ابن أبي داود وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثوري . فقال الناس : جاء الثوري - فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون اليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لانه كان يرمي بالارجاء * أخبرنا المبارك بن أحمد الانصاري نا عبد الله بن أحمد السمرقندي نا أحمد بن ثابت نا أحمد ابن روح النهرواني ثنا طلحة بن احمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد بن أبي مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول سمعت شعيب ابن حرب سمعت سفيان الثوري يقول : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه

---

(١) اثاب الرجل وثاب رجع

فقد نقض الاسلام عروة عروة * أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الاصفهاني ثنا اسماعيل بن احمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريري . قال : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديداً فقيل له ما يبكيك؟ أتجزع من الموت. قال: لا ولكني مررت على قدري فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيي بن علي قالا أخبرنا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البايع ثنى أبي ثنا محمد بن بكر . قال سمعت فضيل بن عياض يقول : من جلس الى صاحب بدعة فاحذروه * اخبرنا ابن عبد الباقي نا احمد بن أحمد نا ابو نعيم ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن النضر ثنا عبد الصمد بن يزيد . قال سمعت فضيل بن عياض يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الاسلام من قلبه * أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن علي ثنا أبو يعلى ثنا عبد الصمد . قال سمعت الفضيل يقول : اذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة الى الله عز وجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام * وسمعت رجلا يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . فقال له الفضيل: من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، واذا علم الله عز وجل من رجل انه مبغض لصاحب بدعة رجوت ان يغفر الله له سيآته

قال المصنف وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعاً وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام * وقال محمد بن النضر الحارثي : من اصغى بسمعه الى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل الى نفسه * وقال ابراهيم سمعت اباجعفر محمد بن عبد الله القابني يقول سمعت علي بن عيسى يقول سمعت محمد بن اسحاق يقول سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول : قال صاحبنا — يعني الليث بن سعد لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته . فقال الشافعي : اما أنه قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته * وعن بشر بن الحارث أنه قال

جاء موت هذا الذي يقال له المريسي(١) وانا في السوق فلولا ان الموضع ليس موضع سجود لسجدت ـ شكرا الحمد الله الذي اماته . هكذا قولوا :

قال المصنف حدثت عن أبي بكر الخلال عن المروزي عن محمد بن سهل البخاري قال كنا عند الفريابي فجعل يذكر اهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان اعجب الينا فغضب وقال كلامي في اهل البدع احب اليّ من عبادة ستين سنة

(فصل)فان قال قائل قد مدحت السنة وذممت البدعة فما السنة وما البدعة فانا نرى أن كل مبتدع في زعمنا يزعم أنه من أهل السنة(٢) (فالجواب)(٣) أن السنة في اللغة الطريق ولا ريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار

---

(١) (المريسي)هو ابو عبد الرحمن بشر بن غياث قال ابن خلكان في ترجمته اشتغل بالكلام وجدد القول بخلق القرآن وحكي عنه في ذلك اقوال شنيعة وكان مرجئا واليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة وكان يقول ان السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة عليه والمريسي بفتح الميم وكسر الراء نسبة الى مريس قيل قرية بمصر وقيل جنس من السودان وقال بعض المحققين ان المريسي كان يسكن في بغداد بدرب المريس فنسب اليه انتهى ببعض تصرف ومعنى كلام بشر بن الحارث ان الخبر بموت المريسي اتاه وهو في السوق فلو لم يكن في السوق لسجد شكر الله تعالى على موته والسوق غير موضع سجود لورود النهي عن الصلاة في الاسواق والسجود بعض الصلاة وهذه عادة السلف الصالح رضي الله عنهم

(٢) في الاصل: «فلولا أنه كان في موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود الحمد لله» . الخ وما صححناه فمن لسان الميزان

(٣)اعلم انه لم يقع خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لوجود نور النبوة بين ظهرانيهم وتأثير المواعظ الحسنة فيهم والحكم البالغة من النبي صلى الله عليه وسلم فلما توفاه الله وقع الخلاف بينهم فأول خلاف كان في موته صلى الله عليه وسلم فزعم قوم أنه لم يمت بل رفعه الله اليه والثاني في دفنه عليه الصلاة والسلام فأراد أهل مكة رده الى مكة وأهل

رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث . وانما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

والبدعة عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والاغلب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان . فان ابتدع شىء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وان كان جائزا حفظا للاصل وهو الاتباع * وقد قال زيد بن ثابت لابى بكر وعمر رضى الله عنهما . حين قالا له اجمع القرآن كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأخبرنا محمد بن على بن أبى عمر قال أخبرنا على بن الحسين نا ابن شاذان نا أبو سهل نا أحمد البرتى ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن ابن عجلان عن عبد الله بن أبى سلمة . أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول : لبيك ذا المعارج . فقال : ما كنا نقول هذا

المدينة دفنه بها . وفى الامامة فأذعنت الانصار لسعد بالبيعة وقريش قالت ان الامامة لا تكون الا فى قريش . وفي فدك (قرية بخيبر) . وتوريث الكلالة ومانعى الزكاة وهكذا وقد أزال هذا الخلاف كله أبو بكر الصديق رضي الله عنه بحجته القوية وعزمه المتين وبرهانه الساطع ولم تؤثر هذه الاختلافات فى الهيئة الاجتماعية والقوة الرابطة لجمعهم واتحادهم الا أنها فتحت باباً ولجه المبتدعون والزنادقة وأدخلوا الشكوك على بعض الافراد وسنوا طرقاً مضلة وزخرفوها بأقاويل كاذبة وحجج واهية ودعوا الناس اليها فقيض لهم المولى جل وعز رجالا من أهل الحديث والسنة يدحضون حججهم ويبينون للناس عقائدهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة وينصحون من تبعهم بأدلة قاطعة من الكتاب والسنة وهم الطائفة التى أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تزال قائمة بأمر الله الحديث ولم تزل قائمة كذلك الى زمننا هذا الا أنهم قليلون اللهم وفقنا للعمل بالكتاب والسنة واجعلهما حجة لنا يا أرحم الراحمين

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأخبرنا محمد بن أبي القاسم باسناد يرفعه الى أبي البحتري . قال : أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا . قال عبد الله : فاذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء - وكان رجلا حديدا . فقال: أنا عبد الله بن مسعود والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما ولقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما . فقال عمرو بن عتبة : أستغفر الله . فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالا بعيدا * أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر عن أبي محمد الجوهري عن أبي عمر بن أبي حياة ثنا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبد الله الانصاري ثنا ابن عوف . قال كنا عند ابراهيم النخعي فجاء رجل فقال : يا أباعمران ادع الله أن يشفيني فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك في وجهه * وذكر ابراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه . وقال فيه * أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد ابن ابرهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول سمعت ذنون - وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس . فقال : أنا لا أتكلم في شئ من هذا فان هذا محدث سلوني عن شيء من الصلاة أو الحديث . ورأى ذنون عليّ خفا أحمرا . فقال : انزع هذا يا بني فانه شهرة ما لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما لبس خفين أسودين ساذجين

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وان لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا مالم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأسا كما روى أن الناس كانوا يصلون في رمضان وحدانا وكان الرجل يصلي فيصلي بصلاته الجماعة فجمعهم

عمر بن الخطاب على أبي بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرآهم قال : نعمت البدعة هذه ـ لأن صلاة الجماعة مشروعة * وانما قال الحسن فى القصص : نعمت البدعة ، كم من أخ يستفاد ، ودعوة مستجابة . لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث الى أصل مشروع لم يذم * فأما اذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة . وان كانت مضادة فهى أعظم . فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم . ولم يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبى ثنا يعلى بن عبيد ثنا اسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون ـ فى الصحيحين * أخبرنا هبة الله الحسن بن على نا ابن ملك ثنا عبدالله ابن أحمد ثني أبى قال ثنا يوسف ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك انفرد به مسلم * وقد روى هـذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم معاوية وجابر بن عبـد الله وقرة أخبرنا الكروخى نا النورجى والأزدى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى قال قال محمد بن اسماعيل قال على بن المدينى: هم أصحاب الحديث

﴿ فصل ﴾ فى بيان انقسام أهل البدع اخبرنا عبد الملك الكروخى نا أبوعامر الأزدى وأبوبكر النورجي قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنـه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تفرقت اليهود على احـدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك

وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ـ قال الترمذى هذا حديث صحيح

قال المصنف وقد ذكرنا هذا الحديث فى الباب الذى قبله وفيه كلهم فى النار الا ملة واحـدة قالوا من هى يارسول الله قال ما أنا عليـه وأصحابى * أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبـد الله بن أحمد قال ثنى أبى ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن زيد عن سعيد بن أبى هلال عن أنس بن مالك رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان بنى اسرائيل تفرقت احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وان أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة يهلك احدى وسبعون وتخلص فرقة . قالوا يا رسول الله : ما تلك الفرقة . قال الجماعة قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله فان قيل وهل هـذه الفرق معروفة فالجواب إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق (١) وان كل طائفة من الفرق قد انقسمت الى فرق وان لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها وقـد ظهر لنا من أصول الفرق

(١) اعلم ان العلماء اختلفوا فى أصول هذه الفرق وتعيينها على أقوال . الاول ان أصولها أربعة : وهى الخوارج والقدرية والروافض والمرجئة ثم تشعبت كل فرقة الى ثمانى عشرة فرقة والثالثة والسبعون الناجية : الثانى أنها ثمانية المعتزلة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة والشيعة والناجية فافترقت المعتزلة الى عشرين فرقة والخوارج الى عشرين ايضا والمرجئة الى خمس والنجارية الى ثلاث والجبرية واحـدة وكذلك المشبهة والشيعة الى ثنتين وعشرين فرقة : والقول الثالث ماذهب اليه المصنف من انها ست ومن أراد تفاصيل ذلك فعليه بالاعتصام والمواقف . وهذا التقسيم بحسب الظن والتكلف فى مطابقة ماذكر للحديث الصحيح اذ ليس هنالك دليل شرعى يفيد ذلك ولا دل العقل على انحصار ما ذكر فى ذلك العدد من غير زيادة ولا نقصان وبذلك تعلم مافى كلام المصنف من المخالفة لغيره فى عد الفرق وتسميتها باسماء لم توجد فى كتاب

الحرورية (١) والقدرية . والجهمية . والمرجئة . والرافضة . والجبرية وقد قال بعض أهل العلم أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست . وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتى عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة

(وانقسمت الحرورية) اثنتى عشرة فرقة فأولهم (الأزرقية ٢) قالوا : لا نعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة الا من دان بقولهم (والأباضية ٣) قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ومن أعرض عنه فهو منافق (والثعلبية ٤) قالوا : ان الله لم يقض ولم يقدّر . (والحازمية ٥) قالوا : ماندرى ما الايمان والخلق كلهم معذورون . (والخلفية ٦) زعموا : أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر . (والمكرمية ٧) قالوا : ليس لأحد أن يمس أحداً لانه لا يعرف الطاهر من النجس ولا أن يواكله حتى يتوب ويغتسل . (والكنزية) قالوا : لا ينبغى لاحد أن يعطى ماله أحدا لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه فى الأرض حتى يظهر أهل الحق (والشمراخية)قالوا: لا بأس بمس النساء الاجانب لأنهن رياحين (والاخنسية ٨) قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر. (والمحكمية): قالوا ان من حاكم الى مخلوق فهو كافر و(المعتزلة من الحرورية)قالوا : اشتبه علينا أمر على ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين (والميمونية ٩) قالوا

---

(١) هم الذين خرجوا على على وانحازوا الى حروراءوهم يومئذ اثنا عشر ألفاً وعبد الله بن كوا حينئذ زعيمهم

(٢) نسبة الى أبى راشد نافع بن الأزرق ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد شوكة منهم وبدعهم ثمانية (٣) نسبة الى عبد الله ابن أباض (٤) نسبة الى ثعلبة بن مشكان (٥) وهم أصحاب حازم بن على (٦) وهم أصحاب خلف الخارجى الذى قاتل حمزة الخارجى (٧) هم أتباع مكرم بن عبد الله العجلى ويقول تارك الصلاة كافر لا من أجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى وطرد هذا فى كل كبيرة يرتكبها الانسان (٨) أتباع رجل منهم كان يعرف بالاخنس (٩) وهم أتباع ميمون بن خالد يجيزون نكاح

لا امام الا برضى أهل محبتنا

(وانقسمت القدرية) اثنتي عشرة فرقة (الاحمرية) : وهى التى زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم (والثنوية) وهي التى زعمت أن الخير من الله والشر من ابليس (والمعتزلة) هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية (والكيسانية ١) هم الذين قالوا لاندرى هذه الافعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون (والشيطانية ٢) قالوا ان الله لم يخلق شيطاناً (والشريكية) قالوا ان السيئات كلها مقدرة الا الكفر (والوهمية) قالوا ليس لافعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات (والراوندية) قالوا كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً (والبترية٣) زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته (والناكثية) زعموا أن من نكث بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اثم عليه (والقاسطية) فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها (والنظامية) تبعوا ابراهيم النظام فى قوله من زعم ان الله شيء فهو كافر

(وانقسمت الجهمية ٤)اثنتى عشرة فرقة (المعطلة) زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الانسان فهو مخلوق ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر (والمريسية ٥) قالوا أكثر صفات الله مخلوقة (والملتزقة) جعلوا البارى سبحانه وتعالى فى كل مكان (والواردية) قالوا لايدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً (والزنادقة) قالوا ليس لاحد أن يثبت لنفسه رباً لان الاثبات لايكون الا بعد ادراك الحواس ومايدرك فليس باله ومالايدرك لايثبت (والحرقية)

بنات البنات وبنات أولاد الاخوة (١) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقيل تلميذ لابن الحنفية (٢) هم أتباع محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطاق (٣) هم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حى وكثير المنو الملقب بالابتر (٤) هم أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم المازنى بمرو (٥) وهم أتباع بشر المريسي

زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقا أبداً لايجد حر النار (والمخلوقية) زعموا أن القرآن مخلوق (والفانية) زعموا أن الجنة والنار تفنيان ومنهم من قال أنهما لم يخلقا (والمقبرية ١) جحدوا الرسل فقالوا انما هم حكام (والواقفية) قالوا لانقول أن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق (والقبرية) ينكرون عذاب القبر والشفاعة (واللفظية) قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق

(وانقسمت المرجئة) اثنتى عشرة فرقة (التاركية) قالوا ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الايمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ماشاء (والسايبية) قالوا ان الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاؤا (والراجية) قالوا لانسمي الطائع طائعاً ولا العاصي عاصياً لانا لاندرى ماله عند الله (والشاكية) قالوا ن الطاعات ليست من الايمان (والبيهسية ٢) قالوا الايمان علم ومن لايعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر (والمنقوصية) قالوا الايمان لايزيد ولاينقص (والمستثنية) نفوا الاستثناء فى الايمان (والمشبهة) يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى (والحشوية) جعلوا حكم الاحاديث كلها واحد فعندهم ان تارك النفل كتارك الفرض (والظاهرية ٣) وهم الذين نفوا القياس (والبدعية) أول من ابتدع الاحداث فى هذه الامة

(وانقسمت الرافضة) اثنتى عشرة فرقة (العلوية) قالوا ان الرسالة كانت الى على وان جبريل أخطأ (والأمرية) قالوا ان علياً شريك محمد صلى الله عليه وسلم فى أمره (والشيعية) قالوا ان علياً رضى الله عنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليه من بعده وان الامة كفرت بمبايعة غيره (والاسحاقية) قالوا ان النبوة متصلة الى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل

---

(١) وفي نسخة المبدية (٢) نسبة الى بيهس بن الهيصم (٣) أصحاب الامام المجتهد داود بن على الظاهرى ولد بالكوفة سنة مائتين ونشأ ببغداد وتوفى بها سنة سبعين ومائتين وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ولعل عدهذه من المرجئة سبق قلم حمانا الله من الزلل

البيت فهو نبي (والناووسية) قالوا ان علياً أفضل الامة فمن فضل غيره عليه فقد كفر (والامامية) قالوا لايمكن أن تكون الدنيا بغير امام من ولد الحسين وان الامام يعلمه جبرائيل فاذا مات بدل مكانه مثله . (والزيدية) قالوا ان ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم . (والعباسية) زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره . والمتناسخة قالوا ان الارواح تتناسخ فمن كان محسناخرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه ومن كان مسيئاًدخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه . (والرجعية) زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون الى الدنيا وينتقمون من أعدائهم. (واللاعنية) الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأباموسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم . (والمتربصة)تشبهوا بزى النساك ونصبوا فى كل عصر رجلا ينسبون الامر اليه يزعمون أنه مهدى هذه الامة فاذامات نصبوا رجلا آخر

وانقسمت الجبرية اثنتى عشرة فرقة فمنهم (المضطرية) قالوا لافعل للآدمى بل الله عز وجل يفعل الكل (والافعالية) قالوا لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وانما نحن كالبهائم نقاد بالحبل . (والمفروغية) قالوا كل الاشياء قد خلقت والآن لا يخلق شيء . (والنجارية) (١) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم . (والمتانية) قالوا عليك بما يخطر بقلبك فافعل ماتوسمت به الخير . (والكسبية)قالوا لا يكسب العبد ثواباً ولا عقاباً . (والسابقية) قالوا من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فان السعيد لا تضره ذنوبه والشقى لا ينفعه بره (والحبية) قالوا من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الاركان والقيام بها . (والخوفية) قالوا ان من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لان الحبيب لا يخاف حبيبه . (والفكرية) قالوا ان من ازداد علما سقط عنه بقدر ذلك من العبادة (والخسية) قالوا الدنيا بين العباد سواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم (والمعية)قالوا منا الفعل ولنا الاستطاعة

---

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الرى وحواليها على مذهبه

﴿ الباب الثالث ﴾

(في التحذير من فتن إبليس ومكايده)

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه إعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه . وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب . وخلق الشيطان محرضاله على الاسراف في اجتلابه واجتنابه . فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم . وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى : (لا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) . وقال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقال تعالى : (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً) . وقال :(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) . وقال تعالى : (انه عدو مضل مبين) . وقال :(ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى : (ولا يغرنكم بالله الغرور) . وقال تعالى :(ألم أعهد اليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) وفي القرآن من هذا كثير

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله وينبغي أن تعلم أن ابليس الذي شغله التلبيس أول ما التبس عليه الامر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الاصول فقال خلقتني من نار وخلقته من طين ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم . فقال : (أرأيتك هذا الذي كرمت علي * والمعنى أخبرني لم كرمته علي؛غرر ذلك الاعتراض أن الذي فعلته

ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر فقال أنا خير منه : ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة والعقاب

فتى سول للانسان أمراً فينبغى أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره اياه بالسوء انما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى . وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما لقولك منفذ فلا يبقى الا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل الى بيت الفكر في عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى

أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين بن اسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شامة بن سوار ثنى المغيرة عن مطرف بن الشخير عن عياض بن حماد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان الله تعالى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى في يومى هذا ان كل مال نحلته عبدى فهو له حلال . وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم: وأمرتهم أن لا يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً . وأن الله تعالى نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب * أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا يحيى ابن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حماد * أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته :ان ربى الى آخر الحديث المتقدم أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا أبومعاوية ثنا الاعمش عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجئ أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيأ . قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته . قال فيدنيه منه وقال فيلتزمه ويقول نعم أنت *

وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه يرفعه قال ان ابليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش(١) بينهم قال المصنف: انفرد به البخاري والذي قبله مسلم وفي لفظ حديثه قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب * أنبأنا اسماعيل السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا ابن بشران نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى الحسين بن السكن ثنا المعلى بن أسد ثنى عدى بن أبي عمارة ثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه. قال: ان الشيطان واضع خطمه (٢) على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس. وان نسى التقم قلبه * أخبرنا محمد بن أبي منصور نا عبد القادر نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر ابن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه. قال: ان الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا * قال عبد الله وحدثني على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريري ثنا سويد القناوي عن قتادة رضى الله عنه قال ان لابليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه (٣) أربعين سنة فاذا دخل الغلام في هذا الطريق قال له دونك انما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه

قال سيار وحدثنا جعفر ثنا ثابت البناني رضي الله عنه. قال: بلغنا ان ابليس ظهر ليحيي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء. فقال يحيي: يا ابليس ماهذه المعاليق التي أرى عليك قال: هذه الشهوات التي أصيد بهن ابن آدم. قال: فهل لي فيها من شيء: قال. ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا والله قال لله على أن لا أملأ بطني من طعام

(١) أى يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن (٢) الخطم وزان فلس من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الانف والفم فاستعيد للشيطان
(٣) أى يتركه بدون عمل ليقوى

أبداً . قال ابليس: ولله على أن لا أنصح مسلماً أبداً* قال عبد الله بن احمد ثنا ابى ثنا وكيع ثنا الاعمش عن خيثمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه . قال : اذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال انك ترآى فزدها طولا

أنبأنا اسماعيل السرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على بن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن عيينة . قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم . يقول: كان راهب فى بنى اسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب . فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها ــ ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان أتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى فى قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها. فقال: ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان. فقال: أنا الذى ضربتها وخنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها وأنا الذى أوقعتك في هذا ــ فأطعنى تنج . أسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذى قال عز وجل (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضى الله عنه ان عابدا كان فى بنى اسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه وكان فى زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت وكانت بكرا ليس لهم أخت غيرها. فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها .قال فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى اسرائيل . وكان ثقة فى أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره الى أن يرجعوا(١) من غزاتهم. فأبى ذلك عليهم وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال. فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها فى

---

(١) وفى نسخة يقفلوا

بيت حذاء صومعتي قال فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا ينزل اليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد الى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ماوضع لها من الطعام. قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك. قال: فلم يزل به حتى مشي اليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها. قال: فلبث على هذه الحالة زمانا. ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والاجر وحضه عليه. وقال: لو كنت تمشي اليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لاجرك قال فلم يزل به حتى مشى اليها بالطعام ثم وضعه في بيتها فلبث على ذلك زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير وحضه عليه فقال لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فانها قد استوحشت وحشة شديدة. قال: فلم يزل به حتي حدثها زمانا يطلع اليها من فوق صومعته قال: ثم أتاه ابليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتي تقعد على باب بيتها. قال: فلبث زمانا يتحدثان. ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال: لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريبا من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها. فلم يزل به حتى فعل قال فلبثا زمانا. ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها. وقال له: لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبثا على ذلك حينا. ثم جاءه ابليس فقال: لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لاحد كان أحسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فاذا مضى النهار صعد الى صومعته. قال: ثم أتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتي ضرب العابد علي

فخذها وقبلها . فلم يزل به ابليس يحسنها فى عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاما فجاء ابليس . فقال : أرأيت ان جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم ذلك عليك مخافة أخوتها أن يطلعوا على ماصنعت بها ففعل فقال له أتراها تكتم أخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها . قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد الى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ماشاء الله أن يمكث حتى أقبل أخوتها من الغزو ، فجاؤا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها . وقال : كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا اليه . فأتى اخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا الى أهاليهم . فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان . وقال : لم يصدقكم أمر أختكم انه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله . فانطلقوا فادخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما كما أخبرتكم هنالك جميعاً وأتى الأوسط فى منامه . فقال له : مثل ذلك . ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل أحد منهم . فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى . فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشىء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم : والله لا أمضى حتى آتى الى هذا المكان فأنظر فيه قال : فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم فسألوا عنها العابد فصدق قول ابليس فيما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال

له قد علمت أنى أنا صاحبك الذى فتنتك فى المرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فان أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه. قال: فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه قال ففيه نزلت هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر الى قوله جزاء الظالمين وقد تقدم ذكرها)

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الآجرى ثنا عبد الله بن محمد العطشى ثنا ابراهيم بن الجنيد ثنى محمد بن الحسين ثنا بشر ابن محمد بن أبان ثنى الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشى عن وهب بن منبه رضى الله عنه. قال: كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فأراده ابليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه. فأتاه متشبها بالمسيح. فناداه: أيها الراهب أشرف علىَّ أكلمك. قال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى. فقال: اشرف علىَّ فأنا المسيح فقال ان كنت المسيح فما لى اليك حاجة ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه

أنبأنا اسماعيل بن أحمد نا عاصم ابن الحسن نا على بن محمد بن بشران نا أبو على البردعى ثنا أبو بكر القرشى ثنا أبو عبد الله محمد ابن موسى الحرشى ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمرو بن دينار ثنا سالم بن عبد الله رضى الله عنه عن أبيه قال لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح عليه السلام أخرج ياعدو الله فقال ابليس: خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى الى نوح عليه الصلاة والسلام انه لا حاجة لك الى الثلاث مره يحدثك بالاثنتين فقال بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان الحسد(١)

(١) الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون

والحرص(١) فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيما وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة * قال ولقي ابليس موسى عليه السلام فقال ياموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي الى ربي عز وجل أن يتوب علي فدعا موسى ربه فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حيا أسجد له ميتاً ثم قال ابليس: يا موسى ان لك علي حقاً بما شفعت الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن اذكرني حين تغضب فأنا وحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي * واياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها * قال القرشي وحدثنا أبو حفص الصفار ثنا جعفر بن سليمان ثنا شعبة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال مابعث الله نبياً الا لم يأمن ابليس أن يهلكه بالنساء: قال القرشي وثني القاسم بن هاشم عن ابراهيم بن الأشعث عن فضيل بن عياض: قال حدثني بعض أشياخنا ان ابليس لعنه الله جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجي ربه تعالى فقال له الملك ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجي ربه قال أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة قال القرشي وثنا أحمد بن عبد الاعلى الشيباني ثنا فرج بن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضي الله عنه قال بينما موسى عليه السلام جالس

له دونه والغبط أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه والاول مذموم والثاني محمود وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين

(١) والحرص شدة الارادة والشره الى المطلوب وهو نوعان: حرص فاجع وحرص نافع فالاول حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها والثاني حرصه على طاعة الله تعالى

في بعض مجالسه اذ أقبل ابليس وعليه برنس(١) له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك يا موسى : فقال له موسى عليه السلام من أنت قال أنا إبليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رأيته عليك قال به أختطف قلوب بني آدم : قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه . واستكثر عمله . ونسي ذنوبه . وأحذرك ثلاثاً

لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط . فانه ما خلى رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها

ولا تعاهد الله عهداً الا وفيت به فانه ما عاهد الله أحد الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به

ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين إخراجها . ثم ولى وهو يقول يا ويله ثلاثاً علم موسى ما يحذر به بني آدم * قال القرشي وحدثني محمد ابن ادريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال سمعت : أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي * قال القرشي وحدثنا اسحق بن ابراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل بن أخي وهب بن منبه قال سمعت وهباً يقول قال راهب للشيطان وقد بدا له أي اخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدّة (٢) إن العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة * قال القرشي وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت رضي الله عنه قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعل ابليس

---

(١) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أوجبة أوغيرهما وقد شاع الآن استعماله في المغرب

(٢) الحدة مايعتري الانسان من الغضب

لعنه الله يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيجيئون اليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم مالكم لا تصيبون منهم شيئاً فقالوا ماصحبنا قوماً قط مثل هؤلاء فقال رويدا بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا هنالك تصيبون حاجتكم منهم * قال القرشي وأخبرنا أحمد بن جميل المروزي نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى قال : اذا أصبح ابليس بث جنوده في الارض فيقول من أضل مسلماً ألبسته التاج . فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى طلق امرأته قال يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عق قال يوشك أن يبر . ويقول آخر لم أزل بفلان حتي زنى قال أنت . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى شرب الخمر قال . أنت قال ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل فيقول أنت أنت * قال القرشي وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال . كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء اليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضباً لله فلقيه ابليس في صورة انسان فقال ماتريد قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله . قال اذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها قال لأقطعنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم اذا أصبحت عند وسادتك . قال فمن أين لي بذلك قال أنا لك فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً ـ فقام غضباً ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته وقال ما تريد قال أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك الى ذلك من سبيل : فذهب ليقطعها فضرب به الارض وخنقه حتى كاد أن يقتله قال أتدري من أنا أنا الشيطان جئت أول مرة غضبا لله فلم يكن لي عليك سبيل . فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك * قال القرشي وحدثنا بشر بن الوليد الكندي ثنا محمد بن طلحة عن زيد بن مجاهد قال . لابليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء

من أمره . ثم سماهم : فذكر ثبر . والأعور . ومسوط . وداسم . وزكنبور :
فأما ثبر فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية . وأما الاعور فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه. وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر فيذهب الرجل الى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا . وأما داسم فهو الذى يدخل مع الرجل الى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم . وأما زكنبور فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا ابراهيم ابن عبد الله ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبي الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال ماندب الله العباد الى شيء الا اعترض فيه ابليس بأمرين ما يبالى بأيهما ظفر إما غلو فيه وإما تقصير عنه * وبالاسناد قال محمد بن اسحاق وثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل سمعت حياة بن شراحيل يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول . ان ابليس موثق فى الارض السفلى فاذا هو تحرك كان كل شر فى الارض بين اثنين فصاعدا من تحركه * قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله قلت : وفتن الشيطان ومكايده كثيرة وسيأتى فى غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع ان شاء الله تعالى : ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة . فان من يدع الى مايحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فياسرعة انحدارها * ولما ركب الهوى فى هاروت وماروت لم يستمسكا فاذا رأت الملائكة مؤمنا قد مات على الايمان تعجبت من سلامته * وأخبرنا محمد ابن أبي منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى ابن سريج قال ثنا عتبة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول عن عبد العزيز بن رفيع قال : اذا عرج بروح المؤمن الى السماء قالت الملائكة سبحان الله الذى نجى هذا العبد من الشيطان ياويحه كيف نجا .

﴿ ذكر الاعلام بأن مع كل انسان شيطانا ﴾

أخبرنا أبو الحصين الشيباني نا أبو علي المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبي ثنا هرون ثنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاءفرأى ما أصنع فقال مالك ياعائشة أغرت(١) فقلت ومالي لا يغار مثلي على مثلك : فقال أو قدجاءك شيطانك قالت يارسول الله أو معي شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم : انفرد به مسلم ويجيء في لفظ آخر أعانني عليه فأسلم * قال الخطابي عامة الرواة يقولون فأسلم على مذهب الفعل الماضي الاسفيان بن عيينة فانه يقول فاسلم من شره وكان يقول الشيطان لايسلم * قال الشيخ وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان الا أن حديث ابن مسعود كان يرد قول ابن عيينة : وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا يحيي عن سفيان ثنى منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه مامنكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يارسول الله قال واياي ولكن الله عز وجل أعانني عليه فلا يأمرني الا بحق: وفي رواية فلا يأمرني الا بخير: قال الشيخ انفرد به مسلم: واسم أبي الجعد رافع وظاهره إسلام الشياطين ويحتمل القول الآخر

---

(١) وهي الحمية والانفة يقال رجل غيور وامرأة غيور

﴿ بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ﴾

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن احمد ثنى ابي ثنا عبد الرازق ثنا معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية بنت حيي زوج النبي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً فاتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي (١) ليقلبني وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الانصار فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكما انها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يارسول الله قال ان الشيطان (٢) يجرى من بن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً أو قال شيئاً : الحديث فى الصحيحين . قال الخطابى وفى هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الانسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون ويخطر بالقلوب وأن يطلب السلامة من الناس باظهار البراءة من الريب * ويحكى فى هذا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال خاف النبي صلى الله عليه وسلم أن يقع فى قلوبهما شيء من أمر فيكفرا وانما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه

﴿ ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم (٣) ﴾

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان

---

(١) ليقلبنى بفتح الياء أى ليردنى الى منزلى

(٢) ظاهر الحديث ان الله تعالى جعل للشيطان قوة وقدرة على الجرى فى باطن الانسان فى مجارى دمه ويحتمل أنه من قبيل الاستعارة لكثرة اغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الانسان كما لا يفارقه دمه وقيل انه يلقى وسوسته فى مسام لطيفة من البدن فتصل الى القلب

(٣) التعوذ التحصن والاعتصام والالتجاء والمعوذتان عوذتا قارئهما أى عصمتاه من كل سوء

الرجيم) : وعند السحر : فقال (قل أعوذ برب الناس) الى آخر السورة : فاذا أمر بالتحرز من شره فى هذين الأمرين فكيف فى غيرهما * أخبرنا هبة الله ابن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا سيار ثنا جعفر ثنا أبو التياح قال قلت لعبد الرحمن بن خنبش : أدركت النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم قلت كيف صنع صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فقال ان الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهبط اليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل : قال ما أقول . قال قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق الا طارقاً يطرق بخير يارحمن : قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى

أنبأنا اسماعيل بن احمد السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين بن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي حدثنى أبو سلمة المخزومى ثنا ابن أبى فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه * قال القرشى ثنا هناد بن السرى ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه قال ان للشيطان لمة (١) بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق * وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق * فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله فليحمد الله * ومن وجد

---

(١) اللمة الهمة والخطرة تقع فى القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان

الأخرى فليتعوذ من الشيطان * ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية : قال الشيخ رحمه الله وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة ٠ من كل شيطان وهامة ٠ ومن كل عين لامة ٠ ثم يقول هكذا كان أبى ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ اسماعيل واسحاق أخرجاه فى الصحيحين : قال أبو بكر ابن الانبارى الهامة واحد الهوام ويقال هي كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وانما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان * أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا ابراهيم بن عمر البرمكى نا أبو الحسين عبد الله بن ابراهيم الزينبى ثنا محمد بن خلف ثنا عبد الله بن محمد ثنا فضيل بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال قال مطرف نظرت فاذا ابن آدم ملقى بين يدى الله عزوجل وبين ابليس فان شاء أن يعصمه عصمه وان تركه ذهب به ابليس (وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتلميذه ماتصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال أجاهده قال فان عاد قال أجاهده قال فان عاد قال أجاهده . قال هذا يطول أرأيت ان مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ماتصنع قال أكابده وأرده جهدى . قال هذا يطول عليك ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

قال الشيخ : رحمه الله : واعلم أن مثل ابليس مع المتقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام فمر به كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أخساه لم يبرح فالأول مثل المتقي يمر به الشيطان فيكفيه في طرده الذكر : والثاني مثل المخلط لايفارقه الشيطان لمكان تخليطه نعوذ بالله من الشيطان

﴿ الباب الرابع ﴾

فى معنى التلبيس والغرور

قال المصنف : التلبيس اظهار الباطل فى صورة الحق والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردى جيدا : وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك . وإنما يدخل ابليس على الناس بقدر مايمكنه ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم * واعلم أن القلب كالحصن وعلى ذلك الحصن سور وللسور أبواب وفيه ثلم (١) وساكنه العقل والملائكة تتردد الى ذلك الحصن والى جانبه ربض (٢) فيه الهوى والشياطين تختلف الى ذلك الربض من غير مانع والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض . والشياطين لاتزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم . فينبغي للحارس أن يعرف جميع ابواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم وأن لايفتر عن الحراسة لحظة * فان العدو مايفتر . قال رجل للحسن البصرى أينام إبليس قال لونام لوجدنا راحة وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالايمان وفيه مرآة صقيلة يترآى فيها صور كل مايمر به فأول مايفعل الشيطان فى الربض اكثار الدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة وكمال الفكر يرد الدخان وصقل الذكر يجلو المرآة وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن . فيكر عليه الحارس فيخرج وربما دخل فعاث (٣) وربما أقام لغفلة الحارس وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم : يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته . وربما صار

---

(١) الثلم جمع ثلمة كغرفة وغرف وهى الخلل
(٢) الربض بفتحتين المكان الذى يؤوى اليه
(٣) عاث يعيث عيثاً أفسد

كالفقيه فى الشر * قال بعض السلف رأيت الشيطان فقال لي قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم : وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر اليها فيستأسره . وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى الجهل . وأوسطه فى القوة الهوى وأضعفه الغفلة وما دام درع الايمان على المؤمن فان نبل العدو لا يقع فى مقتل * أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو محمد بن حيان ثنا احمد بن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف الجوهرى ثنا أبو غسان النهدى قال سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول : ان الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشر * أنبأنا على ابن عبد الله نا محمد بن محمد النديم نا عمى عبد الواحد بن احمد ثنى أبى احمد ابن الحسين العدل ثنا أبو جعفر محمد بن صالح ثنا حيان بن الفلس الجمانى ثنا حماد بن شعيب عن الاعمش قال حدثنا : رجل كان يكلم الجن قالوا ليس علينا أشد ممن يتبع السنة وأما أصحاب الاهواء فانا نلعب بهم لعباً

« الباب الخامس »

« فى ذكر تلبيسه فى العقائد والديانات »

ذكر تلبيسه على السوفسطائية (١)

قال الشيخ هؤلاء قوم ينسبون الى رجل يقال له سوفسطا : زعموا أن الاشياء

(١) اعلم ان السوفسطائية انقسمت الى ثلاثة مذاهب :
الاول ينكر حقائق الاشياء ويزعم أنها أوهام وهم العنادية والثانى ينكر العلم بثبوت الشئ ولا بعدم ثبوته ولا ينكر نفس الحقائق ولا يثبتها ويزعم أنه

لاحقيقة لها وأن مايستبعده يجوز أن يكون على مانشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده : وقد أورد العلماء عليهم بأن قالوا لهم أقالتكم هذه حقيقة أم لا فان قلتم لا حقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز أن تدعوا الى مالا حقيقة له فكأنكم تقرون بهذا القول أنه لايحل قبول قولكم: وان قلتم لها حقيقة فقد تركتم مذهبكم . وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات : فقال رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا فى أمر هؤلاء غلطاً بيناً . لانهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم وهم لم يثبتوا حقيقة : ولا أقروا بمشاهدة فكيف تكلم من يقول لا أدرى أيكلمنى أم لا وكيف تناظر من يزعم أنه لايدرى أموجود هو أم معدوم وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت فى الابانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد * قال ثم انه انما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر فيجعل مايقر سبباً الى تصحيح مايجحده * فأما من لايقر بذلك فجادلته مطروحة: قال الشيخ وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل : فقال ان أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية مايمكن المجادل أن يقرب المعقول الى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب : وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون :قال وهذا كلام ضيق العطن : ولا ينبغي أن يؤيس من معالجة هؤلاء فان ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم فانهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم الا كرجل رزق ولدا أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين : حتى أنه لم يشك أن فى السماء قمرين : فقال له ابوه القمر واحد وانما السوء فى عينيك : غض عينك الحولاء وانظر: فلما فعل قال ارى قمرا واحدا لانى عصبت احدى

شاك وشاك فى أنه شاك وهم اللاأدرية والثالث يزعم أن الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم العندية وهى مذكورة فى كلام المصنف على هذا الترتيب

عيني فغاب أحدهما فجاء من هذا القول شبهة ثانية فقال له أبوه ان كان ذلك كما ذكرت ففض الصحيحة فغمل فرأى قرين . فعلم صحة ما قال ابوه * أنبانا محمد بن ناصر نا الحسن بن احمد بن البناثنا بن دودان نا ابو عبد الله المرزبانى ثنى ابو عبد الله الحكيمى ثنى يموت بن المزرع ثنى محمد بن عيسى النظام قال : مات ابن لصالح بن عبد القدوس فمضى اليه ابو الهزيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له . فرآه منحرفا فقال له ابو الهزيل : لا اعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع فقال له صالح يا ابا الهزيل : انما اجزع عليه : لانه لم يقرأ كتاب الشكوك : فقال له ابو الهزيل : وما كتاب الشكوك قال هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن : وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان : فقال له النظام فشك أنت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت : وان كان قد مات فشك أيضاً فى أنه قد قرأ الكتاب وان كان لم يقرأه * وحكى أبو القاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف الى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع اليه فقال سرقت دابتى فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً قال بلى قال فكر : قال هذا أمر اتيقنه : فجعل يقول له تذكر : فقال ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر : أنا لا أشك أنى جئت راكباً : قال فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشىء وان حال اليقظان كحال النائم فوجم السوفسطائى ورجع عن مذهبه

(فصل) قال النوبختى قد زعمت فرقة من المتجاهلين انه ليس للأشياء حقيقة واحدة فى نفسها: بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها : فان العسل يجده صاحب المرة الصفراء مراً : ويجده غيره حلوا : قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه : محدث عند من اعتقد حدثه : واللون جسم عند من اعتقده جسما وعرض عند من اعتقده عرضاً * قالوا فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الامر على وجود من يعتقد : وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم

أقولكم صحيح : فسيقولون هو صحيح عندنا : باطل عند خصمنا : قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة واقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه ومما يقال لهم أتثبتون للمشاهدة حقيقة : فان قالوا لا : لحقوا بالاولين وان قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها : وصار الكلام معهم كالكلام مع الاولين

(فصل) قال النوبختى ومن هؤلاء من قال ان العالم فى ذوب وسيلان قالوا ولايمكن الانسان أن يتفكر فى الشيء الواحد مرتين : لتغير الاشياء دائماً فيقال لهم كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم. وربما كان أحدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه

﴿ ذكر تلبيسه على الدهرية ﴾

قال المصنف : قد أوهم ابليس خلقا كثيراً أنه لا اله ولا صانع . وأن هذه الاشياء كانت بلا مكون . وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه وهل يشك ذو عقل فى وجود صانع فان الانسان لو مر بقاع ليس فيها بنيان ثم عاد فرأى حائطا مبنياً : علم أنه لا بد له من : بان بناه : فهذه المهاد الموضوع : وهذا السقف المرفوع : وهذه الابنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة : إما تدل على صانع * وما أحسن ما قال بعض العرب ان البعرة تدل على البعير * فهيكل علوى بهذه اللطافة : ومركز سفلى بهذه الكثافة * إما يدلان على اللطيف الخبير * ثم لو تأمل الانسان نفسه لكفت دليلا * ولشفت غليلا فان فى هذا الجسد من الحكم مالا يسع ذكره فى كتاب * ومن تأمل تحديد الاسنان لتقطع : وتعريض الاضراس لتطحن : واللسان يقلب الممضوغ وتسليط الكبد على الطعام ينضجه : ثم ينفذ الى كل جارحة قدر ماتحتاج اليه من الغذاء : وهذه الاصابع التى هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح :فيمكن العمل بها : ولم تجوف لكثرة

عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوى فكثرها : وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى اذا ضمت : وأخفى فى البدن مافيه قوامه وهي النفس التي اذا ذهبت فسد العقل الذى يرشد الى المصالح : وكل شيء من هذه الاشياء ينادى أفى الله شك وانما يخبط الجاحد لانه طلبه من حيث الحس : ومن الناس من جحده لانه لما أثبت وجوده من حيث الجملة : لم يدركه من حيث التفصيل فجحد اهل الوجود : ولو اعمل هذا فكره لعلم ان لنا اشياء لاتدرك الا جملة كالنفس والعقل : ولم يمتنع احد من اثبات وجودهما : وهل الغاية الااثبات الخلق جملة : وكيف يقال كيف هو او ماهو ولا كيفية لهولا ماهية ومن الادلة القطعية على وجوده : ان العالم حادث بدليل انه لايخلو من الحوادث : وكلما لاينفك عن الحوادث حادث ولا بد لحدوث هـذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه : وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا لابد للصنعة من صانع فيقولون انما تعلقتم فى هذا بالشاهد واليه تقاضيكم : فنقول كما أنه لابد للصنعة من صانع فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفاس : قالوا فدليلكم الذى تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم : فالجواب انه لا حاجة بنا الى مادة بل نقول ان الصانع اخترع الاشياء اختراعاً فانا نعلم أن الصورة والاشكال المتجادة فى الجسم كصورة الدواب ليس لها مادة :وقد اخترعها ولا بد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهي شيء جاءت من لا شي ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لامن صانع

﴿ ذكر تلبيسه على الطبايعين ﴾ (١)

قال المصنف لما رأى ابليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لابد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال مامن شيء يخلق الا من اجتماع الطبايع الأربع فيه * فدل على انها الفاعلة وجواب هذا نقول : اجتماع الطبايع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت ان الطبائع لاتفعل الا باجتماعها وامتزاجها : وذلك يخالف طبيعتها فدل على أنها مقهورة : وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المتسق المنتظم لايكون الا من عالم حكيم فكيف يفعل من ليس عالما وليس قادراً : فان قالوا ولو كان الفاعل حكيما لم يقع في بنائه خلل : ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع * قلنا ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التى لايجوز ان يصدر مثلها عن طبع * فأما الخلل المشار اليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة أو في طيه منافع لانعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع فى نيسان على أنواع من الحبوب فيرداب الحصرم والخلالة وتنشف البرة وتيبسها ولو فعلت طبعا لأيبست الكل أو رطبته فلم يبق الا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة فى يبس هذه للادخار والنضج فى هذه للتناول والعجب ان الذى أوصل اليها اليبس فى أكنة (٢) لايلاقي جرمها والذى رطبها يلاقي جرمها ثم انها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقايق وتحمض الرمان وتحلي العنب : والماء واحد : وقد أشار المولى الى هذا بقوله (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل)

---

(١) الطبايعين نسبة الى الطبايع الاربعة وهي التراب والماء والنار والهواء على مذهبهم هداهم الله الى صراطه المستقيم ويعتقدون أنها أصول كل شيء

(٢) الأكنه الأغطية واحد الأكنان قال تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أي أغطية

﴿ ذكر تلبيسه على الثنوية ﴾

وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان : ففاعل الخير نور : وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين : وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة والسرور والصلاح : وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضرارة منها الشر والفساد : كذا حكاه النوبختي عنهم قال : وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة * وقال بعضهم بل كل واحد الى جانب الآخر * وقال أكثرهم النور لم يزل مرتفعا في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب :ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه قال النوبختي : وزعموا أن كل واحد منهما أجناس خمسة * أربعة منها أبدان وخامس هو الروح * وأبدان النور أربعة * النار والريح * والتراب * والماء وروحه النسيم ولم تزل تتحرك في هذه الابدان * وأبدان الظلمة أربعة الحريق والظلمة والسموم والضباب * وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة * وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت * وبعضهم يقول الظلمة تتولد شياطين والنور يتولد ملائكة * وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه * والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه * وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالظلمة * ومذاهب سخيفة * فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون الاقوت يوم وقال بعضهم : على الانسان صوم سبع العمر * وترك الكذب والبخل والسحر وعبادة الأوثان والزنى والسرقة * وأن لا يؤذي ذا روح * في مذاهب طريفة اخترعوها بعوبقاتهم الباردة * وذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قوما منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن (١) طبيعة العالم كانت طبيعة حسنة

---

(١) وفي نسخة طينة العالم

وكانت تحاكى جسم البارى الذى هو النور زمانا: فتأذى بها: فلما طال ذلك عليه قصد تنحيتها عنه فتوحل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النورى والظلامى. فما كان من جهة الصلاح فمن النور: وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة وهؤلاء يقتلون الناس ويخنقونهم ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة: مذاهب سخيفة: والذى حملهم على هذا أنهم رأوا فى العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من أصل واحد شيئان مختلفان: كما لا يكون من النار التبريد والتسخين * وقد رد العلماء عليهم فى قولهم أن الصانع اثنان: فقالوا لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين: أو عاجزين: أو أحدهما قادر والآخر عاجز: لا يجوز أن يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية: ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزا: فبقى أن يقال هما قادران: فيصور أن احدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه: ومن المحال وجود ما يريدانه: فان تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر: وردوا عليهم فى قولهم: أن النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر: فانه لو هرب مظلوما فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ولا ينبغى مد النفس فى الكلام مع هؤلاء فان مذهبهم خرافات

﴿ ذكر تلبيسه على الفلاسفة ﴾

انما تمكن ابليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم: وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات الى الانبياء: فمنهم من قال بقول الدهرية أن لا صانع للعالم حكاه النوبختى وغيره عنهم * وحكى النهاوندى أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الارض كوكب فى جوف هذا الفلك وأن فى كل كوكب عوالم كما فى هذا الارض وأنهارا وأشجارا وأنكروا الصانع وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم وأنه لم يزل موجودا مع الله تعالى ومعلولا له ومساوقا غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان فيقال لهم لم أنكرتم أن يكون العالم

حادثاً بارادة قديمة اقتضت وجوده فى الوقت الذى وجد فيه : فان قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود البارى و بين المخلوقات زمان : قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان : ثم يقال لهم كان الحق سبحانه قادراً على أن يجعل سمك الفلك الاعلى أكبر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع * فان قالوا لايمكن فهو تعجيز : ولان مالايمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر : فوجوده على ماهو عليه واجب لاممكن والواجب يستغنى عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عز وجل صانع العالم وهذا تجوز عندهم لا حقيقة: لان الفاعل مريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله ومن مذاهبهم أن العالم باق أبداً كما لا بداية لوجوده فلا نهاية : قالوا لأنه معلول علة قديمة . وكان المعلول مع العلة . ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديما ولا معلولا * وقد قال جالينوس لو كان الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول(١) فى هذه المدة الطويلة : فيقال له قد يفسد الشئ بنفسه بغتة لا بالذبول ثم من أين له أنها لاتذبل فانها عندهم بمقدار الارض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك فان نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس : ثم نحن نعلم ان الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولا يحس نقصانهما وانما الايجاد والاعدام بارادة القادر والقادر لايتغير فى نفسه ولا يحدث له صفة ولا يتغير الفعل بارادة قديمة

(فصل) وحكى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة : علة فاعلة . والعنصر . والصورة* قال والله تعالى هو الفعال (٢) . والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد . والصورة جوهر للجسم * وقال آخر منهم : الله هو العلة الفاعلة . والعنصر

---

(١) يقال ذبل الشيء ضعف وذهبت نضارته

(٢) وفى نسخة هو العقل

المفتعل . وقال آخر منهم : العقل رتب الاشياء هذا الترتيب . وقال آخر : الطبيعة فعلته :

وحكى يحيي بن بشر بن عمير النهاوندى أن قوماً من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقا ومتحركا وساكناً علمنا أنه محدث ولا بد له من محدث ثم رأينا أن الانسان يقع فى الماء ولا يحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغيثه أو فى النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم . قال واختلف هؤلاء في عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق : فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه فخشى أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد فأهلك نفسه وخلا منه العالم : وبقيت الاحكام تجرى بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق . وقالت الفرقة الثانية : بل ظهر فى ذات البارى تولول فلم تزل تجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور فى ذلك التولول وهو العالم وساء نور البارى وكان الباقى منه سنور

وزعموا أنه سيجذب النور من العالم اليه حتى يعود كما كان ويضعفه من مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور

وقالت الفرقة الثالثة : بل البارى لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته في العالم فهى من جوهر اللاهوتية * قال الشيخ رحمه الله : فقلت الذى ذكره النهاوندى فى نسخة بالنظامية قد كتبت من منذ مائتي وعشرين سنة : ولولا أنه قد قيل ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل ابليس فى تلبيسه لكان الأولى الاضراب عن ذكره تعظيما لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا ولكن قد بينا وجه الفائدة في ذكره

(فصل) وقد ذهب أكثر الفلاسفة الى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً وانما يعلم نفسه وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق

قال المصنف وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه : فانظر الى ما رتبه ابليس لهؤلاء الحمقاء مع ادعائهم كمال العقل * وقد خالفهم ابن سيناء في هذا

فقال بل يعلم نفسه ، ويعلم الاشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات : وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة وكأنهم استكثروا المعلومات * فالحمد لله الذي جعلنا ممن ينفي عن الله الجهل والنقص ونؤمن بقوله (ألا يعلم من خلق) وقوله (ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها) وذهبوا الى أن علم الله وقدرته هو ذاته فرارا من أن يثبتوا قديمين وجوابهم أن يقال انما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات

(فصل) قال المصنف وقد أنكرت الفلاسفة بعث الاجساد ورد الارواح الى الابدان ووجود جنة ونار جسمانيين ، وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس لتفهيم الثواب والعقاب الروحانيين * وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديا أبدا إما في لذة لا توصف وهي الانفس الكاملة أو ألم لا يوصف وهي النفوس المتلوثة . وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس وقد ينمحي عن بعضها الألم ويزول . فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت ولذلك سمي عودها إعادة : ولا أن لها نعيما وشقاء . ولكن ما المانع من حشر الاجساد : ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية في الجنة والنار . وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين . وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية وأما اقامتكم الحقائق في مقام الأمثال فتحكم بلا دليل . فان قالوا الابدان تنحل وتؤكل وتستحيل . قلنا القدرة لا يقف بين يديها شيء : على أن الانسان انسان بنفسه . فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذي خلق منه . لم يخرج عن كونه هو هو : كما انه تتبدل أجزاؤه من الصغر الى الكبر والهزال والسمن . فان قالوا لم يكن البدن بدنا حتى يرقى من حالة الى حالة الى أن صار لحما وعروقا . قلنا قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن الاجسام تنبت في القبور قبل البعث وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار نا أبو محمد الجوهري نا عمر بن محمد ابن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرز ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن الأعمش

عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون (١) قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب (٢) الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة أخرجاه في الصحيحين

(فصل) وقد لبس ابليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وارسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء قد كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أمورا خفية إلا أنهم لما تكلموا في الآلهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات وقد ذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملة والرجوع فيها الى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربقة الاسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم أولئك متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات والمبتدعة في الدين أعذر منهم لانهم يدعون النظر في الادلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم

---

(١) هذه رواية مسلم ورواية البخاري المسؤل فيها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى أبيت امتنعت عن الاخبار بما لا أعلم وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة

(٢) هو بفتح العين واسكان الجيم العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص

ماعلموا أن الانبياء كانوا حكماء وزيادة (وما قد حكي) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال : فان أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلاهم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الاسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم في انكار بعث الاجساد ولا يكاد يرى منهم أحد الا ضربه الفقر فاضربه فهو عامة زمانه في تسخط على الاقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لي بعضهم أنا لا أخاصم الا من فوق الفلك وكان يقول أشعارا كثيرة في هذا المعنى فنها قوله في صفة الدنيا قال :

أتراها صنعة من غير صانع * أم تراها رمية من غير رام

وقوله

واحيرتا من وجود ماتقدمه * منا (١) اختيار ولا علم فيقتبس
كأنه في عمىً ما يخلصنا * منه ذكاء (٢) ولا عقل ولا شرس
ونحن في ظلمة ما لها قمر * فيها يضيء ولا شمس ولا قبس
مدلهين حيارى قد تكنفنا * جهل (٣) يجهمنا في وجهه عبس
فالفعل فيه بلاريب ولا عمل * والقول فيه كلام كله هوس

(فصل ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مدّ بعض أهل ملتنا يده الى التمسك بهذه وبعضهم مدّ يده الى التمسك بهذه فترى كثيرا من الحمقى اذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا واذا نظروا في باب التزهد ترهبنوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا انه ولي الاجابة (ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل) وهم قوم يقولون أن لكل روحاني من الروحانيات العلوية هيكلا أعني جرما من الاجرام السماوية هو هيكله ونسبته

---

(١) وفي نسخة اختبار (٢) أي سوء خلق (٣) أي يلقاه بالغلظة

الى الروحانى المختص به نسبة أبداننا الى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت قالوا ولا سبيل لها الى الروحانى بعينه . فيتقرب الى هيكله بكل عبادة وقربان (وقال آخرون منهم) لكل هيكل سماوى شخص من الاشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الاصنام وبنوا لها بيوتاً

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوما قالوا الكواكب السبعة وهى زحل * والمشترى * والمريخ * والشمس والزهرة * وعطارد والقمر * هى المدبرات لهذا العالم وهي تصدر عن أمر الملأ الأعلى * ونصبوا لها الأصنام على صورتها * وقربوا لكل واحد منها مايشبهه من الحيوان * فجعلوا لزحل جسما عظيما من الآنك (١) أعمى يقرب اليه بثور حسن يؤتي به الى بيت تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشى على ذلك الدرابزين من الحديد فتفوص رجلاه ويده هنالك ثم توقد تحته النار حتى يحترق * ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الآله الاعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيرا قربنا لك مايشبهك فتقبل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة : ويقربون للمشترى صبيا طفلا وذلك انهم يشترون جارية ليطأها السدنة (٢) للاصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ويأتون بها والصبي على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمسل والابر وهو يبكى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لايعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة . ويقربون للمريخ رجلا أشقر أنمش (٣) أبيض الرأس من الشقرة يأتون به فيدخلون فى حوض عظيم ويشدون قيوده الى أوتاد

(١) الآنك الرصاص الخالص

(٢) السدنة بالتحريك جمع سادن وهو خادم الكعبة وبيت الاصنام

(٣) النمش بفتحتين نقط بيض وسود

فى قعر الحوض ويملأون الحوض زيتاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه الى حلقه ويخلطون بالزيت الادوية المقوية للعصب والمعفنة للحم حتى اذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالاغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فانخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به الى صنمهم الذى هو على صورة المريخ فقالوا أيها الآله الشرير ذو الفتن والجوائح قربنا اليك مايشبهك فتقبل قرباننا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر

ويقربون للشمس تلك المرأة التى قتلوا ولدها للمشترى ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة أنت أيتها الالهة النورانية قربنا اليك مايشبهك فتقبلى قرباننا وارزقينا من خيرك وأعيذينا من شرك

ويقربون للزهرة عجوزا شمطاء ماجنة (١) يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الالهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك ومجانه كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا ٥ ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار الى أن تحترق فيحثون رمادها فى وجه الصنم

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسبا كاتبا متأدبا يأتون به بحيلة وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم ويبنجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس الالسنة فيقدمون هذا الشاب الى صنم عطارد ويقولون أيها الرب الظريف أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم فى كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده فى وجهه

ويقربون للقمر رجلا آدم كبير الوجه ويقولون له يابريد الآلهة وخفيف الاجرام العلوية

---

(٣) أى هازلة ضعيفة

﴿ ذكر تلبيسه على عباد الاصنام ﴾

قال المصنف كل محنة لبس بها ابليس على الناس فسببها الميل الى الحس والاعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا ابليس لعنه الله خلقا كثيرا الى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة . فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب الى الخالق فقالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى

﴿ ذكر بداية تلبيسه على عباد الاصنام ﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ نا ابو الحسين بن عبد الجبار نا أبو جعفر بن أحمد بن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزي : ثنا أبو الحسن على بن الصباح بن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال أخبرني أبي قال أول ماعبدت الاصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بوذ وهو أخصب جبل فى الارض * قال هشام فأخبرنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فكان بنوا شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل يابني قابيل ان لبنى شيث دواراً يدورن حوله ويعظمونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنما فكان أول من عملها قال * وأخبرنى أبى انه كان ود • وسواع • ويغوث • ويعوق • ونسر • قوما صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أننى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا فقالوا نعم • فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه

وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الاول . وعملت على عهد يزد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم . ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيما من القرن الاول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ماعظم الأولون هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل ، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى اليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً علياً ، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم الى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه. فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة. فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الاصنام من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض جدة فلما نضبت الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها .

قال الكلبي : وكان عمرو بن لحي كاهناً وكان يكنى أبا ثمامة له رئى من الجن . فقال له : عجل المسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة ، ائت صفا جده تجد فيها أصناماً معده . فاوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجب . فأتى نهر جده فاستثارها ثم حملها حتى ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات فدفع اليه وداً فحمله فكان بوادى القرى بدومة الجندل. وسمى ابنه عبد ود ، فهو أول من سمي به . وجعل عوف ابنه عامرا سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالاسلام .

قال الكلبي: حدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً . قال وكان أبى يبعثنى باللبن اليه ويقول اسق إلهك فأشربه . قال ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه من غزوة تبوك

هدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلا من بني عبد ود يقال له قطن بن سريح فأقبلت أمه . (وهو مقتول) ـ وهي تقول :

ألا تلك المودة لا تدوم ولا يبقي على الدهر النعيم
ولا يبقي على الحدثان عفر له أم بشاهقـه رؤوم

ثم قالت :

يا جامعاً جامع الاحشاء والـكبد يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت .

قال الـكلبي : فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودّا حتى كأني أنظر اليـه . قال: كان تمثال رجل أعظم مايكون من الرجال قد دبّر أي نقش ، عليه حلتان متزر بحلة مترد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتـنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعني جعبتها (١)

قال : وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع الى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سـعد بن هـذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعاً ، وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر . فقال رجل من العرب :

تراهم حول قيلهم عكوفا كما عكفت هذيل على سواع
يظل جنابه صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وأجابته مذحج فدفع الى أنعم بن عمرو المرادى يغوث ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها .

وأجابته همدان فدفع الى مالك بن مرثد بن جشم يعوق ، وكان بقرية يقال لها خيوان تعبده همدان ومن والاها من اليمن .

وأجابته حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسرا

---

(١) الجعبة الـكنانة التي تجعل فيها السهام

وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها . فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الاصنام تعبد حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها .

قال ابن هشام وحدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفعت لي النار فرأيت عمرو بن لحي قصيرا أحمر أزرق يجر قصبه في النارقات من هذا قيل هذا عمرو بن لحي أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين اسماعيل ودعا العرب الى عبادة الاوثان . قال هشام: وحدثني أبي وغيره أن اسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد فكثروا حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد والتمسوا المعاش فكان الذي حملهم على عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيانة لمكة فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصيانة للحرم وحبا له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر ابراهيم (١) واسماعيل ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك

وكان أول من غير دين اسماعيل ونصب الاوثان وسيب السائبة ووصل

---

(١) وفي نسخة ارث

الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو ابن لحى فهيرة بنت عامر بن الحارث وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهم بن اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم انه مرض مرضاً شديداً فقيل له ان بالبلقاء من أرض الشام حمة ان أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام فقال ماهذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الاصنام

وكان أقدمها مناة وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعا تعظمه والاوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له

قال هشام: وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عامر بن ياسر قال: كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فاذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فهدمها عام الفتح

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة (١ وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار

ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادى

---

١) فى نسخة مربعة

نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منه الصوت .

قال هشام : وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فأتاها فعضدها . فلما جاء اليه قال : هل رأيت شيئا . قال لا . قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : هل رأيت شيئا قال لا . قال فاعضد الثالثة فأتاها فاذا هو بجنية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها دبيه السلمي وكان سادنها . فقال خالد :

كفرانك لا سبحانك   اني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هي حممة (١) ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب

قال هشام وكان: لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم هبل . وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب . وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان في جوف الكعبة وكان قدامه سبعة أقدح مكتوب في أحدها صريح وفي الآخر ملصق فاذا شكوا في مولود اهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح الحقوه وان خرج ملصقا دفعوه . وكانوا اذا اختصموا في أمر أو ارادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده . وهو الذي قال له أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل أي على دينك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ألا تجيبونهم . فقالوا وما نقول . قال قولوا : الله أعلى وأجل . وكان لهم اساف ونائلة قال هشام فحدث الكلبي

---

(١) الحممة بضم الحاء وفتح الميمين جمعها حمم الرماد وكل ما احترق من النار

عن أبي صالح عن ابن عباس أن اسافا رجل من جرهم يقال له اساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها في أرض اليمن فأقبلا حجاجا فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب . قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها . وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان ملصقا بالكعبة الى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما

وكان من تلك الاصنام ذو الخلصة وكان مروة (١) بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة (٢) والمدينة على مسير سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير رضى الله عنه : الا تكفني ذا الخلصة فوجهه اليه فسار بأحمس فقاتلته خثعم وباهلة فظفر بهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار . وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة .

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين . فلما أسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو فحرقه .

وكان لبنى الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الشرى .

وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام يقال له الاقيصر .

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم .

وكان لعنزة صنم يقال له سعير .

وكان لطي صنم يقال له الفلس . وكان لاهل كل واد من مكة صنم في دارهم يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر مايصنع في منزله أن يتمسح

---

(١) المروة حجارة براقة تقدح منها النار جمعها مرو (٢) وفى نسخة اليمن

به واذا قدم من سفره كان أول مايصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به . ومنهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحسن ثم طاف به وسموها الانصاب . وكان الرجل اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه ربا وجعله ثالثة الاثافي (١) لقدره فاذا ارتحل تركه ، فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة دخل المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسنة قوسه في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : في زمان يزدجرد عبدت الاصنام ورجع من رجع عن الاسلام .

أخبرنا اسماعيل بن احمد نا عمر بن عبيد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد الدقاق ثنا حنبل ثنا حسن بن الربيع ثنا مهدي بن ميمون . قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب ، ولحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فاذا وجدنا حجرا هو أحسن منه نلقي ذاك ونأخذه واذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو العباس السراج ثنا احمد بن الحسن بن خراش ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا عمارة المعولي . قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : كنا نعمد الى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده ، وكنا نعمد الى الحجر الابيض فنعبده زماناً ثم نلقيه * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا عبد العزيز بن علي الوراق نا احمد بن ابراهيم ثنا يوسف بن يعقوب النيسابوري نا أبو بكر بن أبي شيبه ثنا يزيد بن هرون نا الحجاج بن أبي زينب . قال سمعت أبا عثمان الهندي قال : كنا في الجاهلية

---

(١) الاثافي جمع الاثفية مايوضع عليه القدر

نعبد حجرا فسمعنا مناديا ينادي يا أهل الرحال ان ربكم قد هلك فالتمسوا لكم ربا غيره . قال: فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب، اذا نحن بمناد ينادي انا قد وجدنا ربكم أو شبهه .قال: فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه الجزر أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا أبو اسحاق البرمكي نا أبو عمر بن حيويه نا احمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عمرو ثني الحجاج بن صفوان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال : كنت امرءاً ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم آلهة فيخرج الحي منهم فيأتي بأربعة أحجار . فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها . الهاً يعبد . ثم لعله يجد ماهو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره » أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيقي نا عثمان بن عمرو بن الميثاب نا أبو محمد عبد الله بن سليمان الفامى ثنى أبو الفضل محمد بن أبي هرون الوراق ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروى عن شيخ من ساكني مكة . قال : سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والاصنام . فقال أصل عبادتهم الحجارة انهم قالوا البيت حجر فحيث مانصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وقال أبو معشر : كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويقرون بأن لله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وان الملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناما على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم . وقيل لبعضهم : أن الملائكة والكواكب والافلاك أقرب الاجسام الى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الاصنام

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للاصنام فمنها بيتا على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أصنام أخرجها يستاسب لما تمجس وجعله بيت نار . والبيت الثاني والثالث في أرض الهند . والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهر فلما ظهر لاسلام خربه أهل بلخ . والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة

فخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه . والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم .

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندي : أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمي ، ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالمليان . (وهي مدينة من مداين السند) . وجعل فيه صنمهم الاعظم الذي هو كصورة الهيولى الاكبر . وهذه المدينة فتحت في أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم . فقيل لهم : ان تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث مايجتمع له من مال . فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج اليه من ألفي فرسخ ولا بد للحاجي أن يحمل معه دراهم على قدر مايمكنه من مائة الى عشرة ألف لايكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقيه في صندوق عظيم هنالك ويطوفون بالصنم . فاذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ماعبدوه ، وما أحسن ماعاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال : « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » . وكانت الاشارة الى العباد أي أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والاصنام عاجزة عن ذلك وهي جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص . ولو تفكروا لعلموا أن الاله يصنع الاشياء ولا يُصنَع ، ويجمع وليس بمجموع ، وتقوم الاشياء به ولا يقوم بها وانما ينبغي للانسان أن يعبد من صنعه لا ماصنعه . وما خيل اليهم أن الاصنام تشفع لخيال ليس فيه شبهة يتعلق بها .

﴿ ذكر تلبيسه على عابدي النار ﴾

قال المصنف : قد لبس ابليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هي الجوهر الذي لايستغني العالم عنه ومن هاهنا زين عبادة الشمس.

وذكر أبو جعفر ابن جرير الطبري : أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من ابيه آدم الى اليمن أتاه ابليس . فقال له : ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك. فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها . قال الجاحظ : وجاء زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحي ينزل اليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لايعرفون الا البرد . وجعل الوعيد بتضاعف البرد . وأقر بأنه لم يبعث الا الى الجبال فقط . وشرع لاصحابه التوضي بالابوال وغشيان الامهات . وتعظيم النيران . مع أمور سمجة . قال ومن قول : زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته ابليس . فلما مثل بين يديه وأراد قتله فامتنع منه فلما رأى امتناعه ودعه الى مدة

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة . فأول من رسم لها بيتاً افريدون فاتخذ لها بيتاً بطرسوس وآخر ببخارى . واتخذ لها بهمان بيتاً بسجستان . واتخذ لها أبوقباذ بيتاً بناحية بخارى . وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها . وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم . وذلك انه بنى بيتا وجعل في وسطه مرآة ولف القربان في حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس في كبد السماء قابلت كوة قد جعلها في ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار . فقال : لاتطفؤا هذه النار

فصل قال المصنف : وقد حسن ابليس لعنه الله لأقوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم . قال ابن قتيبة وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها . وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون اليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم أول من عبدها. وقال: قطعت السماء عرضاً ولم يقطع السماء عرضاً غيرها وعبدها وخالف قريشاً فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك الاوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أي شبهه ومثله فى الخلاف كما قالت بنوا اسرائيل لمريم ياأخت هارون أي ياشبيهة هارون فى الصلاح . وهما شعرتان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هى الغميصاء وهى تقابلها وبينهما المجرة ـ والغميصاء من الذراع المبسوط فى نجم الاسد وتلك فى الجوزاء

وزين ابليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا : هى بنات الله تعالى الله عن ذلك . وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر . وكان السامرى من قوم يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا . وجاء فى التعبير أن فرعون كان يعبد تيسا وليس فى هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير مايفعل نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة

﴿ ذكر تلبيسه على الجاهلية ﴾

قال المصنف: قد ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الاصنام . ومن أقبح تلبيسه عليهم في ذلك تقليد الآباء من غير نظر فى دليل كما قال الله عز وجل « واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون » . المعنى أتتبعونهم أيضا

وقد لبس ابليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث ، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم : « ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا الا الدهر » . وعلى آخرين منهم : فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث . وعلى آخرين منهم: فزعموا أن الملائكة بنات الله . وأمال آخرين منهم الى مذهب اليهود . وآخرين الى مذهب المجوس ، وكان فى بني تميم منهم زرارة بن جديس التميمى وابنه حاجب

وممن كان يقر بالخالق والابتداء والاعادة والثواب والعقاب عبد المطلب

ابن هاشم، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وعامر بن الظرب.
وكان عبد المطلب اذا رأى ظالما لم تصبه عقوبة . قال : تالله ان وراء هذه الدار لدارا يجزى فيها المحسن والمسيء . ومنهم زهير بن أبى سلمى وهو القائل

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم (١) ومنهم زيد الفوارس بن حصن، ومنهم القلمس بن أمية الكنانى . كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوما : يامعشر العرب أطيعونى ترشدوا . قالوا : وما ذاك. قال انكم تفردتم بآلهة شتى انى لأعلم ماالله بكل هذا راض وان الله رب هذه الآلهة وانه ليحب أن يعبد وحده . فتفرقت عنه العرب ذلك ولم يسمعوا مواعظه . وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيا وممن قاله عمرو بن زيد الكلبي

قال المصنف : وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وانما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الاصنام القليل كقس بن ساعدة وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة . فمنها النسيء وهو تحريم الشهر الحلال وتحليل الشهر الحرام وذلك ان العرب كانت قد تمسكت من ملة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الاشهر الاربعة فاذا احتاجوا الى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه الى صفر ثم يحتاجون الى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة . واذا حجوا قالوا: لبيك لا شريك لك، الاشريكا هو لك، تملكه وما ملك. ومنها توريث الذكر دون الأنثى. ومنها أن أحدهم كان اذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس اليه ومنها البحيرة وهى الناقة تلد خمسة أبطن فان كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء . والسائبة من الانعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهرا ولا يحلبون لها لبنا. والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فاذا

(١) فى نسخة الكتبخانة أو أسلم

ماتت اشترك فيها الرجال والنساء. والحام الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لاصنامهم ولا يحمل عليه. ثم يقولون ان الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى: «ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب». ثم الله عز وجل ردعليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وفيما أحلوه بقولهم: «خالصة الذكورنا ومحرم على أزواجنا»: «قال الله تعالى آلذكرين حرم أم الانثيين». المعنى ان كان حرم الذكرين فكل الذكور حرام وان كان حرّم الانثيين فكل الاناث حرام وان كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين فانها تشتمل على الذكور والاناث فيكون كل جنين حراما. وزين لهم ابليس قتل أولادهم فالانسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه. ومن جملة مالبس عليهم ابليس أنهم قالوا لوشاء الله ما أشركنا أي لولم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيئة الله تعم الكائنات وأمره لايعم مراداته فليس لاحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهبهم السخيفة التي ابتدعوها كثيرة لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هي مما يحتاج الى تكلف ردها

﴿ ذكر تلبيس ابليس على جاحدي النبوات ﴾

قال المصنف: قد لبس ابليس على البراهمة والهند وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق مايصل من الاله. وقد اختلف الهند فمنهم دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وابراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختي في كتاب الآراء والديانات ان قوما من الهند من البراهمة انهم أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد واثنا عشر رأسا من ذلك رأس انسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤس الحيوانات وانه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح الا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن

يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها.

قال المصنف : وقد ألقى ابليس الى البراهمة ست شبهات :

الشبهة الاولى : استبعاد اطلاع بعضهم على ماخفى عن بعض . فقالوا : ماهذا الا بشر مثلكم والمعنى وكيف اطلع على ماخفى عنكم * وجواب هذه الشبهة انهم لو ناطقوا المعقول لأجازت اختيار شخص بشخص بخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحى اذ ليس كل أحد يصلح لذلك . وقد علم الـكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الامزجة متفاوتة وأخرج الى الوجود أدوية تقاوم مايعرض من الفساد البدنى فاذا أمد النبات والاحجار بخواص لاصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصا من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية اليه اصلاحا لمن يفسد فى العالم بسوء الاخلاق والافعال . ومعلوم أن المخالفين لايستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون أمداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم وقد أشار عز وجل الى ذلك فى قوله عز وجل : « أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس ».

الشبهة الثانية : قالوا هلا أرسل ملكا فان الملائكة اليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكا وجواب هذا من ثلاثة أوجه . أحدها ان فى قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن اظهار معجزة تدل على صدقهم لان المعجزة ماخرقت العادة وهذه عادة الملائكة وانما المعجزات الظاهرة ماظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلا على صدقه . والثانى أن الجنس الى الجنس أميل فصح أن يرسل اليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه . والثالث أنه ليس فى قوى البشر رؤية الملك وانما الله

تعالى يقوي الانبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى: «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا» أي لينظروا اليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال: «وللبسنا عليهم مايلبسون». أي لخلطنا عليهم مايخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمي.

الشبهة الثالثة: قالوا نرى ماتدعيه الانبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى اليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق بين الصحيح والفاسد * والجواب أن نقول: ان الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبه وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحيي ميتا ولا أن يخرج من عصا حية وأما الكاهن فقد يصيب ويخطئ بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه

الشبهة الرابعة: قالوا لايخلوا إما أن تجيء الانبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فان جاءوا بما يخالفه لم يقبل وان جاؤا بما يوافقه فالعقل يقبله *والجواب أن نقول: قد ثبت ان كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون الى مثم كالحكماء والسلاطين فكيف بأمور الالهية والأخروية

الشبهة الخامسة: قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك ايلام الحيوان * والجواب أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض فأما اذا حكم الخالق بالايلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وانه لاخلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن نحكم على الاصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فانا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم والفطنة والقوي النظرية والعلمية. وحاجة هذا الناطق الى بقاية فهمه ولا يقوم في إبقاء القوي مقام اللحم شيء ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لعاقلٍ فائدته. وانما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم

فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لايجاده فائدة. وأما ألم الذبح فانه يسير وقد قيل أنه لا يوجد أصلا لان الحساس للألم أغشية الدماغ لأن فيه الأعضاء الحساسة ولذلك اذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الانسان بألم فاذا قطعت الأوداج سريعاً لم يصل ألم الجسم الى محل الحس ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته .

الشبهة السادسة . قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب* والجواب ان هذا كلام ينبغى أن يستحيي من ايراده فانه لم يبق شيء من العقاقير والأحجار الا وقد وضحت خواصها وبان سترها فلو ظفر واحد منهم بشئ وأظهر خاصيته لوقع الانكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا ليس هذا منك انما هذه خاصية فى هذا . ثم ان المعجزات ليست نوعاً واحدا بل هى بين صخرة خرجت منها ناقة وعصا انقلبت حية وحجر تفجر عيونا وهذا القرآن الذى له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه والافكار تتدبره والتحدى به على الدوام ولم يقدر أحد على مداناة سورة منه فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة

قال أبو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه : ضبثت قلوب أهل الالحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لأوامرها كابن الراوندى ومن شاكله كأبى العلاء . ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا أثرا. بل الجوامع تتدفق زحاما ،والاذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبى صلى الله عليه وسلم والاقرار بما جاء به ،وانفاق الاموال والانفس فى الحج مع ركوب الاخطار ومعاناة الاسفار ومفارقة الاهل والاولاد . فجعل بعضهم يندس فى هل النقل فيضع المفاسد على الأسانيد ويضع السير والاخبار وبعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكر خواص فى أحجار وخوارق العادات فى بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين ويبالغ فى تقرير

ذلك حتى قالوا ان سطيحا قال فى الخبء الذى خبء له : حبة بر ، فى إحليل مهر . والاسود كان يغط ويقول الشيء قبل كونه . وههنا اليوم معزمون يكلمون الجنى الذى فى باطن المجنون فيكلمهم بما كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة وهل ما جاءت به النبوات الامقارب هذا ؛ وليس قول الكاهن : حبة بر . فى إحليل مهر . وقد أخفيت كل الاخفاء بأكثر من قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » وهل بقى لهذا وقع فى القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تلمح هذا الا النبي (١) والله ما قصدوا بذلك الا قصدا ظاهرا ولحوا الا لحاً جلياً فقالوا تعالوا نكثر الجولان فى البلاد والاشخاص والنجوم والخواص فلايخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه : فيصدق بها الكل ويبطل أن يكون ماجاء به الانبياء خرقا للعادات : ثم دس قوم من الصوفية أن فلاناً أهوى بانائه الى دجلة فامتلأ ذهباً فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين : وبطريق العادات فى حق المنجمين : وبطريق الخواص فى حق الطبايعين : وبطريق الكهانة فى حق المعزمين : والعرافين فأى حكم بقى لقول عيسى عليه السلام : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) . وأى خرق بقى للعادات وهل العادات الا استمرار الوجود . وكثرة الحصول . فاذا نبههم العاقل المتدين على مافى هذا من الفساد . قال الصوفى ، أتنكر كرامات الاولياء . وقال أهل الخواص . أتنكر المغناطيس الذى يجذب الحديد والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لاجل ما كان فويل للمحق معهم هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحلون ولا يعقدون الا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلى كلمتها حتى ان كل الطوائف تحت قهرها إقبالا من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعا لاهل المحال

(١) وفى نسخة الا الفتى

« فصل » ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم ابليس أن يتقربوا باحراق نفوسهم فيحفر للانسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجيء مضمخاً بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التي تعلق الى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولا ويكون ثوابى الجنة ثم يلقى نفسه فى الاخدود فيحترق فان هرب نابذوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة حتى يثقب جوفه ويخرج معاه فيموت ومنهم من يقف قريباً من النار الى أن يسيل ودكه فيسقط: ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعا ويلقيها الى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت: ومنهم من يقف فى احثاء البقر الى ساقه ويشعل فيه النار فيحترق: ومنهم من يعبد الماء ويقول هو حياة كل شئ فيسجد له: ومنهم من يجهز له أخدود قريبا من الماء فيقع فى الاخدود حتى اذا التهب قام فانغمس في الماء ثم رجع الى الاخدود حتى يموت فان مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا حرم الجنة وان مات في أحدهما شهدوا له بالجنة ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولا عن المشي ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخمد: ومنهم من يهيم فى الارض حتى يموت: ومنهم من يغرق نفسه في النهر ومنهم من لا يأتى النساء ولا يوارى الا العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج معاه بيده ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت: والناس يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهنالك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين فى نهر والنصف الآخر فى نهر ويزعمون أنهما يجريان الى الجنة: ومنهم من يخرج الى براح ومعه جماعة يدعون له ويهنئونه بنيته فاذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون اليه

فتبتدره الطير فتأكله فاذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها. في أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختي يضيع الزمان في كتابتها والعجب ان الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة وتاهم دقائق الاعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم ابليس هذا المقاد قال وفيهم من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون رتبة وأن مكث أهل الجنة في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاثة وثلاثون ألف سنة وستماية وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف مادونها: وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ستة عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه وستة عشر مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه

﴿ ذكر تلبيسه على اليهود ﴾

قال المصنف: قد لبس عليهم في أشياء كثيرة نذكر منها نبذة يستدل بها على تلك. فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان تشبيههم حقا لجاز عليه مايجوز عليهم. وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا: أن اليهود تزعم أن الاله المعبود رجل من نور على كرسي من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كالآدميين. ومن ذلك قولهم عزير بن الله ولو فهموا أن حقيقة البنوة لا تكون الا للتبعيض والخالق ليس بذي أبعاض لانه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوة . ثم ان الولد في معنى الوالد وقد كان عزير لا يقوم الا بالطعام والاله من قامت به الاشياء لا من قام بها والذي دعاهم الى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة ويدل على أن القوم كانوا في بعد من الذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة في فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا امثلها فقالوا اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة فلما زجرهم موسى عن ذلك بقي في نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم العجل والذي حملهم على هذا شيئان: أحدهما جهلهم بالخالق والثاني أنهم أرادوا ما يسكن اليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترأوا

عليه بالكلمات القبيحة لقولهم (ان الله فقير ونحن أغنياء) وقولهم (يد الله مغلولة) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا: لا يجوز نسخ الشرائع . وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الاخوات ، وذوات المحارم ، والعمل في يوم السبت ، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا اذا أمر الله عز وجل بشئ كان حكمه فلا يجوز تغييره . قلت :قد يكون التغيير في بعض الاوقات حكمة فان نقلب الآدمي من صحة الى مرض ومن مرض الى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الاحد وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : « لن تمسنا النار الا أياما معدودة » وهي الايام التي عبد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم ابليس على العناد المحض فجحدوا ما كان في كتابهم من صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الاخرة فعلماؤهم عاندوا وجهالهم قلدوا ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك الامر ويعمل بالهوى ثم انهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه حتي قالوا انه آدر(١)واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار نا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا ابن معروف نا الحارث بن أبي أسامة ثنا محمد بن سعد نا علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس (٢)فقال اخرجوا الي أعلمكم فخرج اليه عبدالله بن صوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام

---

(١) الآدر منتفخ الخصية وهو عيب بالفحولية .

(٢) المدراس كنيسة اليهود وجمعه مداريس .

أتعلمون أني رسول الله . قال : اللهم نعم . وان القوم ليعرفون ما أعرف وأن صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنهم حسدوك . قال : فما يمنعك أنت . قال : أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال : أخبرنا الحسن بن على قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبدالله بن احمد قال حدثني أبي قال ثنا يعقوب قال ثنا أبي عن ابن اسحاق قال حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة ابن وقش . قال: كان لنا جار من اليهود في بني عبد الاشهل فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقف على مجلس بني عبد الاشهل قال سلمة :وأنا يومئذ أحدث من فيهم سناً على بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيمة والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائناً بعد الموت . فقالوا له ويحك: يافلان أترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به لودّ أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً قال له ويحك وما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا ومتى نراه قال فنظر اليّ وأنا من أحدثهم سناً ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويلك يافلان ألست بالذي قلت لنا فيه ماقلت قال بلى ولكن ليس به

﴿ ذكر تلبيسه على النصارى ﴾

قال المصنف : تلبيسه عليهم كثير فمن ذلك أن ابليس أوهمهم ان الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطوريه أصحاب نسطورس :ان الله جوهر واحد قائم بذاته فهو واحد في

الجوهرية ثلاثة في الاقنومية فأحد الاقانيم عندهم الأب والآخر ابن والآخر روح القدس فبعضهم يقول: الاقانيم خواص. وبعضهم يقول: صفات. وبعضهم يقول: أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الاله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والالوان ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله قال أبو محمد النوبختي زعمت الملكية واليعقوبية ان الذي ولدته مريم هو الاله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا في المسيح يقرون بحاجته الى الطعام ولا يختلفون في هذا وفي أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون انما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت . ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى جحدوه بعد ذكره في الانجيل ومن الكتابيين من يقول عن نبينا أنه نبي إلا أنه مبعوث الى العرب خاصة وهذا تلبيس من ابليس استغفلهم فيه لانه متى ثبت أنه نبي فالنبي لا يكذب وقد قال بعثت الى الناس كافة وقد كتب الى قيصر وكسرى وسائر ملوك الاعاجم

﴿ ومن تلبيس ابليس على اليهود والنصارى ﴾

انهم قالوا لا يعذبنا الله لاجل أسلافنا فمنا الاولياء والانبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك: «نحن أبناء الله وأحباؤه». أي منا ابنه عزير وعيسى. وكشف هذا التلبيس ان كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه ذو قرابته ولو تعدت المحبة لشخص الى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة: لا أغنى عنك من الله شيئاً وانما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم ان محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً اذ لو كانت كذلك لكان الامر يحتمل

﴿ ذكر تلبيسه على الصابئين ﴾

قال المصنف: هذه الكلمة أعني الصابئين من قولهم صبأت اذا خرجت

من شيء الى شيء وصبأت النجوم اذا ظهرت وصبأ به اذا خرج. والصابئون الخارجون من دين الى دين وللعلماء فى مذاهبهم عشرة أقوال : أحدها انهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد والثاني انهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد والثالث انهم بين اليهود والنصارى رواه القاسم بن أبي بزة عن مجاهد والرابع انهم صنف من النصارى ألين قولا منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس والخامس انهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد والسادس أنهم كالمجوس قاله الحسن والسابع انهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤن الزبور قاله أبو العالية . والثامن أنهم قوم يصلون الى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤن الزبور قاله قتادة ومقاتل . والتاسع أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى . والعاشر انهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد قال المصنف: هذه أقوال المفسرين فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فمنهم من يقول ان هنالك هيولى كان لم يزل ولم يزل يصنع الصانع العالم من ذلك الهيولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسماها قوم منهم آلهة وسجدوا لها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل الا بالنفي دون الاثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا: لئلا يقع تشبيه وهم تعبدات فى شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات فى كل يوم أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات فى كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثانى خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال تمضين من آذار وسبعة أيام أولها التسع تبقين من كانون الاول وسبعة أيام أولها الثمان ليال تمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح وحرموا لحم الجزور فى خرافات يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الارواح الخيرة تصعد الى الكواكب

الثابتة والى الضياء وأن الشريرة تنزل الى أسفل الارضين والى الظلمة . وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب في التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج الى تكلف في ردها اذ هي دعاوى بلا دليل وقد حسن ابليس لاقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقرابين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتبخير وقالوا لابد من متوسط بين الله وبين خلقه في تعريف المعارف والارشاد المصالح الا أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا فنحن نحصل لانفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا اليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الاجساد

﴿ ذكر تلبيس ابليس على المجوس ﴾

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعون النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون ان الله شخص روحاني ظهر فظهرت معه الاشياء روحانية تامة فقال لا يتهيأ لغيري أن يبتدع مثل هذه الذي ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة اذ كان فيها جحود القدرة غيره فقامت الظلمة تغالبه . وكان مما سنه زرادشت عبادة النار والصلاة الى الشمس يتأولون فيها انها ملكة العالم وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل وتحيي النبات والحيوانات وترد الحرارات الى أجسادها . وكانوا لا يدفنون موتاهم في الارض تعظيما لها ويقولوا انها نشوء الحيوانات فلا نقذرها وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيما له وقالوا لان به حياة كل شيء الا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا يبزقون فيه ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به واذا كان عتيقاً كان أكثر بركة ويستحلون فروج الامهات قالوا الابن أحرى بتسكين شهوة أمه واذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة فان لم يكن له ابن اكترى رجل من مال الميت ويجيزون للرجل أن يتزوج بماية وألف واذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت

ديناراً الى المؤبذ ويحملها الى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته وأظهر هذا الامر مزدك فى أيام قباذ وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباذ لتقتدى به العامة فيفعلون فى النساء مثله فلما بلغ الى أم انوشروان قال اخرجها الى فانك ان منعتني شهوتى لم يتم ايمانك فهم باخراجها فجعل انوشروان يبكى بين يدى مزدك ويقبل رجله بين يدى أبيه قباذ ويسأله أن يهب له أمه فقال قباذ لمزدك ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته قال بلى قال فلم ترد انوشروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم أطلق للناس فى أكل الميتة فلما ولى انوشروان أفنى المزدكية هو ومن أقوال المجوس أن الارض لا نهاية لها من أسفلها وان السماء جلد من جلود الشياطين والرعد انما حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الافلاك المأسورة فى حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (ونبغ للمجوس) رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية الى بنى العباس واستغوى خلقا وجرت له قصص يطول الامر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء انه كان للمجوس كتب يدرسونها وانهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم

ومن أظرف تلبيس ابليس عليهم: أنهم رأوا فى الافعال خيرا وشراً فسول لهم ان فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل الا الخير والآخر شيطان ظلمة لا يفعل الا الشر على نحو ماذكرنا عن الثنوية

قال المصنف : وقد سبق ذكر شبههم وجوابها وقال بعضهم: البارى قديم فلا يكون منه الا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه الا الشر فيقال لهم اذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من يضادنى وكانت فكرته رديئة فحدث منها ابليس فرضى ابليس أن ينسب الى الرداءة بعد اثبات أنه شريك • وحكى النوبختى أن بعضهم قال ان الخالق شك فى شئ فكان الشيطان من ذلك الشك : قال وزعم بعضهم أن الاله والشيطان

جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال ابليس حتى خرق السماء بجنوده فهرب الرب عز وجل من فعلهم وتقدس عن قولهم فاتبعه ابليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا هو يصل اليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم صالحه على أن يكون ابليس وجنوده في الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح في احتمال مكروه ابليس الى أن ينقضي الشرط فالناس في بلايا الى انقضائه ثم يعودون الى النعيم وشرط ابليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها في هذا العالم وانهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما الى العدلين وقالا من نكث فاقتلاه في هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ونذكر ما انتهى تلبيس ابليس اليه ما آثر ذكر شئ من هذا التخليط (والعجب) انهم يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة ابليس ملك ثم يقال لهم أيجوز أن يفي الشيطان بما ضمن : فان قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه : وان قالوا نعم فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير : وكيف أطاع الشيطان المدلين وقد عصى ربه وكيف يجوز الفتك على الاله : وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه ابليس بالمقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى

﴿ ذكر تلبيس ابليس على المنجمين وأصحاب الفلك ﴾

قال أبو محمد النوبختي ذهب قوم الى أن الفلك قديم لا صانع له : وحكى جالينوس عن قوم انهم قالوا زحل وحده قديم . وزعم قوم أن الفلك طبيعة خامسة ليست فيه حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل : وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر ناري وانه اختطف من الارض بقوة دورانه : وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه الحجارة : وقال بعضهم هي من غيم تطفئ كل يوم وتستنير بالليل مثل الفحم يشتعل وينطفىء : وقال بعضهم جسم القمر مركب من نار وهوى : وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وانه

بمنزلة الكرة وانه يتحرك بحركتين من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق قالوا وزحل يدور الفلك فى نحو من ثلثين سنة والمشترى فى نحو من اثنتى عشرة سنة والمريخ فى نحو من سنتين والشمس والزهرة وعطارد فى سنة والقمر فى ثلاثين يوماً : وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبعة فالذى يلينا فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة : واختلفوا فى مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرما الشمس وهو نحو من ماية وستين مرة مثل الارض: والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربعة وتسعين مرة مثل الارض : والمشترى نحو من اثنين وثمانين مرة مثل الارض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الارض : قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك الى أن يعود اليه ماية ألف فرسخ وستماية ألف فرسخ وأربعة وستون فرسخاً :وقال بعضهم الفلك حى والسماء حيوان وفى كل كوكب نفس وقال قدماء الفلاسفة النجوم تفعل الخير والشر وتعطى وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحس وتؤثر فى النفوس وانها حية فعالة

﴿ ذكر تلبيس ابليس على جاحدى البعث ﴾

قال المصنف : قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الاعادة بعد البلاء وأقام لهم شبهتين احداهما انه أراهم ضعف المادة والثانية اختلاط الاجزاء المتفرقة فى أعماق الارض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهيأ اعادته وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى فى الاولى : « أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون » . وقال فى الثانية : « أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد » . وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم

يخبرنا الرسول بأن سنحيي * وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر :

حيـاة ثم موت ثم نشر * حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب)عن شبهتهم الاولى أن ضعف المادة فى الثانى وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة: ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه لم يخلق شيئاً مستحسناً الا من مادة سخيفة :فانه أخرج هذا الآدمى من نطفة : والطاووس من البيضة المدرة والطرافة الخضرا من الحبة العفنة : فالنظر ينبغى أن يكون الى قوة الفاعل وقدرته لا الى ضعف المواد : وبالنظر الى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد أرانا كالانموذج فى جمع التمزق فان فان سحالة (١) الذهب المتفرقة فى التراب الكثير اذا ألقى عليها قليل من زيبق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف بالقدرة الالهيـة التى من تأثيرها خلق كل شئ لامن شئ على أنا لو قدرنا ان نحيل هـذا التراب ما استحالة اليـه الابدان لم يضر بنفسه: لان الآدمى بنفسه لا ببدنه فانه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر الى كبر وهو هو : ومن أعجب الادلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدى أنبيائه ماهو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيواناً وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يد عيسى صلوات الله وسلامه عليه . قال المصنف : وقد زدنا هذا شرحا فى الرد على الفلاسفة (فصل) وقد لبس ابليس على أقوام شاهد واقدرة الخالق سبحانه ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا فى البعث فقال قائلهم (ولئن رُددت الى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً) وقال العاص بن وائل (لأوتين مالا وولدا) وانما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس ابليس عليهم فى ذلك: فقالوا ان كان بعث فنحن على خير: لان من أنعم علينا فى الدنيا بالمال لايمنعناه فى الآخرة قال المصنف : وهذا غلط منهم لانه يجوز أن يكون الاعطاء استدراجاً وعقوبة والانسان قد يحمى ولده ويطلق فى الشهوات عبده

---

(١) السحالة بالضم كالبرادة ماسقط من الذهب والفضة

﴿ ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ ﴾

قال المصنف : وقد لبس ابليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وان أرواح أهل الخير اذا خرجت دخلت فى أبدان خيرة فاستراحت وأرواح الشر تدخل فى أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر فى زمان فرعون موسى (وذكر أبو القاسم البلخى) ان أرباب التناسخ لما رأوا ألم الاطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها ليمتحن بغيرها أو ليتعوض أو لا لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى) ان الهند يقولون الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة فالمركبة هى الرب الاصغر والنفس هى الهيولى الاصغر العقل والرب الاكبر والهيولى هو أيضاً اكبر وان الانفس اذا فارقت الدنيا صارت الى الرب الاصغر وهو الهيولى المركب فان كانت محسنة صافية قبلها فى طبعه فصفاها حتى يخرجها الى الهيولى الاصغر وهو النفس حتى تصير الى الرب الاكبر فيتخلصه الى الهيولى المركب الاكبر : فان كان محسنا تام الاحسان أقام عنده فى العالم البسيط وان محسنا غير تام أعاده الى الرب الاكبر ثم يعيده الرب الاكبر الى الهيولى الاصغر ثم يعيده الهيولى الاصغر الى الرب الاصغر فيخرجه ممازجا لشعاع الشمس حتى ينتهى الى بقلة خسيسة يأكلها الانسان فيتحول انساناً ويولد ثانية فى العالم وهكذا تكون حاله فى كل موتة يموتها . (وأما المسيئون) فانهم اذا بلغت نفوسهم الى الهيولى الاصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح فى بهيمة ثم تنسخ من بهيمة فى أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخا متردداً فى العالم : ويعود كل ألف سنة الى صورة الانس : فان أحسن فى صورة الانس لحق بالمحسنين . قال المصنف : قلت فانظر الى هذه الترتيبات التى رتبها لهم ابليس على ماعن له لايستند الى شيء * أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزار قال أنبأنا علي بن المحسن عن أبيه قال حدثني أبو الحسن على بن نظيف المتكلم قال كان

يحضر معنا ببغداد شيخ الامامية يعرف بأبى بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديدا فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه أمي لا شك وانما تبكي من رؤيتها الى حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم عنه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له فهي تفهم عنك ماتخاطبها به فقال نعم فقلت أتفهم أنت صياحها قال لا قلت فأنت المنسوخ وهي الانسان

﴿ ذكر تلبيس ابليس على أمتنا فى العقائد والديانات ﴾

قال المصنف : دخل ابليس على هذه الامة فى عقائدها من طريقين أحدهما التقليد للآباء والاسلاف والثانى الخوض فيما لايدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول الى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط فأما الطريق الاول فان ابليس زين للمقلدين أن الادلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم : وقد ضل فى هذه الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس وان اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم : وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التى بها مدحوا التقليد بها يذم لانه اذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع فى ضلال : وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آباءهم وأسلافهم فقال عز وجل (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) المعنى أتتبعونهم وقد قال عز وجل (أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون)

قال المصنف : اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد وفى التقليد ابطال منفعة العقل لانه إنما خلق للتأمل والتدبر : وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشى فى الظلمة : واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال : وهذا عين الضلال لان النظر ينبغي

أن يكون الى القول لاالى القائل كما قال على رضي الله عنه للحرث بن حوط وقد قال له أيظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال ياحارث انه ملبوس عليك ان الحق لايعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله : وكان احمد ابن حنبل يقول من ضيق علم العالم أن يقلد فى اعتقاده رجلا : ولهذا أخذ احمدبن حنبل بقول زيد فى الجد وترك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فان قال قائل فالعوام لايعرفون الدليل فكيف لا يقلدون : فالجواب أن دليل الاعتقاد ظاهر على ماأشرنا اليه فى ذكر الدهرية ومثل ذلك لايخفى على عاقل وأما الفروعيات فانها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامى عرفانها وقرب له أمر الخطأ فيها كان أصلح مايفعله العامى التقليد فيها لمن قد سبر ونظر إلاأن اجتهاد العامى فى اختيار من يقلده

قال المصنف : وأما الطريق الثانى فان ابليس لما تمكن من الاغبياء فورطهم فى التقليد وساقهم سوق البهائم : ثم رأى خلقاًفيهم ذكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز: فساقهم الى مذهب الفلاسفة ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الاسلام وقد سبق ذكرهم فى الرد على الفلاسفة : ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد الا ماأدركته حواسه : فيقال لهؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم . فان قالوا انهم كابروا لان حواسنا لم تدرك ماقالوا إذ مايدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وان قالوا بغير الحواس . ناقضوا قولهم . ومنهم من نفره ابليس عن التقليد وحسن له الخوض فى علم الكلام والنظر فى أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام . وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم الى الشكوك وببعضهم الى الالحاد . ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الامة عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لايشفى غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه . حتى قال الشافعى رحمه الله لان يبتلى العبد بكل مانهى الله عنه

ماعدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام ، قال واذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد انه من أهل الكلام ولادين له . قال وحكى فى علماء الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام . وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبدا علماء الكلام زنادقة .

قال المصنف : قلت وكيف لايذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة الى أنهم قالوا ان الله عز وجل يعلم جمل الاشياء ولا يعلم تفاصيلها . وقال جهم بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة . وقال أبو محمد النوبختى عن جهم انه قال الله عز وجل ليس بشئ . وقال ابو على الجبائى وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين المعدوم شيء وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وان البارى سبحانه وتعالى لايقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرض عرضاً ولا الجوهر جوهرا وانما هو قادر على اخراج الذات من العدم الى الوجود . وحكى القاضى أبو يعلى فى كتاب المقتبس قال قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لايوصف الله بالقدرة على دفعه ولاتصح الرغبة حينئذ اليه ولا الرهبة منه لانه لايقدر اذ ذاك على خير ولا شر ولانفع ولا ضر . قال ويبقى أهل الجنة جمودا سكوتاً لاينطقون بكلمة ولا يتحركون ولايقدرون ولاربهم على فعل شيء من ذلك . لان الحوادث كلها لابد لها من آخر تنتهى اليه لايكون بعده شيء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

قال المصنف : قلت وذكر أبو القاسم عبد الله بن احمد بن محمد البلخى فى كتاب المقالات . ان أبا الهذيل اسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضي حركاتهم فيصيرون الى سكون دائم وان لما يقدر الله عليه نهاية لوخرج الى الفعل . ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره . وكان يقول ان علم الله هو الله وان قدرة الله هى الله . وقال أبو هاشم من تاب عن كل شيء الا أنه

شرب جرعة خمر فانه يعذب كعذاب أهل الكفر أبدا: وقال النظام ان الله عز وجل لايقدر على شئ من الشر وان ابليس يقدر على الخير والشر: وقال هشام الفوطى ان الله لايوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز على الله سبحانه الكذب الا انه لم يقع منه : وقالت الجبرة لاقدرة للآدمى بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل : وقالت المرجئة ان من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصى لم يدخل النار أصلا وخالفوا الاحاديث الصحاح فى اخراج الموحدين من النار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقا فان صلاح العالم باثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الاثبات وهى الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الاسلام

قال المصنف : قلت وتبع أبو عبد الله محمد بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الاحاديث أضعفها ومال الى التشبيه وأجاز حلول الحوادث فى ذات البارى سبحانه : وقال ان الله لايقدر على إعادة الاجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها :وقالت السالمية ان الله عزوجل يتجلى يوم القيامة لكل شئ فى معناه فيراه الآدمى آدميا والجنى جنيا: وقالوا لله سر لو أظهره لبطل التدبير

قال المصنف : قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة: وقد زعم أرباب الكلام انه لا يتم الايمان الا بمعرفة ما رتبوه وهؤلاء على الخطأ لان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالايمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجت الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك : وقد ورد ذم الكلام على ما أشرنا اليه :وقد نقل الينا أقلاع منطقى المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبيح غوائله * فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت نا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة ابن احمد بن محمد الحافظ ثنا احمد بن عبيد بن ابراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث قال سمعت احمد بن سنان قال : كان الوليد بن ابان الكرابيسي خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه تعلمون أحدا أعلم بالكلام منى قالوا لا قال :

فتهموني قالوا لا قال فاني أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فاني رأيت الحق معهم : وكان أبو المعالي الجويني يقول جبت أهل الاسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الاعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل الى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فان لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الاخلاص فالويل لابن الجويني : وكان يقول لاصحابه يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به : وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع ان الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وان رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت : قال وقد أفضى الكلام بأهله الى الشكوك وكثير منهم الى الالحاد ثم روائح الالحاد من فلتات كلام المتكلمين : واصل ذلك انهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل ادراك ما عند الله من الحكمة التي انفرد بها ولا أخرج الباري من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الامور : قال ولقد بالغت في الأول طول عمري ثم عدت القهقرى الى مذهب الكتب وانما قالوا ان مذهب العجائز أسلم لانهم لما انتهوا الى غاية التدقيق في النظر لم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة الهية فسلم : وبيان هذا أن تقول أحب ان يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال النفع هل دعاه داع الى افاضة الاحسان : ومعلوم أن الداعي عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك الا الذات يدخل عليها داخل من شوق الى تحصيل ما لم يكن لها وهي اليه محتاجة فاذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعي وذلك الجاهل مسمى غنى والقديم لم يزل موصوفا بالغنى منعوتاً بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم اذا نظرنا في انعامه رأيناه مشحونا بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فاذا رام العقل أن يعلل بالانعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل

قادر على الصفاء ولاصفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع مايقدرعلى تحصيله: وعن العجزعن دفع مايعرض لهذه الموجودات من الفساد فاذا عجزعن التعليل كان التسليم أولى: وانما دخل الفساد من أن الخالق اقتضاؤه الفوائد ودفع المضارعلى مقتضى قدرته: ولو سرجوا فى ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا فى بحبوحة التفويض بلا اعتراض (فصل) وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس فقال بعضهم ان الله جسم تعالى الله عن ذلك: وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلى بن منصور ومحمد بن الخليل ويونس بن عبد الرحمن: ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالاجسام: ومنهم من قال لا كالاجسام: ثم اختلفوا فمنهم من قال هو نور: ومنهم من قال على هيئة السبيكة البيضاء هكذا كان يقول هشام بن الحكم وكان يقول ان الاله سبعة أشبار بشبر نفسه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانه يرى ماتحت الثرى شعاع متصل منه بالمرئى وذكر أبو محمد النوبختى عن الجاحظ عن النظام ان هشام بن الحكم قال فى التشبيه فى سنه واحدة خمسة أقاويل قطع فى آخره ان معبوده اشبر نفسه سبعة أشبار: فان قوماً قالوا انه على هيئة السبيكة: وان قوما قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التى من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وقال هشام هو متناهى الذات حتى قال ان الجبل اكبر منه قال وله ماهية يعلمها هو

قال المصنف: وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً وذلك ينقض القول بالتوحيد: وقد استقر أن الماسة لاتكون الا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن ينفرد منها ويبان عنها والحق سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له ولايجوز أن يوصف بأن ذاته متناهية لاعلى معنى انه ذاهب فى الجهات بلا نهاية: انما المراد انه ليس بجسم ولاجوهر فتلزمه النهاية قال النوبختى وقد حكى كثير من المتكلمين ان مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحوارى يقولون ان الله صورة وأعضاء

قال المصنف: أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لايجوز

عندهم مايجوز على الآدميين من مرض أو تلف: ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الاجسام فيدلك بذلك على أن الاله هو الذى اعتقدته جسما محدثا غير قديم: ومن قول المجسمة ان الله عز وجل يجوز أن يمس ويلمس: فيقال لهم فيجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم انه جسم هو فضاء والاجسام كلها فيه: وكان بيان بن سمعان يزعم ان معبوده نور كله وانه على صورة رجل وانه يهلك جميع أعضائه الا وجهه فقتله خالد بن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلى يزعم ان معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله اعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء: وكان هذا يقول بامامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وكان زرارة بن اعين يقول لم يكن البارى عالما قادراً حياً فى الازل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك: وقال داود الجوارى هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه الى صدره ومصمت ماسوى ذلك: ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا هو العرش بذاته على وجه المماسة فاذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبى صلى الله عليه وسلم ينزل الله الى سماء الدنيا: قالوا ولا ينزل الا من هو فوق: وهؤلاء حملوا نزوله على الامر الحسى الذى يوصف به الاجسام: وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول الى علم الأصول. وربما يخايله بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيمة ماتراه فى الاشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن: فتراه يتنفس من الشوق اليه ويمثل الزيادة فيزداد توقه ويتصور رفع الحجاب فيعلق ويتذكر الرؤية فيغشى عليه: ويسمع فى الحديث انه يدنى عبده المؤمن اليه: فيتخايل القرب الذاتى كما يجالس الجنس: وهذا كله جهل بالموصوف: ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ويبقى وجه ربك وله يد وله أصبع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع السموات على أصبع وله قدم الى غير ذلك مما تضمنته الاخبار

وهذا كله انما استخرجوه من مفهوم الحس : وانما الصواب قراءة الآيات والاحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها ومأثور من هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا انه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى وجه ربك وقالوا فى قوله يريدون وجهه يريدونه ومايؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين أصبعين ان الاصبع لما كانت هى القبلة للشئ وأن ما بين الاصبعين يتصرف صاحبها فيها كيف شاء ذكر ذلك لا ان ثم صفة زائدة

قال المصنف : والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضا الا أنه يجوز أن يكون مرادا ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزئ والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية أن الميت يأكل فى القبر ويشرب وينكح لانهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم الا هذا ولو قنعوا بما ورد فى الآثار من أرواح المؤمنين وتحصلها فى حواصل طير تأكل من شجر الجنة لسلموا لكنهم أضافوا ذلك الى الجسد :قال ابن عقيل ولهذا المذهب مرض يضاهي الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه فى الهام والصدا والمكالمة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراه لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فان المقاومة تفسدهم :وانما لبس ابليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل : فانه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الاضافة حصلت الى الاجساد والقبور تعريفا كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار

(فصل) قال المصنف : فان قال قائل قد عبت طريق المقلدين فى الأصول وطريق المتكلمين : فما الطريق السليم من تلبيس ابليس : فالجواب انه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعوهم باحسان من اثبات الخالق سبحانه واثبات صفاته على ما وردت به الآيات والاخبار من غير تفير ولا بحث عما ليس فى قوة البشر ادراكه: وان القرآن كلام الله غير مخلوق . قال على كرم الله وجهه :والله ماحكمت مخلوقا انما حكمت القرآن وانه المسموع لقوله عز وجل حتى يسمع كلام الله وانه فى المصاحف لقوله عزوجل فى رق

منشور ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم فى ذلك برأينا : وقد كان احمد ابن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف الى حدث

والعجب ممن يدعي اتباع هذا الامام ثم يتكلم فى المسائل المحدثة* أخبرنا سعد الله بن علي البزار نا أبو بكر الطريثيثي نا هبة الله بن الحسن الطبري نا أبو حامد احمد بن أبي طاهر الفقيه نا عمر بن احمد الواعظ ثنا محمد بن هرون الحضرمي ثنا القاسم بن العباس الشيباني ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر* وقال مالك بن أنس من قال القرآن مخلوق فيستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه . أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا احمد بن علي الطريثيثي نا هبة الله الطبري ثنا محمد بن احمد بن القاسم ثنا احمد بن عثمان ثنا محمد بن ماهان ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل: وسأله عن الاهواء فقال عليك بدين الصبي فى الكتاب والاعرابي واله عما سواها قال ابن مهدي وثنا عبد الله ابن المبارك عن الاوزاعي قال . قال : عمر بن عبد العزيز اذا رأيت قوما يتناجون فى دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن احمد بن الحسن ثنا بشر موسى ثنا خلاد بن يحيي عن سفيان الثوري: قال بلغني عن عمر أنه كتب الى بعض عماله أوصيك بتقوى الله عز وجل: واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد كفوا مؤنته : واعلم أن من سن السنن قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق فان السابقين الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد كفوا: وفى رواية أخرى عن عمر: وانهم كانوا على كشف الامور أقوى وما أحدث الا من تبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام فجفوه وطمح عنهم آخرون فغلوه* أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا بشر بن موسى ثنا عبد الصمد بن

حسان قال . سمعت سفيان الثوري يقول عليكم بما عليه الحمالون والنساء في البيوت والصبيان في الكتاب من الاقرار والعمل

قال المصنف : فان قال قائل هذا مقام عجز لا مقام الرجال : فقد أسلفنا جواب هذا : وقلنا ان الوقوف على العمل ضرورة لان بلوغ مايشفي العقل التعليل ثم يدركه من غاص من المتكلمين في البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الخوارج ﴾

قال المصنف : أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا محمد بن فضيل ثنا عمارة بن القعقاع عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : بعث علي رضى الله عنه من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة في أديم مقروظ (١) لم تحصل من ترابها فقسمها رسول الله صلى الله علية وسلم بين أربعة بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبهة كث اللحية مشمر الازار محلوق الرأس فقال اتق الله يارسول الله فرفع رأسه اليه فقال ويحك أليس أحق الناس أن يتقي الله أنا ثم أدبر فقال خالد يارسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعله يكون يصلي فقال انه رب مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقف فقال أما انه سيخرج من ضئضئ (٢) هذا

---

(١) المقروظ المدبوغ بالقرظ وقوله لم تحصل أي تميز

(٢) الضئضيء وهو بضادين معجمتين مكسورتين واخره مهموز وهو

قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

قال المصنف : هـذا الرجل يقال له ذو خويصرة التميمي وفي لفظ قال أعدل فقال ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل فهذا أول خارجي خرج في الاسلام وآفته أنه رضي برأى نفسه ولو وقف لعلم أنه لارأى فوق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: وذلك انه لما طالت الحرب بين معاوية وعلي رضي الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب علي الى مافيها وقال : تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا :ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله عز وجل : فقال الناس قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحاب علي ابعث أبا موسي فقال علي لاأرى أن أولى أبا موسى : هذا ابن عباس قالوا لانريد رجلا منك فبعث أبا موسى وأخر القضاء الى رمضان فقال عروة بن أذينـة تحكمون في أمر الله الرجال لاحكم الا لله: ورجع علي من صفين فدخل الـكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء (١) فنزل بها منهـم اثنا عشر الفا وقالوا لاحكم الا لله وكان ذلك أول ظهورهم ونادى مناديهم أن أمير القتال شبيب بن ربعى التميمي وأمير الصلاة عبـد الله بن الـكوا اليشكري : وكانت الخوارج تتعبد الا أن اعتقادهم انهـم أعلم من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مرض صعب اخبرنا اسماعيل بن احمد نا محمد بن هبة الله الطبرى نا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه نا يعقوب بن سفيان ثني موسى بن مسعود ثنا عكرمة بن عمار عن سماك أبي رميل قال .. قال عبـد الله بن عباس أنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب فـكان لايزال يجيء انسان فيقول يا أمير المؤمنين ان القوم خارجون عليك فيقول دعوهم فاني لاأقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون فلما

اصل الشيء وروى بالمهملتين

(١) وحروراء قرية بالعراق قريبة من الـكوفة

كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم: فقال اني أخاف عليك: فقلت كلا! وكنت رجلا حسن الخلق لاأؤذي أحداً : فأذن لي فلبست حلة من أحسن مايكون من اليمن وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً : جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن(١) الابل: وعليهم قمص مرخصة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم فقالوا مرحبا بابن عباس ماجاء بك : فقلت أتيتكم من عند المهاجرين والانصار ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم: فقالت طائفة منهم لاتخاصموا قريشا فان الله عزوجل يقول(بل هم قوم خصمون) فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه : فقلت هاتوا مانقمتم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد: وهم أعلم بتأويله : قالوا ثلاثاً : قلت هاتوا : قالوا: اما إحداهن فانه حكم الرجال في أمر الله: وقد قال الله عزوجل (ان الحكم لا لله) فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عزوجل: فقلت هذه واحدة وماذا: قالوا وأما الثانية فانه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل لنا سبيهم قلت وما الثالثة : قالوا فانه محى نفسه من أمير المؤمنين فانه ان لم يكن أمير المؤمنين فانه لأمير الكافرين: قلت هل عندكم غير هذا: قالوا كفانا هذا :قلت لهم أما قولكم حكم الرجال في أمر الله أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ماينقض هذا : فاذا نقض قولكم أترجعون قالوا نعم قلت فان الله قد صير من حكمه الي الرجال في ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية (لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) الى آخر الآية وفي المرأة وزوجها (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) الى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في اصلاح ذات بينهم وفي حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة فأيهما

(١) الثفن جمع ثفنة ركبة البعير وغيرها مما يحصل فيه غلظ من أثر البروك

ترون أفضل : قالوا بل هـذه : قلت خرجت من هذه : قالوا نعم : قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضي الله تعالى عنها : فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الاسلام : ووالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الاسلام : فأنتم بين ضلالتين لان الله عز وجل قال (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) أخرجت من هذه : قالوا نعم : قلت وأما قولكم محى نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو : فقال لعلي رضى الله عنه اكتب لهم كتابا فكتب لهم علي : هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون والله ما نعلم انك رسول الله لو نعلم انك رسول الله ماقاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم انك تعلم انى رسول الله امح ياعلى: اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله فوالله لرسول الله خير من على وقد محى نفسه : قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا * أخبرنا أبو منصور القزار نا ابوبكر احمد بن على بن ثابت نا ولاد بن على الكوفى نا محمد ابن على بن دحيم الشيبانى ثنا احمد بن حازم ثنا احمد بن عبد الرحمن يعنى ابن أبى ليلى ثنا سعيد بن خثيم عن القعقاع بن عمارة عن أبى الخليل عن أبى الشائمة عن جندب الازدى : قال لما عد لنا الى الخوارج ونحن مع على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال فانتهينا الى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن

قال المصنف : وفى رواية أخرى أن علياً رضى الله عنه لما حكم أتاه من الخوارج زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فدخلا عليه فقالا له لا حكم إلا لله: فقال على لاحكم إلا لله فقال له حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما

ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن: وينسبون الى حكم القرآن: أن تكون هذه الدنيا التي ايثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا: فكتب اليهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أما بعد فان هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما ونحن على الأمر الاول. فكتبوا اليه انك لم تغضب لربك وانما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك. والا فقد نابذناك على سواء ولقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب فقال هل سمعت من أبيك حديثاً تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه قال نعم سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم: والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فان أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول: قالوا أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله قال نعم فقدموه الى شفير النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل: وبقروا أم ولده عما في بطنها وكانت حبلى ونزلوا تحت نخل مواقير بنهروان فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها في فيه: فقال أحدهم أخذتها بغير حدها وبغير ثمنها فلفظها من فيه: واخترط أحدهم سيفه فأخذ يهزه فضرب به خنزيرا يجربه فيه وكان لأهل الذمة فقالوا هذا فساد في الارض فلقي صاحب الخنزير فأرضاه في ثمنه: قال فبعث اليهم علي رضي الله عنه اخرجوا الينا. قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله: فناداهم ثلاثا كل ذلك يقولون هذا القول: فقال علي رضي الله عنه دونكم القوم: فما لبثوا أن قتلوهم وكان وقت القتال يقول بعضهم لبعض تهيأ للقاء الرب الرواح الرواح الى الجنة! وخرج على علي رضي الله عنه بعدهم جماعة منهم فبعث اليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبد الرحمن بن ملجم باصحابه وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا والله ماقنعنا بالبقاء في الدنيا شيئاً بعد اخواننا الذين كانوا لايخافون في الله لومة لائم فلو أنا شرينا أنفسنا لله والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال فثأرنا بهم اخواننا

وأرحا منهم العباد * أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار نا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد عن أشياخ له . فقالوا انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم والبرك ابن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا لنقتلن هؤلاء الثلاثة عليا ومعاوية وعمرو بن العاص ونريح العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو أنا لكم بعمرو فتواثقوا لا ينقض رجل منهم رجلا عن صاحبه : فقدم ابن ملجم الكوفة فلما كانت الليلة التي عزم على قتل علي رضي الله عنه فيها خرج علي رضي الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه : فقال علي رضي الله عنه لا يفوتنكم الرجل فاخذ : فقالت ام كلثوم ياعدو الله قتلت امير المؤمنين : فقال ماقتلت الا اباك : قالت والله اني لارجو انلا يكون على امير المؤمنين بأس قال فلم تبكين اذن ثم قال والله لقد سممته شهرا يعني سيفه فان اخلفني فابعده الله واسحقه : فلما مات علي رضي الله عنه اخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبد الله ابن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم : فكحل عينيه بمسمار محمى : فلم يجزع وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى ختمها وان عينيه لتسيلان : فعولج على قطع لسانه فجزع : فقيل له لم تجزع فقال اكره أن أكون في الدنيا فواقا لا اذكر الله وكان رجلا اسمر في جبهته أثر السجود لعنه الله

قال المصنف قلت ولما اراد الحسن رضي الله عنه ان يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان: وقال اشركت كما اشرك ابوك ثم طعنه في أصل فخذه : ومازالت الخوارج تخرج على الامراء ولهم مذاهب مختلفة : وكان اصحاب نافع بن الازرق يقولون نحن مشركون مادمنا في دار الشرك فاذا خرجنا فنحن مسلمون: قالوا ومخالفونا في المذهب مشركون: ومرتكبوا الكبائر مشركون والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرة واباح هؤلاء قتل النساء

والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك : وكان يحيى بن عامر الثقفي من القوم فخالف نافع ابن الازرق وقال بتحريم دماء المسلمين واموالهم: وزعم ان اصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون في غير نار جهنم وان جهنم لا يعذب بها الا مخالفوه في مذهبه وقال ابراهيم الخوارج قوم كفار وتحل لنا مناكحتهم وموارثتهم كما كان الناس في بدء الاسلام : وكان بعضهم يقول لو ان رجلا اكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار : ولو قتله اوقطع يديه او بقر بطنه لم تجب له النار : لأن الله عز وجل اوعد على ذلك النار

قال المصنف ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لم أر التطويل بذكرها وانما المقصود النظر في حيل ابليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بوائقهم واعتقدوا أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والانصار على الخطأ وأنهم على الصواب : واستحلوا دماء الاطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها : وتعبوا في العبادات وسهروا : وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر : واستحل قتل علي كرّم الله وجهه : ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه : فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعدل فما عدلت : وما كان ابليس ليهتدي إلى هذه المخازي نعوذ بالله من الخذلان أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثني أبي قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحيي بن سعيد عن محمد بن ابراهيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة (١) . أخرجاه في الصحيحين * أخبرنا سعد الله بن علي نا أبو بكر الطريثيثي ثنا هبة الله بن الحسن الطبري نا أحمد بن عبيد ثنا علي بن عبد الله بن مبشر ثنا أحمد بن سنان ثنا اسحاق

(١) الرمية الصيد الذي ترميه فينفذ فيه السهم

ابن يوسف الازرق عن الاعمش عن عبد الله بن أبي أوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب أهل النار

(فصل) قال المصنف ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الامامة بشخص الا أن يجتمع فيه العلم والزهد فاذا اجتمعا كان اماماً ولو كان نبطياً (١) ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقبيح الى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدرية فى زمن الصحابة : وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم الى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهني واصل بن عطاء وانضم اليه عمرو بن عبيد . وفي ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة : ثم طالعت المعتزلة مثل أبى الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ كتب الفلاسفة في زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون : وأول مسألة أظهروها القول بخلق القرآن : وحينئذ سمى هذا الفصل فصل علم الكلام :وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر : فقال قوم هى معانى زائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته : وكان أبو الحسن الاشعرى على مذهب الجبائي ثم انفرد عنه الى مثبتي الصفات : ثم أخذ بعض مثبتي الصفات فى اعتقاد التشبيه واثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء

(ذكر تلبيسه على الرافضة) قال المصنف وكما لبس ابليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على بن أبي طالب : حمل اخرين على الغلو فى حبه : وزادوه على الحد فمنهم من كان يقول هو الآله : ومنهم من يقول هو خير من الانبياء : ومنهم من حمله على سب أبي بكر وعمر حتى أن بعضهم كفر أبا بكر وعمر الى غير ذلك من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها : وانما نشير الى بعضها * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال حدث

(١) النبطي نسبة إلى النبط بفتحتين اخلاط الناس وعوامهم

أبو يعقوب اسحق بن محمد النخعي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة وأبي عثمان المازني وغيرهما وسمعت عبد الواحد بن علي بن برهان الاسدي يقول اسحق ابن محمد النخعي الاحمر كان يقول : ان علياً هو الله : تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا : وبالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالاسحاقية ينسبون اليـه : قال الخطيب ووقع الى كتاب لأبي محمد الحسن بن يحيي النوبختي من تصنيفه في الرد على الغلاة : وكان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الامامية : فذكر أصناف مقالات الغـلاة الى أن قال وقد كان ممن جرد الجنون في الغلو في عصرنا : اسحاق بن محمد المعروف بالاحمر كان يزعم أن عليا هو الله عز وجل : وأنه يظهر في كل وقت فهو الحسن في وقت وكذلك هو الحسين : وهو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم

قال المصنف . قلت : وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين : وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومنهم من يقول بالتبرى من غير علي : وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن علي بالتبرى ممن خالف علياً في امامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة : ومنهم أقوام قالوا الامامة في موسى بن جعفر ثم في ابنه علي ثم الى محمد بن علي ثم الى علي بن محمد ثم الى الحسن بن محمد العسكري ثم الى ابنه محمد وهو الامام الثاني عشر الامام المنتظر الذي يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع في آخر الزمان فيملأ الارض عدلا : وكان ابو منصور العجلي يقول بانتظار محمد بن علي الباقر ويدعي أنه خليفة : وأنه عرج به الى السماء فمسح الرب بيده على رأسه : وزعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ذي الجناحين يقولون أن روح الاله دارت في أصلاب الأنبياء الى أن أنتهى الى عبد الله وأنه لم يمت : وهو المنتظر : ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة علي في النبوة : وطائفة يقال لها المفوضة يقولون أن الله عز وجل خلق محمدا ثم فوض خلق العالم اليه

وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول الى على فنزل الى محمد: ومنهم من يقول ان أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل على رضى الله عنه قال أنا من أولاد على رضى الله عنه: فقال يا أمير المؤمنين اعدنى على من ظلمنى :قال ومن ظلمك قال أنا من أولاد على رضى الله عنه والذى ظلمنى أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فدكا من فاطمة قال ودام على ظلمكم قال نعم: قال ومن قام بعده قال عمر رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم قال ومن قام بعده قال عثمان رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم: قال ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانا يهرب اليه . قال ابن عقيل الظاهر ان من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن فى أصل الدين والنبوة وذلك ان الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر غائب عنا وانما نثق فى ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين الى ذلك منهم : فكاننا نظرنا اذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فاذا قال قائل انهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة وابنته فى إرثها وما هذا الا لسوء اعتقاد في المتوفي : فان الاعتقادات الصحيحة سيما فى الانبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما في أهليهم وذريتهم : فاذا قالت الرافضة ان القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا في الشرع : لانه ليس بيننا وبينه الا النقل عنهم والثقة بهم :فاذا كان هذا محصول ماحصل لهم بعد موته خبنا فى المنقول: وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول : ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه الا الأقل من أهله : فطاحت الاعتقادات : وضعفت النفوس : عن قبول الروايات فى الاصل وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة

قال المصنف وغلوّ الرافضة فى حب على رضي الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه : وقد ذكرت منها

جملة في كتاب الموضوعات: منها أن الشمس غابت ففاتت عليا صلاة العصر فردت له الشمس: وهذا من حيث التقليد محال :لم يروه ثقة من حيث المعنى وأن الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت : وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفي بذلك الغسل: وهذا من حيث النقل كذب : ومن حيث المعنى قلة فهم:لان الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لا يسندونها الى مستند: ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الاجماع : فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيـل : قال نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الامامية: منها انه لايجوز السجود على ماليس بأرض ولا من نبات الارض : فاما الصوف والجلود والوبر فلا . وأن الاستجمار لايجزئ في البول بل في الغائط خاصة: ولا يجزئ مسح الرأس الا بباقي البلل الذي في اليد فان استأنف للرأس بللا مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج الى استئناف الطهارة : وانفردوا بتحريم من زنى بها وهي تحت زوج أبدا فلو طلقها زوجها لم تحل للزاني بها بنكاح أبدا : وحرموا الـكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وأن وجد شرطه: وأن الطلاق لا يقع الا بحضور شاهدين عدلين: وأن من نام عن صلاة العشاء الى أن مضى نصف الليل وجب عليه اذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائما كفارة لذلك التفريط: وأن المرأة اذا جزت شعرها فعليها الـكفارة مثل قتل الخطاء: وأن من شق ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين . وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لايعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم . وأن شارب الخمر اذا حد ثانية قتل في الثالثة . ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر . وأن قطع السارق من أصول الاصابع ويبقى له الـكف فان سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى: فان سرق الثالثة خلد في الحبس الى أن يموت . وحرموا السمك الجري. وذبائح أهل الـكتاب. واشترطوا في الذبح استقبال القبلة . في مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الاجماع وسول لهم ابليس وضعها على وجه لا يستندون فيه الى اثر ولا قياس . بل

الى الواقعات ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى : وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم فى الوضوء والجماعة لطلبهم اماما معصوما وابتلوا بسب الصحابة . وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو نفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه : وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحى بن على قالا اخبرنا محمد بن أحمد بن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوى ثنا محمد بن عباد المكى ثنا محمد بن طلحة المدينى عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ان الله اختارنى واختار لي أصحابا فجعل لى منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا .

قال المصنف والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة .أخبرنا أبو البركات ابن على البزار نا أبو بكر الطريثيثي نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا عبيد الله ابن محمد بن احمد نا على بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحى ثنا أبى ثنا الحسن ابن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سويد بن غفلة قال مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على على بن أبى طالب فقلت يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بغير الذى هماله أهل ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما أجترؤا على ذلك: قال على :أعوذ بالله أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذى ائتمنى النبي عليه :لعن الله من اضمر لهما الا الحسن الجميل اخوا رسول الله وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العينين يبكى قابضا على يدى حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه متمكنا قابضا على لحيته وهو ينظر فيها وهي بيضاء حتى اجتمع لنا الناس : ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة : ثم قال ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى

المسلمين بما أنا عنه متنزه : ومما قالوه برىء : وعلى ما قالوا معاقب : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما الا مؤمن تقى ولا يبغضهما الا فاجر شقى صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى غير رأيهما: ولا يحب كحبهما أحدا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهما : ومضيا والمؤمنون عنهما راضون : امّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده : ولاه المؤمنون ذلك : وفوضوا اليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين : وأنا أول من سنّ له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحدا كفاه ذلك . وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأسنه ورعا وأقدمه سنا واسلاما . شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائيل رأفة ورحمة وبابراهيم عفوا ووقارا فسار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه .

ثم ولى الامر بعده عمر رضى الله عنه وكنت فيمن رضى . فأقام الامر على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل اثر امه وكان والله رفيقا رحيما بالضعفاء ناصرا للمظلومين على الظالمين. لا يأخذه فى الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه : وجعل الصدق من شأنه : حتى ان كنا لنظن أن ملكا ينطق على لسانه أعز الله باسلامه الاسلام. وجعل هجرته للدين قواما ألقى له فى قلوب المنافقين الرهبة. وفى قلوب المؤمنين المحبة: شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل فظا غليظا على الاعداء: فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضى على سبيلهما فمن أحبنى فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه برىء : ولو كنت تقدمت اليكم فى أمرهما لعاقبت فى هذا أشد العقوبة الا فمن أوتيت به بقول بعد هذا اليوم : فان عليه ما على

المفترى : الا وخير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : ثم الله أعلم بالخير أين هو : أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم * أخبرنا سعد الله بن على نا الطريثيثي نا هبة الله الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن أبى خباب الكلبي عن أبى سليمان الهمدانى عن على كرم الله وجهه قال يخرج فى آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل فانهم مشركون

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الباطنية ﴾

قال المصنف الباطنية قوم تستروا بالاسلام . ومالوا الى الرفض . وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام . فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم . بل يزعمون أن الله حق وأن محمدا رسول الله والدين صحيح : لكنهم يقولون بذلك سرا غير ظاهر وقد تلاعب بهم ابليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء

الاسم الاول الباطنية سموا بذلك لانهم يدعون أن لظواهر القرآن والاحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صورا جلية وهى عند العقلاء رموز واشارات الى حقائق خفية وان من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والاسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها على بحث الاغلال التى هى تكليفات الشرع : ومن ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه . وقالوا وهم المرادون بقوله (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ومرادهم أن ينزعوا من العقايد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على ابطال الشرايع

الاسم الثانى الاسماعيلية نسبوا الى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل

ابن جعفر ويزعمون أن دور الامامة انتهى اليه . لأنه سابع واحتجوا بأن السموات سبع والارضين سبع وايام الاسبوع سبعة . فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة. وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه علي ثم محمد بن علي ثم ابراهيم ثم السفاح ثم المنصور * وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه قال قال علي بن محمد عن أبيه أن رجلا من الراوندية كان يقال له الابلق وكان ابرص . فبكى بالغلو ودعا الراوندية اليه وزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم في الأئمة واحدا بعد واحد الى ابراهيم بن محمد . واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة الى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته . فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل ذلك فيهم الى اليوم وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون فلا يبلغون الارض الا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس في السلاح وأقبلوا يصيحون بأبي جعفر انت

الاسم الثالث السبعية لقبوا بذلك لامرين أحدهما اعتقادهم أن دور الامامة سبعة سبعة على ما بينا. وأن الانتهاء الى السابع هو آخر الادوار وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب الادوار لا آخر له والثاني لقولهم ان تدبير العالم السفلي منوط بالكواكب السبعة . زحل . ثم المشترى ثم المريخ . ثم الزهرة ثم الشمس . ثم عطارد . ثم القمر

الاسم الرابع البابكية قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمي وكان من الباطنية . وأصله أنه ولد زنا فظهر في بعض الجبال بناحية اذربيجان سنة احدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستعجل أمرهم واستباح المحظورات وكان اذا علم أن عند أحد بنتا جميلة أو أختا جميلة طلبها فان بعثها اليه والا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين الفا وقيل خمسا وخمسين الفا وخمسماية انسان وحاربه السلطان وهزم خلقا من الجيوش حتى بعث المعتصم قسين فحاربه فجاء ببابك وأخيه في سنة ثلاث

وعشرين : فلما دخلا قال لبابك أخوه يا بابك قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد . فقال سترى صبري فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت في الشجاعة كذا وكذا فما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعاً من الموت فقال لا . ولكني لما قطعت أطرافي نزف الدم. فخفت أن يقال عني أنه اصفر وجهه جزعاً من الموت قال فيظن ذلك بي فسترت وجهي بالدم كيلا يرى ذلك مني . ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقي من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة في السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم يتناهضون للنساء فيثب كل رجل منهم الى امرأة ويزعمون أن من احتوى على امرأة يستحلها بالاصطياد لان الصيد مباح

الاسم الخامس المحمرة قال المصنف سموا بذلك لانهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ولبسوها

الاسم السادس القرامطة . قال المصنف والمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان أحدهما أن رجلا من ناحية خورستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا الى امام من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل على رجل يقال له كرميتة لقب بهذا لحمرة عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح الى مكانه . فلما طلب فلم يوجد فزاد افتتان الناس به فخرج الى الشام فسمي كرميتة باسم الذي كان نازلا عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده .والثاني أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا قرامطة وقرمطية . وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل الى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريق وهو متوجه الى قرية وبين

يديه بقر يسوقها . فقال حمدان لذلك الراعي وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هـذا لئلا تتعب فقال انى لم اؤمر بذلك فقال وكأنك لا تعمل الا بامر قال نعم قال وبامر من تعمل قال بامر مالكي ومالكك ومالك الدنيا والآخرة. فقال ذلك اذن هو الله رب العالمين. قال صدقت قال له فما غرضك فى هذه القرية التى تقصدها قال أمرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ومن الضلالة الى الهدى ومن الشقاء الى السعاده. وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد : فقال له حمدان أنقذنى أنقذك الله وأفض على من العلم ما تحيينى به فما أشد احتياجى الى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون الى كل أحد الا بعد الثقة به والعهد اليه . فقال اذكر عهدك فانى ملتزم له . فقال له أن تجعل لى وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه الا تخرج سر الامام الذى القيه اليك ولا نفس سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعى فى تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلا من أصول هذه البدعة فسمى أتباعه القرامطة والقرمطية : ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجل يقال له أبو سعيد ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين. وقوى أمره وقتل ما لا يحصى وخرب المساجد. وأحرق المصاحف. وفتك بالحاج وسن لاهله وأصحابه سنناً وأخبرهم بمحالات، وكان اذا قاتل يقول وعدت النصر فى هذه الساعة فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص ، وقالوا اذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرساً وخلعة ثياب وسلاحا وقد سول ابليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكباً وان لم يكن فرس حشر ماشياً . وكان أصحاب أبى سعيد يصلون عليه اذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون نأكل رزق أبى سعيد ونصلى على أبى القاسم وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ مافيها من الذخائر وقلع الحجر الاسود فحمله الى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل

الاسم السابع الخرمية وخرم لفظ أعجمى ينبىء عن الشىء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الانسان له . ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطى بساط التكاليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الاسم لقبا للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس الذين نبغوا فى ايام قباذ وأباحوا النساء المحرمات . واحلو كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم اياهم فى نهاية هذا المذهب وان خالفوهم فى مقدماته

الاسم الثامن التعليمية لقبوا بذلك لان مبدأ مذهبهم أبطال الرأى وافساد تصرف العقول ودعاء الخلق الى التعليم من الامام المعصوم وانه لا يدرك العلوم الا بالتعليم

(فصل) فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هـذه البدعة قال المصنف اعلم ان القوم ارادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفه فى استنباط تدبير يخفف عنهم مانابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى اخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من انكار الصانع وتكذيب الرسل وجحـد البعث . وزعمهم ان الانبياء مخرفون ومنمسون ورأو أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار فى الاقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أركاهم عقلا وأسخفهم رأياً وأقبلهم للمحالات والتصديق بالاكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب اليهم ونتوددوا اليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا اليهم الشريعة فاذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا الى ما نقلوه فأمكن استدراجهم الى الانخداع عن الدين فان بقى منهـم معتصم بظواهر القرآن والاخبار أفهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخـدع بظواهرها أحمق وانما الفطنـة فى اعتقاد بواطنها ثم نبث اليهـم عقائدنا ونزعم انها المراد بظواهرها عنـدكم فاذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق . ثم قالوا وطريقنا ان

تختار رجلا ممن يساعد على المذهب ويزعم انه من أهل البيت وانه يجب على كافة متابعيه ويتمين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل : ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسمناه بالعصمة : فان قرب الدار يهتك الاستار . واذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة ان يفتش عن حال الامام أو يطلع على حقيقة أمره . وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على اموال الناس : والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب اموالهم قديما فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم :

(فصل) قال المصنف : وللقوم حيل فى استزلال الناس فهم يميزون من يجوزان يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه . فاذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه : فان كان مائلا الى الزهد دعوه الى الامانة والصدق وترك الشهوات : وان كان مائلا الى الخلاعة قرروا فى نفسه ان العبادة بله . وان الورع حماقة . وانما الفطنة فى اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية : ويثبتون عند كل ذى مذهب مايليق بمذهبه : ثم يشكونه فيما يعتقده فيستجيب لهم اما رجل ابله أورجل من أبناء الأكاسرة واولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة اسلافه بدولة الاسلام أو رجل يميل الى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله . أوشخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق : أو رافضى يتدين بسب الصحابة رضى الله عنهم : أوملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين فى الدين . أو من قد غلبت عليه حب اللذات . وثقل عليه التكاليف

(فصل) فى ذكر نبذة من مذاهبهم . قال أبو حامد الطوسى : الباطنية قوم يدعون الاسلام ويميلون الى الرفض . وعقائدهم واعمالهم تباين الاسلام . فمن مذهبهم القول بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان الا ان احدهما علة لوجود الثانى . قالوا : والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو

موجود ولا هو معدوم ، ولا هو معلوم ولا هو مجهول : ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثاني : وهو أول مبدع : ثم حديث النفس الكلية : وعندهم ان النبي عليه السلام عبارة عن شخص(١) فاضت عليه من السابق بواسطة الثاني قوة قدسية صافية : وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص : واتفقوا على أنه لابد فى كل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع اليه فى تأويل الظواهر مساوى النبي عليه السلام فى العصمة ، وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشيء الى أصله وعود النفس الى أصلها : وأما التكليف : فالمنقول عنهم الاباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا اذا حكي عنهم وانما يقرون بانه لابد للانسان من التكليف : فاذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف : ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما الى مخاريق زخرفوها اذ لو صرحوا بالنفي المحض لقتلوا : فقالوا معنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء السر : ومعنى الغسل : تجديد العهد على من فعل ذلك : ومعنى الزنا القاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد : والصيام الامساك عن كشف السر والكعبة هى النبي : والباب عليّ : والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة حرز الذى يحصن به من استجاب لدعوته : ونار ابراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقيه : وذبح اسحاق معناه أخذ العهد ، عليه وعصى موسى حجته : ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر : وذكر غيره أنهم يقولون ان الله عز وجل لما أوجد الارواح ظهر لهم فيما بينهم : فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسي : والمقداد : وأبو ذر وأول المنكرين الذى يسمى ابليس : عمر بن الخطاب : فى خرافات ينبغى أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وانما اخترعوا بواقعاتهم

(١) ومن هذا القول الفاسد انتحل البهائيون مذهبهم فضلوا وأضلوا ،

ما أرادوا : فان اتفقت مناظرة لاحدهم فليقل له أعرفتم هـذه الاشياء التى تذكرونها عن ضرورة : أو عن نظر : أو عن نقل عن الامام المعصوم : فان قلتم ضرورة : فكيف خالفـكم ذووا العقول السليمة : ولو ساغ للانسان أن يهدى بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جاز تخصيصه بدعوى الضرورة فى نقض ما ادعاه : وان قلتم بالنظر فالنظر عنـدكم باطل : لانه تصرف بالعقل وقضاء العقول عندكم لا يوثق بها : وان قلتم عن امام معصوم قلنا فما الذى دعاكم الى قبول قوله بلا معجزة : وترك قول محمد صلى الله عليه وسـلم مع المعجزات : ثم مايؤمنكم أن يكون ماسمع من الأمام المعصوم له باطن غير ظاهر : ثم يقال لهم هـذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها : فان قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتمها محمد صلى الله عليه وسلم : وان قالوا يجب إخفاؤها قلنا ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لـكم إفشاؤه : قال ابن عقيل هلك الاسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية : فأما أهل البواطن فانهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شىء الا وقـد وضعوا وراءه معنى : حتى أسقطوا ايجاب الواجب : والنهى عن المنهى : وأما أهل الظاهر فانهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله: فحملوا الاسماء والصفات على ما عقلوه : والحق بين المنزلتين : وهو أن نأخذ بالظاهر مالم يصرفنا عنـه دليل : ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع

قال المصنف: ولو لقيت مقدم هـذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالـكا معه طريق العلم : بل التوبيخ والازراء على عقله وعقول أتباعه : بأن أقول أن للآمال طرقا تسلك ووجوها توصل : ووضع الامل فى جهة اليأس حمق ومعلوم أن هذه الملل التى قد طبقت الارض أقربها شريعة الاسلام التى تتظاهرون بها : وتطمعون فى إفسادها قد تمكنت تمكناً يكون الطمع فى تمحيقها فضلا عن ازالتها حمقاً : فلها تجمع كل سنة بعرفة وتجمع كل أسبوع فى الجوامع

وجمع كل يوم فى المساجد : فتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الامر الظاهر : فى الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين الوف منا بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله : وغاية ما أنتم عليه حديث فى خلوة : أو متقدم فى قلعة : ان نبس بكلمة ترمى رأسه وقتل قتل الكلاب فتى يحدث العاقل منكم بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلى الذي طبق البلاد فما أعرف أحمق منكم الى أن يجئ الى باب المناظرة بالبراهين العقلية

(فصل) قال المصنف والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة خلقا منهم لما تحقق مذهبهم فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفا وتتبعت أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من الولالى المحفور :وكتب بذلك كتاب الى الخليفة: فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله الى ذلك المذهب : وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا : وصار كل من فى نفسه شيء من انسان يرميه بهذا المذهب فيقصده وينتهب ماله :وأول ماعرف من أحوال الباطنية فى أيام الملك شاه جلال الدولة انهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة:ففطن بهم الشحنة بأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم: ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه فبلغ الخبر الى نظام الملك فتقدم بأخذ من يتهم بقتله فقتل المتهم وكان نجارا وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك: وكانوا يقولون قتلتم منا نجارا فقتلنا به نظام الملك : واستفحل أمرهم باصبهان فلمامات ملك شاه وآل الأمر الى أنهم كانوا يسرقون الانسان ويقتلونه ويلقونه فى البئر : وكان الانسان اذا دنا وقت العصر ولم يعد الى منزله أيسوا منه : وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لا تبرح فوق حصير : فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا: فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة: وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار؛ فاذا مر انسان سأله أن يقوده خطوات الى

الزقاق فاذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه : فجد المسلمون فى طلبهم باصبهان وقتلوا منهم خلقا كثيرا : وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحيـة يقال لها الروزباذ من نواحى الديلم كانت هـذه القلعة لقماج صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهما بمذهب القوم : فأخـذ ألفا ومائتى دينار وسلم اليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن ابن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرزاق بن بهرام اذ كان صبياً ثم صار الى مصر وتلقى من دعاتهم المذهب وعاد داعية القوم ورأسافيهم وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعاته ألا يدعو الاغبيا لا يفرق بين يمينه وشماله مثلا ومن لا يعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له حينئذ ما تم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه : ثم يقول اذا كانت الازارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم فى قتال بنى أمية فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة امامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف : وكان ملكشاه قد أرسل الى هذا ابن الصباح يدعوه الى الطاعة ويتهدده ان خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء : فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه : ثم قال لجماعة وقوف بين يديه أريد أن أنفذكم الى مولاكم فى حاجة فن ينهض لها فأشرأب كل منهم لذلك : فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها اياهم : فاومى الى شاب منهم فقال له اقتل نفسك فجذب سكينة وضرب بها غلصمته (١) فخر ميتاً وقال لآخر ارم بنفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق : ثم التفت الى رسول السلطان فقال اخبره أن عندى من هؤلاء عشرين ألفا هذا حد طاعتهم لي وهذا هو الجواب : فعاد الرسول الى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الامراء والوزراء قال المصنف

---

(١) الغلصمة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتىء فى الحلق والجمع غلاصم

وقد ذكرنا من صفة القوم فى التاريخ أحوالا عجيبة فلم نر التطويل بها هاهنا

(فصل) وكم من زنديق فى قلبه حقد على الاسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقي بها من يصحبه: وكان غور مقصده فى الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين: وفى العمل نيل اللذات واستباحة المحظورات: فنهم من حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ فى الاذى كبابك الخرمى والقرامطة وصاحب الزنج الذى خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك: فنهب وفتك وقتل وبالغ: ومنهم من لم يبرح على تمثيره ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندى والمعرى: أنبانا محمد بن أبى طاهر عن أبى القاسم على بن المحسن التنوخى عن أبيه قال كان ابن الراوندى ملازم الرافضة وأهل الالحاد فاذا عوتب قال انما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر

قال المصنف من تأمل حال (١) ابن الراوندى وجده من كبار الملحدة وصنف كتابا سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمغه فأخذ وهو فى الشباب: وكان يعترض على القرآن ويدعي عليه التناقض وعدم الفصاحة: وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن وأما أبو العلا المعرى فاشعاره ظاهرة الالحاد: وكان يبالغ فى عداوة الانبياء

---

(١) ومن تتبع شعر أبى العلاء المعرى وسيرة ابن الراوندى علم أنهما على جانب عظيم من الالحاد والزندقة الا أن المعرى يتستر كثيراً بخلاف ابن الراوندى وقد ظهر فى زماننا بعض يتمذهب بمذهبهما: وانفرد الاعمى المتفلسف يؤلف فى سيرة أبى العلاء المعرى ويرغب الناس في مذهبه وشعره ويروج مؤلفاته وينشرها بين الناس للاضلال وقد سرى هذا المذهب اليهم من رحلتهم الى مدارس أوروبا وتلقيهم العلوم الفلسفية عن أعداء الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً كلا والله أنهم لفى سكرتهم يعمهون وفى شقاوتهم يسبحون وبالخذلان أنفسهم يعملون ومتي يفيقون انا لله وانا اليه لراجعون

ولم يزل متخبطا فى تمشيره خائفا من القتل الى أن مات بخسرانه : وما خلا زمان من خلف للفريقين الا ان جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله . فليس الا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس واخبثهم قدرا : وأردأهم عيشا : وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين فى التاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق

(الباب السادس فى ذكر تلبيس ابليس على العلماء فى فنون العلم)

قال المصنف : اعلم أن ابليس يدخل على الناس فى التلبيس من طرق منها ظاهر الامر : ولكن يغلب الانسان فى إيثار هواه فيغمض على علمه بذلك : ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء : ونحن نشير الى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مغفلها اذ حصر الطرق يطول والله العاصم

(ذكر تلبيسه على القراء): فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراآت الشاذة وتحصيلها فيفني أكثر عمره فى جمعها : وتصنيفها والاقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات : فربما رأيت امام مسجد يتصدى للاقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة : وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على ان يجلس بين يدى العلماء ويأخذ عنهم العلم (١) ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم الفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الاقبال على مايصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع : ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم: قال الحسن البصرى أنزل القرآن ليعمل به: فاتخذ الناس تلاوته عملا : يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به : ومن ذلك أن أحدهم يقرأ فى محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور : والصحيح عند العلماء ان الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وانما مقصود هذا اظهار الغريب لاستجلاب

(١) وفى نسخة وربما حمله حب التصدر حتى اجترئ بعين الجهل على أن يجيب فى فتوى بما يقع له وان لم يجز في مذهب

مدح الناس واقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن : ومنهم من يجمع القرآآت فيقول ملك مالك ملاك وهذا لايجوز لانه اخراج للقرآن عن نظمه : وفيهم من يجمع السجدات والتهليلات والتكبيرات وذلك مكروه : وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب الى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويريهم ابليس أن فى هذا اعزازا للاسلام : وهذا تلبيس عظيم لان اعزاز الشرع باستعمال المشروع : ومن ذلك أن فيهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له اجازة منه : فقال أخبرنا تدليسا وهو يرى ان الامر فى ذلك قريب لكونه يروى القرآآت ويراها فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه اثم الكذابين : ومن ذلك أن المقرى المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الاشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قراه على فلان بقراءة فلان : وقد كان بعض المحققين يقول ينبغى أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواما من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصا ويقرأ فى النهار الطويل ثلث ختمات : فان قصر عيب وان أتم مدح : وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون فى حق السعاة ويريهم ابليس أن فى كثرة التلاوة ثوابا : وهذا من تلبيسه لان القراءة ينبغى أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها : وتنبغى أن تكون على تمهل : وقال عز وجل (لتقرأه على الناس على مكث) وقال عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا) ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الالحان وقد كانت الى حد قريب : وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعى : أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو على الحسين بن سعد الهمدانى نا أبو بكر احمد بن على بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السياحى ثنا الربيع بن سليمان قال قال الشافعى أما استماع الحدأ ونشيد الأعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الالحان وتحسين الصوت

قال المصنف وقلت انما أشار الشافعى الى ما كان فى زمانه وكانوا يلحنون

يسيرا فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الاغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته : فان اخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك .
ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام : لو جعل القرآن في اهاب ما احترق .
وذلك من تلبيس ابليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر ممن لا يعلم اذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارئ لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر. قال الله عز وجل « أفمن يعلم كمن لا يعلم » وقال في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين» وقد أخبرنا احمد بن أحمد المتوكلي نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن بن رزقويه نا اسماعيل الصفار ثنا زكريا ابن يحيى ثنا معروف الكرخي قال قال بكر بن حبيش : ان في جهنم لواديا تعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات . وان في الوادي لجبا يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات ، وان في الجب لحية يتعوذ الجب والوادي وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات ، يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون : أي رب يبدأ بنا قبل عبدة الاوثان ، فقيل لهم ، ليس من يعلم كمن لا يعلم .
قال المصنف فلنقتصر على هذا الانموذج فيما يتعلق بالقراء

ذكر تلبيس ابليس على أصحاب الحديث

من ذلك أن قوما استفرقوا أعمارهم في سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الاسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد الا أن ابليس يلبس عليهم بان يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد في أداء اللازم والتفقه في الحديث ، فان قال قائل فقد فعل هذا خلق من السلف كيحيى بن معين وابن المديني والبخاري ومسلم

فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الاسناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للأمرين فأما في هذا الزمان فان طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وانما الطرق تختلف فقل ان يمكن أحد أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدري ما فيها ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر الى بعض احداث المتفقهة الذين يترددون اليه لسماع الحديث منه. وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا: زوامل أسفار لا يدرون مامعهم. فان أفلح أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث مايفهم العامي الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يسقي الرجل ماء زرع غيره فقال جماعة ممن حضر قد كنا اذا فضل منا ماء في بساتيننا سرحناه الى جيراننا ونحن نستغفر الله. فما فهم القارئ ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطئ الحبالى من السبايا. قال الخطابي: وكان بعض مشايخنا يروي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة باسكان اللام. قال وأخبرني: أنه بقي أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت له انما هو الحلق جمع حلقة وانما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة. فقال قد فرجت علي وكان من الصالحين. وقد كان ابن صاعد كبير القدر في المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار نا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت قال سمعت البرقاني يقول قال لي أبو بكر الابهري الفقيه قال كنت عند يحيى بن محمد بن صاعد. فجاءته امرأة فقالت: أيها الشيخ ماتقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس. فقال يحيى ويحك. كيف سقطت الدجاجة في البئر قالت لم تكن البئر مغطاة فقال يحيى الا غطيتها حتى لا يقع فيها شيء. قال الابهري فقلت يا هذه ان كان الماء

تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر

قال المصنف: وكان ابن شاهين قد صنف في الحديث مصنفات اقلها جزء واكثرها التفسير وهو الف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئاً. وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتي به ضحكة فسئل بعضهم عن مسئلة من الفرائض فكتب في الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى * وأنبانا محمد بن أبي منصور نا احمد بن الحسين بن خيرون نا احمد بن محمد العتيقي نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن اسحاق الجلاب ثنا ابراهيم الحربي قال بلغني أن أمرأة جاءت الى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار الف نفس فقالت له: حلفت بصدقة ازاري فقال بكم اشتريتيه قالت باثنين وعشرين درهماً قال اذهبي فصومي اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول آه. آه غلطنا أمرناها بكفارة الظهار

قال المصنف قلت فانظروا الى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الاقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط. واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضي الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل. ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الاعيان وايثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس ابليس

القسم الثاني قوم اكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وانما كان مرادهم العوالي والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولي من الاسانيد ما ليس لغيري وعندي أحاديث ليست عند غيري. وقد دخل الينا الى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده في الرقة وهي البستان الذي على شاطئ دجلة فيقرأ عليه ويقول في مجموعاته حدثني فلان بن فلان بالرقة ويوهم الناس أنها البلدة

التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب فى الاسفار لطلب الحديث . وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفراة ويقول حدثنى فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان فى طلب الحـديث . وكان يقول حدثنى فلان فى رحلتى الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه فى طلب الحديث فما بورك له ومات فى زمان الطلب

قال المصنف : وهذا كله من الاخلاص بمعزل وانما مقصودهم الرياسة والمباهات ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه لينفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين . وربما رحل أحـدهم الى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك فى نسخة نخب

ومن تلبيس ابليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلبا للتشفي ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هـذه الامة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان على بن المدينى يحدث عن أبيه وكان ضعيفا ثم يقول في حديث الشيخ ما فيه * أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه ثنا بكران بن أحمد الجيلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول: سألت حارثا المحاسبى عن الغيبة فقال احذرها فأنها شر مكتسب وماظنك بشئ يسلبك حسناتك فترضي به خصمائك ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته اذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها وتعرف منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من اشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على ابداء النصيحة وتأويل ما لا يصح من الخبر ولو صح ما كان عونا على الغيبة وهو قوله أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس . ولو كان الخبر

محفوظا صحيحاً لم يكن فيه ابداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وانما اذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتي من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالي فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للامانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن اصلي خلف فلان أو أجعله أمامي في علم فيصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدي عوار الاخ ثم يتصنع بالدعاء في ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له وأما منبع الغيبة من الرؤساء والاستاذين فمن طريق ابداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتصنع بابداء الرحمة والشفقة على أخيه ثم يتصنع : بالدعاء له عند اخوانه ويقول انما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل: « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة

ومن تلبيس ابليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم تنفيق أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم من روى عني حديثاً يرى أنه كذباً فهو أحد الكاذبين • ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لانه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل • ومنهم من يروي عن الضعيف والكذاب فيعمي اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه الى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لانه يثبت حكما بما لا يثبت به فاما اذا كان

المروى عن ثقة فنسبه الى جده او اقتصر على كنيته لئلا يرى انه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه فى مرتبة الراوى فيستحي الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله الموفق

ذكر تلبيس ابليس على الفقهاء

قال المصنف: كان الفقهاء فى قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الاحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة فى الحديث كسنن أبى داود ونحوها ثم اهونوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لايدرى اصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته الى معرفة النقل وانما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شىء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لايدرى أصحيح هو ام لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الانسان الى السفر الطويل والتعب الكثير حتى يعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بمرة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى انى رأيت بعض الاكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن الفاظ فى الصحاح لايجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ورأيته يحتج فى مسئلة فيقول دليلنا ماروى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الاسلام

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء: ان جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وانما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر

فترى أحدهم بترتيب الجادلة والتفتيش على المناقضات طالباللمفاخرات والمباهات ورب عالم يعرف الحكم فى مسئلة صغيرة تعم بها البلوى

ذكر تلبيسه عليهم ادخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة
واعتمادهم على تلك الاوضاع

ومن ذلك ايثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسئلة ليتسع لهم المجال فى النظر : وان استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الادب تقديم الاستدلال بالحديث : ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه : ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار ازالة النجاسة والماء المتغير: وهي محتاجة الى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة . ومسائل الخلاف وان كانت من علم الشرع الا أنها لا تنهض بكل المطلوب: ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تمذهب له لم يمكنه سلوك طريقهم : وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فاذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طباعهم فصار مثلهم: فاذا نظر فى سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له قلبي أحب الى من مائة قضية من قضايا شريح :وانما قال هذا لان رقة القلب مقصودة ولها أسباب : ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقى علوم الشرع فترى الفقيه المفتى يسأل عن آية أو حديث فلا يدرى: وهذا غبن فأين الانفة من التقصير : ومن ذلك أن الجادلة انما وضعت ليستبين الصواب : وقد كان مقصود السلف المناصحة باظهار الحق : وقد كانوا ينتقلون من دليل الى دليل واذا خفى على أحدهم شيء نبهه الآخر لان المقصود كان اظهار الحق: فصار هؤلاء اذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها : فقيل له ما الدليل على أن الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذى يظهر لى فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فان المعترض لايلزمنى ذكر ذلك: ولقد صدق فى أنه لا يلزمه

ولكن فيما ابتدع من الجدل : بل في باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه : وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق : وهذا من أقبح القبيح لان المناظرة انما وضعت لبيان الحق : وقد قال الشافعي رحمه الله ما ناظرت أحدا فأنكر الحجة الا سقط من عيني : ولا قبلها الا هبته : وما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة ان كانت معه صرت اليه ٠ ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن في النفس من حب الرياسة فاذا رأى أحدهم في كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج الى المكابرة فان رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ ظهر وأخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم: تكلمت مع فلان فما قال شيئاً ٠ ويتكلم بما يوجب التشفي من غرض خصمه بتلك الحجة ٠ ومن ذلك أن ابليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم وينسون أن الحديث هو الاصل فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك اقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالف للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى ٠ فقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي نا محمد بن هبة الله الطبري ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر ابن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ٠ قال: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضاً ٠ يقول: أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من يحدث حديثاً الا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا الا ود أن أخاه كفاه الفتيا

قال المصنف : وقد روينا عن ابراهيم النخعى أن رجلا سأله عن مسألة فقال : ما وجدت من تسأله غيرى . وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال : ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لى أن أفتى : فقالوا نعم . فقيل له فلو نهوك قال لو نهونى انتهيت وقال رجل لاحمد بن حنبل : انى حلفت ولا أدرى كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك .

قال المصنف : وانما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر فى سيرتهم تأدب

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء: مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك . وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه . الاول الأمير يقول لولا أنى على صواب لانكر على الفقيه وكيف أكون مصيباً وهو يأكل من مالى . والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الامير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلانا الفقيه لا يبرح عنده . والثالث الفقيه فانه يفسد دينه بذلك

وقد لبس ابليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول انما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبيس بانه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان . ومن تلبيس ابليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شىء وان كانت من شبهة فتركها أولى وان كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه انفاقه فى اقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا مالا يستباح .

وقد لبس ابليس على قوم من العلماء : ينقطعون عن السلطان اقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس . وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وانعامهم أو بالطمع

فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم . وقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول: ما أخاف من اهانتهم لي إنما أخاف من اكرامهم فيميل قلبي اليهم . وقد كان علماء السلف يبعدون عن الامراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الامراء لحاجتهم اليهم في الفتاوي والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للامراء وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم . ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الامراء ان الامراء كانوا قديماً يميلون الي سماع الحجج في الاصول فأظهر الناس علم الكلام . ثم مال بعض الامراء الى المناظرة في الفقه فمال الناس الى الجدل . ثم مال بعض الامراء الى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين اليها ولما كان جمهور العوام يميلون الى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء : ان أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما قد عرف أو ينتهي في العلم فلا يبق له في الوقف حظ لانه انما جعل لمن يتعلم الا أن يكون ذلك الشخص معيدا أو مدرسا فان شغله دائم . ومن ذلك ما يحكى عن بعض الاحداث المتفقهة من الانبساط في المنهيات فبعضهم يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكث فيأخذه الى غيرذلك من المعاصي . وسبب انبساط هؤلاء مختلف . فمنهم من يكون فاسد العقيدة في أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أوليرأس أوليناظر . ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك الى الكبر والعجب وانما يتقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم في بعد عن هذا وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه فحينئذ يسرح الهوي بلا زاد . ومنهم من يلبس عليه ابليس بأنك عالم وفقيه ومفت والعلم يدفع عن أربابه وهيهات فان العلم الآن يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا في حق القراء : وقد قال الحسن

البصري: انما الفقيه من يخشى الله عز وجل. قال ابن عقيل: رأيت فقيهاً خراسانيا عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له: ما هذا فقال خلع السلطان وكمد الاعداء فقلت بل هو شماتة الاعداء بك ان كنت مسلماً لان ابليس عدوك واذا بلغ منك مبلغا ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين. خلع عليك السلطان فانخلعت من الايمان وقد كان ينبغى أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رما كم الله بخزيه حيث هو ثم أمرد هكذا ليتك قلت هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لان عدوانك دليل على فساد باطنك

ومن تلبيسه عليهم: أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم: فيقولون من هؤلاء هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع. والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لان الله عز وجل: قال «نحن نقص عليك». وقال: «فاقصص القصص». وانما ذم القصاص لان الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده. وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما اذا كان القصص صدقاً وتوجب وعظاً فهو ممدوح. وقد كان احمد بن حنبل يقول: ما أحوج الناس الى قاص صدوق

﴿ ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص ﴾

قال المصنف: كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء. وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه. وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص. ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع فى هذا الفن.

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين الا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك: ان قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس

عليهم ابليس : بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا تماط على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل منهم ناقصة تحتاج الى تتمة ثم قد نسوا قوله صلى الله عليه وسلم من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ومن ذلك انهم تامحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الاشعار الرائقة الغزلية في العشق . ولبس عليهم ابليس بأننا نقصد الاشارة الى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل من ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما في قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة . ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه . ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الالحان والالحان التي قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي الى التحريم أقرب منها الى الكراهة والقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيده وايقاع برجله فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما في النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيبا ويشيرون بالطيبة الى مالا يجوز . ومنهم من يجري في مثل تلك الحالة التي شرحناها لكنه ينشد اشعار النوح على الموتى ويصف مايجري لهم في البلاء ويذكر الغربة ومن مات غريبا فيبكي بها النساء ويصير المكان كالمأتم وانما ينبغي أن يذكر الصبر على فقد الاحباب لا ما يوجب الجزع . ومنهم من يتكلم في دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليه ابليس : أنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت الطريق . وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم . ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق وغرضه أن يكثر في مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد . وكم منهم من يزوق عبارة لامعنى تحتها وأكثر كلامهم

اليوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيهات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف . ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع الى زاوية أو خرج الى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم . ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصي ثم يقوى ماذكر بميله الى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله

(فصل) وقد يكون الواعظ صادقاً قاصداً للنصيحة الا أن منهم من شرب الرئاسة في قلبه مع الزمان فيحب أن يعظم وعلامته أنه اذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق

(فصل) ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهم فلا ينكر ذلك عليهم جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر في زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل في التلبيس لأنه أمر صريح من جعل القصص معاشاً يستمنحون به الامراء والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلاء وفراق الاحبة فيبكي النسوة ولا يحث على الصبر

(فصل) وقد لبس ابليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وانما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس ابليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول : انك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة . فربما دخل الرياء في قولك وطريق الوحدة أسلم . ومقصوده بذلك سد باب الخير . وعن ثابت قال : كان الحسن في مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أنا

أوهبناك (١) ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته . قال ثابت : فأعجبني . قال ثم تكلم الحسن وانناهناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحد بخير ولم ينه عن شر

ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب. وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه . فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فان الانسان اذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى الى العمل بها اذ هي مراده. فترى الانسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة الا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت الى تزكية نفسه وصلاح قلبه. ومع هذا فيهم كبر عظيم وقد خيل لهم ابليس أنكم من علماء الاسلام لان النحو واللغة من علوم الاسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمري ان هذا لا ينكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لاصلاح اللسان وما يحتاج اليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يحتاج اليه وانفاق الزمان في تحصيل هذا الفاضل وليس بمهم مع ترك المهم غلط وايثاره على ما هو أنفع وأعلا رتبة كالفقه والحديث غبن . ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسناً. ولكن العمر قصير فينبغي إيثار الأهم والأفضل

(فصل) ومما ظنوه صواباً وهو خطأ ما أنبأنا أبو الحسن بن فارس قال: قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل اذا أشهد . الوضوء قال : نعم . قال : والاشهاد أن يمذي الرجل

قال المصنف : وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية في الخطأ

---

(١) كذا في الأصل وفي النسخة الثانية أن ثم الخ

لأنه متى كان الاسم مشتركا بين مسميين كان اطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ. مثاله أن يقول المستفتي، ما تقول: في وطىء الرجل زوجته في قرئها. فان القرء يقع عند اللغويين على الاطهار وعلى الحيض. فيقول الفقيه: يجوز اشارة الى الطهر أولا يجوز اشارة الى الحيض خطأ. وكذلك لو قال السائل. هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر. لم يجز اطلاق الجواب. فيما ذكر فقيه العرب وهو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل في المحتملات والثاني أنه صرف الفتوى الى أبعد المحتملات وترك الاظهر. وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجب هذا الزلل

(فصل) ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صادا بما وضع عليه من مطالعة الاحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع الى هوة الهوى فانبث شرع البطالة بحيث فقل أن ترى منهم متشاغلا بالتقوى أو ناظرا في معلم فان النحو طالبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان ابو على الفارسي في ظل عضد الدولة وغيره. وقد يظنون جواز الشيء وهو غير جائز لقلة فهمهم، كما جرى للزجاج أبي اسحاق ابراهيم بن السرى. قال: كنت أؤدب القاسم بن عبدالله فأقول له إن بلغت الى أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي. فيقول: ما أحببت. فاقول له: ان تعطيني عشرين ألف دينار. وكانت غاية أمنيتي فما مضت الا سنون حتى ولي القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له. وقد صرت نديمه فدعتني نفسي الى اذكاره بالوعد ثم هبته. فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا اسحق. لم أرك أذكرتني بالنذر. فقلت: عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لايحتاج الى اذكار لنذر عليه في امر خادم واجب الحق. فقال لي: انه المعتضد. ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك اليك في مكان واحد ولكن اخاف أن يصير لي معه حديث فاسمح بأخذه متفرقا. فقلت افعل. فقال: اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستعجل عليها ولا تمتنع من مسائلتي شيئاً تخاطب فيه

صحيحاً كان أو محالا الى ان يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت اعرض عليه كل يوم رقاعا فيوقع فيها وربما قال لى كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا يساوى كذا فازده فاراجع القوم ولا ازال اماكسهم ويزيدونى حتى ابلغ الحد الذى رسمه . قال: فعرضت عليه شيئاً عظيما فحصلت عندى عشرين الف دينار وأكثر منها فى مديدة . فقال لى بعد شهر : ياابا اسحق حصل مال النذر : فقلت . لا فسكت وكنت اعرض ثم يسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال فاقول لا خوفا من انقطاع الكسب الى ان حصل عندى ضعف المال . وسألنى يوما فاستحييت من الكذب المتصل . فقلت . قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب الى أن يحصل لك . قال ثم اخذ الدواة ووقع الى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فاخذتها وامتنعت أن اعرض عليه شيئا ولم أدر كيف اقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمى فاومئ الى هات ما معك ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من احد رقعة لان النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف اقع من الوزير فقال ياسبحان الله اترانى كنت اقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وغدو ورواح الى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى او تغير رتبتك . اعرض على رسمك وخذ بلا حساب . فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت اعرض عليه كل يوم شيئاً الى أن مات وقد تأثلت حالى هذه .

قال المصنف : انظروا ما يصنع قلة الفقه وان هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو واللغة لو علم ان هذا الذى جرى له لن يجز شرعاً ما حكاه وتبجح به . فان ايصال الظلامات واجب ولا يجوز اخذ البرطيل عليها ولا على شىء مما نصب الوزير له من امور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره

ذكر تلبيس ابليس على الشعراء

قال المصنف : قد لبس عليهم فاراهم أنهم من أهل الأدب وانهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفى عن زللكم . فتراهم يهيمون فى كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الاعراض والاقرار بالفواحش . وأقل أحوالهم : إن الشاعر يمدح الانسان فيخافه أن يهجوه فيعطيه خوفاً أو حياء من الحاضرين . وجميع ذلك فمن جنس المصادرة . وترى خلقا من الشعراء وأهل الادب لا يتحاشون من لبس الحرير ، والكذب فى المدح خارجا عن الحد ، ويحكون اجتماعهم على العشق وشرب الخمر . ويقول أحدهم : اجتمعت انا وجماعة من الادباء ففعلنا كذا وكذا ـ هيهات ليس الادب إلا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له . ولا قدرة للفطن فى أمور الدنيا ولا تحسن العبادة عند الله اذا لم يتقه . وجمهور الادباء والشعراء اذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا فى لوم الاقدار كقول بعضهم :

إن سمت همتى فى الفضل عالية * فان حظى ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بي ما لا اسر به * وكم يسيء زمان جائر حنق

وقد نسي هؤلاء ان معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة

ذكر تلبيس ابليس على الكاملين من العلماء

قال المصنف : ان أقواما علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والادب وغير ذلك . فأتاهم ابليس بخفى التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم . فمنهم من يستفزه لطول عناية فى الطلب فحسن له اللذات وقال الى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وافتح لنفسك فى مشتهاها . فان وقعت زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة . فأورد عليه فضل العلماء . فان أخذ هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك وأن

وفق فينبغى أن يقول : جوابك من ثلاثة أوجه . أحدها انه انما فضل العلماء بالعمل بالعلم ولولا العمل به ما كان له معنى . واذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه . والثانى أن يعارضه بما ورد فى ذم من لم يعمل بالعلم . لقوله صلى الله عليه وسلم : اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه . وحكايته صلى الله عليه وسلم عن رجل يلقى فى النار فتندلق اقتابه فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه . والثالث أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كابليس وبلعام . ويكفى فى ذم العالم اذا لم يعمل قوله تعالى . « كمثل الحمار يحمل اسفارا » .

فصل : وقد لبس ابليس على أقوام من المحكمين فى العلم والعمل من جهة أخرى . فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظير ، والرياء لطلب الرياسة . فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لكم . وتارة يقوى حب ذلك لهم فلا يتركونه مع علمهم بانه خطأ ـ وعلاج هذا لمن وفق ادمان النظر فى اثم الكبر والحسد والرياء واعلام النفس أن العلم لايدفع شر هذه المكتسبات . بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها . ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين احقر نفسه فلم يتكبر . ومن عرف الله لم يرائى ومن لاحظ جريان اقداره على مقتضى ارادته لم يحسد

وقد يدخل ابليس على هؤلاء بشبهة ظريفة . فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لانكم نواب الشرع فانكم تطلبون اعزاز الدين ودحض أهل البدع ، واطلاقكم اللسان فى الحساد غضب للشرع اذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لان من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب اذا احتمى اكثر من اقتدائهم به اذا وصف

وكشف هذا التلبيس : انه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد فى المجلس فوقه اوقال حاسد عنه شيئا لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه

وان كان المذكور من نواب الشرع فعلم انه انما لم يغضب لنفسه بل للعلم . وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقا لدعاية الناس . وقد كان أيوب السختياني اذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال : ما أشد الزكام . وبعد هذا فالاعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين اذا اغتيبوا عنده فرح قلبه وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه . أحدها الفرح فانه حصل بوجوده هذه المعصية من المغتاب . والثاني لسروره بثلب المسلمين . والثالث أنه لا ينكر

فصل : وقد لبس أبليس على الكاملين فى العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم فى تصانيف العلوم ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين . ويكون مقصودهم الباطن إنتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الافاق إلى المصنف

وينكشف هذا التلبيس : بانه لو أنقطع بعضهم الى غيره من هو أعلم منه ثقل ذلك عليه . وماهذه صفة المخلص فى التعليم لأن مثل المخلص مثل الاطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فاذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر . وقد ذكرنا آنفا حديث ابن أبي ليلى ونعيده باسناد (١) آخر عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى . قال : أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار وما منهم رجل يسأل عن شيء الا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث الا ود أن أخاه كفاه

فصل : قال المصنف وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات ابليس الظاهرة فيما بينهم ويخفى من تلبيسه . فيقول له : مالقيت مثلك ما أعرفك بداخلي وخارجي . فأن سكن إلى هذا هلك بالعجب وأن سلم من المساكنة له سلم . وقد قال السرى السقطى : لو ان رجلا دخل إلى بستان فيه جميع ماخلق الله عز وجل من الاشجار عليها من جميع ماخلق الله من الاطيار فخاطبه كل

(١) كذا فى الاصول بدون ذكر السند

طائر بلغته وقال السلام عليك ياولي الله فسكنت نفسه إلي ذلك كان فى أيديها أسيرا. والله الهادي لا اله الاهو

﴿ الباب السابع فى ذكر تلبيس ابليس على الولاة والسلاطين ﴾

قال المصنف: قد لبس عليهم ابليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها. فالوجه الاول أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ماولاه سلطانه وجعله نائبا عنه في عباده . وينكشف هذا التلبيس بأنهم أن كانوا نوابا عنه فى الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه فحينئذ يحبهم لطاعته . فاما صورة الملك والسلطنة فأنه قد أعطاها خلقا ممن يبغضه •وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر اليه. وسلط جماعة من أولئك على الاولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم . ودخل ذلك فى قوله « انما نملي لهم ليزدادوا اثما » والثانى أنه يقول لهم الولاية تفتقر الي هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فاذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ماعنده منها ولايرى مايقاومها ولا مايزجره عنها وذلك سبب الهلاك . والثالث أنه يخوفهم الاعداء ويأمر بتشديد الحجاب فلا يصل اليهم أهل المظالم . ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم . وقد روى أبومريم الاسدى عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره . والرابع أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لاعلم عنده ولا تقوى . فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس . ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة . ويحد من لايجب عليه الحد . ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل مما جعلوه في عنق الوالي. هيهات ان العامل على الزكاة اذا وكل الفساق بتفرقتها فخانوا ضمن * والخامس أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون

من لا يحل قتله . ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج الى اتمام ونحن نتمها بآرائنا

وهذا من أقبح التلبيس لان الشريعة سياسة الاهية ومحال أن يقع فى سياسة الاله خلل تحتاج معه الي سياسة الخلق قال الله عزوجل: «مافرطنا فى الكتاب من شئ» . وقال : «لامعقب لحكمه». فمدعي السياسة مدعي الخلل فى الشريعة . وهذا يزاحم الكفر . وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل الى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك. وهذا هو الجنون المطبق لان قتل مسلم بلا جرم لا يحل ٠ واعتقاده أن هذا جائز كفر وان اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع ٠ والسادس أنه يحسن لهم الانبساط فى الاموال ظانين أنها بحكمهم

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط فى مال نفسه فكيف بالمستأجر فى حفظ مال غيره ٠ وانما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط قال ابن عقيل : وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين . قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح لانه تبذير فى بيت مال المسلمين ٠ وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير * والسابع أنه يحسن لهم الانبساط فى المعاصي ويلبس عليهم أن حفظكم السبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب ٠ وجواب هذا أن يقال: انما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل ٠ وهذا واجب عليهم . وما انبسطوا فيه من المعاصي منهى عنه فلا يرفع هذا ذاك * والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الاحوال مستقيمة . ولو دقق النظر لرأى اختلالا كثيراً . وعن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد . قال : رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلا يرزق يطوف على باعة العنب فاذا اشترى أحد سلة عنب خمري لم يعرض له وان اشترى اثنين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمراً ٠ قال : وأدركت السلاطين

يمنعون المنجمين من القعود في الطرق حتى لا يفشوا العمل بالنجوم . وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة شعر الى أن بدأ بحكم العجم * والتاسع أن يحسن لهم استجلاب الاموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه . وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له : ان قوماً خانوا من مال الله ولا أقدر على استخلاص ما في أيديهم الا أن أنالهم بعذاب . فكتب اليه : لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب الى من أن ألقاه بدمائهم * والعاشر أنه يحسن لهم التصدق بعد الغصب . يريهم أن هذا يمحو ذلك . ويقول : إن درهماً من الصدقة يمحو اثم عشرة من الغصب . وهذا محال لان اثم الغصب باق ودرهم الصدقة ان كان من الغصب لم يقبل وان كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً اثم الغصب لان إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر * والحادى عشر : أن يحسن لهم مع الاصرار على المعاصى زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهم أن هذا يخفف ذلك الاثم . وهذا الخير لا يدفع ذلك الشر . وعن منيع قال : مرّ تاجر بعشار فحبسوا اليه سفينته فجاء الى مالك بن دينار فذكر له ذلك . فقام مالك فمشى معه الى العشار . فلما رأوه . قالوا : يا أبا يحيى ألا بعثت الينا في حاجتك قال : حاجتى أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل . قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه . فقالوا : ادع لنا يا أبا يحيى قال : قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم : أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف * والثانى عشر : أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم ابليس بأن الاثم على الامير لا عليك . وهذا باطل لأنه معين على الظلم وكل معين على المعاصى عاص فان رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن فى الخمر عشرة . ولعن آكل الربا وموكله وشاهديه . ومن هذا الفن أن يجبى المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبذر فيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً . وعن جعفر بن سليمان . قال : سمعت مالك بن دينار يقول : كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . والله الهادى الى الصواب

﴿ الباب الثامن ﴾

في ذكر تلبيس ابليس على العباد في العبادات

قال المصنف: اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه ابليس على الناس هو الجهل . فهو يدخل على الجهال بأمان . وأما العالم فلا يدخل عليه الا مسارقة وقد لبس ابليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم . وقد قال الربيع بن خيثم : تفقه ثم اعتزل

فأول تلبيسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل . وما فهموا من العمل الا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح . قال مطرف بن عبد الله : فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن أسباط : باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة . وقال المعافا بن عمران : كتابة حديث واحد أحب الي من صلاة ليلة :

قال المصنف : فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن ابليس من التلبيس عليهم في فنون التعبد

ذكر تلبيسه عليهم في الاستطابة والحدث

من ذلك: أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء . وذلك يؤذي الكبد وانما ينبغي أن يكون بمقدار . ومنهم من يقوم فيمشي ويتنحنح ويرفع قدما ويحط أخرى وعنده أنه يستنقي بهذا وكلما زاد في هذا نزل البول . وبيان هذا أن الماء يرشح الى المثانة ويجمع فيها فاذا تهيأ الانسان للبول خرج ما اجتمع فاذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شيء آخر فالرشح لا ينقطع وانما يكفيه أن يجلب ما في الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء . ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير

وانما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب . فان استعمل الاحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار اذا أنقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا متبع والله الموفق

ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء

منهم من يلبس عليه فى النية فتراه يقول: رفع الحدث. ثم يقول : أستبيح الصلاة ثم يعد فيقول : ارفع الحدث . فسبيل هذا التلبيس الجهل بالشرع لان النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج اليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ . ومنهم من يلبس عليه بالنظر فى الماء المتوضئ به. فيقول : من اين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد .وفتوى الشرع يكفيه بان أصل الماء الطهارة فلا يترك الاصل بالاحتمال . ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة ؛ الاسراف فى الماء ؛ وتضييع العمر الذى لا قيمة له فيما ليس بواجب ولا مندوب . والتعاطى على الشريعة اذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل .والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث . وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو يفوت أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة

وتلبيس ابليس على هذا :بانك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة. ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط. وقد رأينا من ينظر فى هذه الوساوس ولا يبالى مطعمه ولا مشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الامر. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ . فقال : ماهذا السرف يا سعد . قال : أفى الوضوء سرف . قال : نعم وان كنت على نهر جار. وعن أبى عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال: للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه . أو قال : فاحذروه ؛ وعن الحسن رضي الله عنه قال : شيطان يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء ؛وعن أبى نعامة

إن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم اني أسألك الفردوس وأسألك. فقال عبـد الله : سل الله الجنة وتعوذ به من النار . فانى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الدعاء والطهور. وعن ابن شوذب . قال :كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول :يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صباً صباً . ودلكا دلكا. تعذيباً لا نفسهم. وخلافاً لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم . وكان أبو الوفاء ابن عقيل . يقول : أجل محصول عنـد العقلاء الوقت . وأقل متعبد به الماء . وقـد قال صلى الله عليه وسلم : صبوا على بول الاعرابي ذنوبا من ماء . وقال في المني امطه عنك بأذخرة . قال: وفي الحذاء طهوره بأن يدلك بالارض .وفي ذيل المرأة يطهره مابعده . وقال : يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام . وكان يحمل بنت أبي العاص بن الربيع في الصـلاة . ونهى الراعي عن اعلام السائل له عن الماء وما يرده . وقال : ما أبقيت لنا طهور . وقال : ياصاحب الماء لا تخبره . وقد صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب . وركب الحمار معروريا . وما عرف من خلقه بكثرة الماء . وتوضأ من سقاية المسجد . ومعلوم حال الاعراب الذي يأتي أحدهم من البادية كأنه بهيمة . أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول في المسجد كل ذلك ليعلمنا واعلامنا أن الماء على أصل الطهارة. وتوضأ من غدير كان ماءه نقاعة الحناء .فأما قوله: استنزهوا البول فان التنزه حداً معلوما وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء . فأما الاستنثار فانه اذا علق بمعنى وانقطع الوقت بما لا يقتضى بمثله الشرع

قال المصنف : وكان أسود بن سالم وهو من الصالحين يستعمل ماء كثيراً في وضوءه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه . فقال : نمت ليلة فاذا بهاتف يهتف بي يا اسود ما هذا . يحيي بن سـعيد الانصارى حدثني عن سعيد بن المسيب . قال : اذا جاوز الوضوء ثلاثالم يرفع الى السماء . قال : قلت لا أعود. فأنا اليوم يكفيني كف من ماء

ذكر تلبيسه عليهم فى الأذان

ومن ذلك التلحين فى الأذان، وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجه عن موضع التعظيم الى مشابهة الغناء. ومنهم أنهم يخلطون الأذان للفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطا مختلطا. وقد كره العلماء كل مايضاف الى الأذان. وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنار فيعظ ويذكر. ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات

ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة

فمن ذلك تلبيسه عليهم فى الثياب التى يستتر بها فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله، ومنهم من يغسل ثيابه فى دجلة لا يرى غسلها فى البيت يجزئ. ومنهم من يدليها فى البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا فى ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطئتهم وأكسيتهم. ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة. ومنهم من ترك الصلاة جماعة لاجل مطر يسير يخاف أن ينتضح عليه ـ ولا يظن ظان أننى أمتنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هي التى نهي عنها . ومن ذلك تلبيسه عليهم فى نية الصلاة فمنهم من يقول اصلى صلاة كذا ثم يعيد هذا ظنا منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض بان لم يرض اللفظ. ومنهم من يكبر ثم ينقض فاذا ركع الامام كبر الموسوس وركع معه ـ فليت شعري ما الذى أحضر النية حينئذ وما ذاك إلا لأن ابليس أراد أن يفوته الفضيلة . وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة . وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله وبالطلاق وهذه كلها تلبيسات ابليس . والشريعة سمحة

سهلة سليمة من هـذه الآفات وماجرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لاصحابه شيء من هذا . وقد بلغنا عن أبي حازم أنه دخل المسجد فوسوس اليه ابليس أنك تصلي بغير وضوء فقال مابلغ نصحك الى هذا

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس : ان كنت تريد احضار النيه فالنية حاضرة لانك قمت لتؤدي الفريضة وهذه هي النية ومحلها القلب لا اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فاوجه الاعادة فتراك تظن فقد انك ماقلت هذا مرض

قال المصنف : ولقد حكى لى بعض الاشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال اني أغسل العضو وأقول ماغسلته . وأكبر وأقول ما كبرت . فقال له ابن عقيل . دع الصلاة فانها ما تجب عليك . فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا . فقال لهم قال النبي صلى الله عليه وسلم : رفع القلم عن المجنون حتى يفيق . ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة

قال المصنف : وأعلم أن الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل وجهل بالشرع . ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال : نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول هذا العالم لاجل علمه مقبلا عليه بوجهي : سفه في عقله فان هذا قد تصور في ذهنه منذ رأى العالم . فقيام الانسان الي الصلاة ليؤدي الفرض أمر يتصور في النفس في حالة واحدة لا يطول زمانه وانما يطول زمان نظم هذه الالفاظ والالفاظ لا تلزم والوسواس محض جهل . وأن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كلف نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية . ثم أنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير مالم يفسخها . فاوجه هذا التعب في الصاقها بالتكبير على أنه اذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير . وعن مسور . قال : أخرج الي معن بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه واذا فيه قال عبدالله : والذي لا اله غيره مارأيت احدا أشد كان على المتنطعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رأيت بعده أشد خوفا

عليهم من أبي بكر . وأنى لاظن عمر كان أشد أهل الارض خوفا عليهم

فصل : ومن الموسوسين من اذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط . وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول فى العبادة . فكيف تهمل العبادة وهى كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب

فصل: ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الامام وقد بقى من الركعة يسير فيستفتح ويستعيذ ويركع الامام، وهذا تلبيس ايضاً لأن الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة

قال المصنف: وقد كنت أصلى وراء شيخنا الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرآنى مرة أفعل هذا . فقال: يا بنى ان الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن

(فصل) وقد لبس ابليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم . فمنهم من كان يتخلف عن الصف الاول ويقول انما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد فى الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس فى قلبى — وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين . وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففى الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انه قال : لو يعلم الناس مالهم فى النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا ، وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها . وأما وضع اليد على اليد فسنة رواه أبو داود فى سننه أن ابن الزبير قال :وضع اليد على اليد من السنة. وأن ابن مسعود كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده اليمنى على اليسرى

قال المصنف : ولأنكرن عليك انكارنا على من قال : أراد قرب القلوب ولا أضع يداً على يد ـ وان كان من الأكابر. فان الشرع المنكر لا نحن . وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمة الله عليه ان ابن المبارك يقول : كذا وكذا . فقال : ان ابن المبارك لم ينزل من السماء . وقيل له قال : ابراهيم بن أدهم . فقال: جئتموني ببينات الطريق عليكم بالاصل. فلا ينبغي أن يترك لقول معظم في النفس . فان الشرع أعظم والخطأ في التأويل على الناس يجري . ومن الجائز أن تكون الاحاديث لم تبلغه

(فصل) وقد لبس ابليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول : الحمد . الحمد. فيخرج باعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة . وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد. وتارة في اخراج ضاد المغضوب. ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاد مع إخراج الضاد لقوة تشديده وانما المراد تحقيق الحرف فحسب. وابليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوساوس من ابليس * وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العميا أن سهل بن أمامة حدثه: أنه دخل هو وابنه على أنس ابن مالك رضي الله عنه وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر قال : يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيء تنفلته . قال : انها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت الا شيئاً سهوت عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديورات «رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» وفي أفراد مسلم من حديث عثمان بن العاص قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثاً واتفل عن يسارك . ففعلت ذلك فأذهبه الله عني

(فصل) وقد لبس ابليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين فرأوا أن العبادة هى القيام والقعود فحسب . وهم يدأبون فى ذلك ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون اذا سلم الامام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شيء وذلك لا يحمله الامام عنهم . ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون القراءة ويتركون المسنون فى الصلاة ويرتكبون المكروه فيها . وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له ان السنن لا تترك لاجل سهرك ومتى غلبك النوم فنم فان للنفس عليك حقاً . وعن بريدة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جهر بالقراءة فى النهار فارجموه بالبعر

(فصل) وقد لبس ابليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة . أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته . ولقد رأيت شيخاً من المتعبدين يقال له حسين القزوينى يمشى كثيراً من النهار فى جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لى لئلا ينام . فقلت : هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل . أما الشرع فان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لنفسك عليك حقاً فقم ونم وكان يقول : عليكم هديا قصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه . وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ماهذا قالوا لزينب تصلى فاذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال : حلوه ثم . قال : ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد . وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذ نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فانه اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيسب نفسه

قال المصنف : هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى . وأما العقل فان النوم يجدد القوى التى قد كلت بالسهر فتى دفعه الانسان وقت الحاجة اليه أثر فى بدنه وعقله فنعوذ بالله من الجهل . فان قال

قائل: فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل. فالجواب: أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر فى الجماعة. وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم فصح لهم ذلك. ثم لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هي المتبوعة

(فصل) وقد لبس ابليس على جماعة من قوام الليل فيحدثوا بذلك بالنهار. فربما قال أحدهم فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبها. فأقل ما فى هذا ان سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر الى ديوان العلانية فيقل الثواب

(فصل) وقد لبس على آخرين انفردوا فى المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع اليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من دسائس ابليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح. وعن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان أفضل صلاة المرء فى بيته الا الصلاة المكتوبة. قال المصنف: أخرجاه فى الصحيحين وكان عامر بن عبدقيس: يكره أن يروه يصلي وكان لا يتنفل فى المسجد وكان يصلي كل يوم ألف ركعة. وكان ابن أبي ليلى اذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع

(فصل) وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء. وعن عاصم قال: كان أبو وائل اذا صلى فى بيته نشج نشيجاً ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله. وقد كان أيوب السختياني: اذا غلبه البكاء قام

(فصل) وقد لبس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون فى اصلاح عيب باطن ولا فى مطعم. والنظر فى ذلك أولى بهم من كثرة التنفل

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في قراءة القرآن ﴾

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون هزا من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة . وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن في كل يوم أو في كل ركعة وهذا يكون نادرا منهم ومن داوم عليه فانه وان كان جائزا الا أن الترتيل والتثبت أحب الى العلماء . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث

قال المصنف : وقد لبس ابليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالاصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرض بالرياء . ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الاذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد

قال المصنف : ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلا كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أني قد ختمت. وما هذه طريقة السلف فان السلف كانوا يسترون عباداتهم وكان عمل الربيع بن خيثم كله سرا فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. وكان احمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيرا ولا يدرى متى يختم

قال المصنف : قد سبق ذكر جملة من تلبيس ابليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الصوم ﴾

قال المصنف : وقد حسن لأقوام الصوم الدائم . وذلك جائز اذا أفطر الانسان الايام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين. أحدهما أنه ربما عاد بضعف القوى فأعجز الانسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان لزوجك عليك حقاً . فكم من فرض يضيع بهذا النفل. والثاني أنه يفوت الفضيلة فانه قد صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال : أفضل الصيام صيام داود عليه

الصلاة والسلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً* وبالاسناد عن عبد الله بن عمرو قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل. وأنت الذي تقول لأقومن الليل ولأصومن النهار. قال احسبه قال: نعم يارسول الله قد قلت ذلك. فقال: فقم ونم وصم وافطر. وصم من كل شهر ثلاثة أيام. ولك مثل صيام الدهر. قال: قلت يارسول الله اني أطيق أكثر من ذلك قال: فصم يوماً وافطر يومين. قلت اني أطيق أفضل من ذلك. قال: فصم يوماً وأفطر يوماً وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام. قلت اني أطيق أفضل من ذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أفضل من ذلك. أخرجاه في الصحيحين فان قال قائل: فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصوم. فالجواب: انهم كانوا يقوون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولاحاجة الى الكسب. ثم ان فيهم من فعل هذا في آخر عمره على أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث. وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهبت عينه. ومنهم من نشف دماغه. وهذا تفريط في حق النفس الواجب وحمل عليها مالا تطيق. فلا يجوز

فصل: وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا وان أفطر أخفى افطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفي الرياء. ولو أراد الاخلاص وستر الحال لافطر بين يدي من قد علم أنه يصوم ثم عاد الي الصوم ولم يعلم به. ومنهم من يخبر بما صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت. ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتدى بك والله أعلم بالمقاصد. قال سفيان الثوري رضي الله عنه: إن العبد ليعمل العمل في السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر الى ديوان العلانية. وفيهم من عادته صوم الاثنين والخميس فاذا دعي الى طعام. قال: اليوم أنا صائم الخميس. ولو قال أنا صائم

كانت محنة وانما قوله اليوم الخميس معناه انى أعنى أصوم كل خميس . وفى هؤلاء من يري الناس بعين الاحتقار لكونه صائما وهم مفطرون . ومنهم من يلازم الصوم ولايبالى على ماذا أفطر . ولايتحاشى في صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة وقد خيل له ابليس أن صومك يدفع إثمك وكل هذا من التلبيس

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الحج ﴾

قال المصنف : قد يسقط الانسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لاعن رضاء الوالدين وهذا خطأ . وربما حج وعليه ديون أو مظالم وربما خرج للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة . ومنهم من يحب أن يتلق ويقال الحاجى وجمهورهم يضيع في الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية . وابليس يريهم صورة الحج فيغرهم وانما المراد من الحج القرب بالقلوب لابالابدان . وانما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد الى مكة همته عدد حجاته فيقول لى عشرون وقفة . وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل اليه ممن كان وربما قال انه لى اليوم عشرين سنة مجاورا . وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد الى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم فى الطريق .

وقد لبس ابليس على جماعة من القاصدين الى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون اذا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم . وقد لبس ابليس على قوم منهم فابتدعوا من المناسك ماليس منها فرأيت جماعة يتصنعون فى أحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويبقون فى الشمس أياما فتكشط جلودهم وتنتفخ رءوسهم ويتزينون بين الناس بذلك . وفى أفراد البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما . أن النبي صلى الله عليه وسلم : رأى رجلا يطوف بالكعبة بزمام فقطعه . وفى لفظ آخر رأى رجلا يقود إنسانا بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده

قال المصنف : وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع في الدين وإن قصدت بذلك الطاعة

(فصل) وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد . وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ . قال رجل للامام احمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج الى مكة على التوكل من غير زاد . فقال له احمد فاخرج فى غير القافلة . قال : لا إلا معهم : قال فعلى جراب الناس توكلت فنسأل الله أن يوفقنا

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الغزاة ﴾

قال المصنف : قد لبس ابليس على خلق كثير فخرجوا الى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز . وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وانما الاعمال بالنيات . وعن أبي موسى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يارسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله أخرجاه فى الصحيحين . وعن ابن مسعود رضى الله عنه . قال : إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيدا فان الرجل ليقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه . وبالاسناد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أول الناس يقضي فيه يوم القيامة ثلاثة رجل أستشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ماعملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال : ماعملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل أحب

تحبه أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك . قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . انفرد باخراجه مسلم . وباسناد مرفوع عن أبى حاتم الرازى قال سمعت عبدة ابن سليمان . يقول : كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا الى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا الى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فاذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فاذا هو عبد الله بن المبارك . فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا . قلت : فانظروا رحمكم الله الى هذا السيد المخلص . كيف خاف على اخلاصه برؤية الناس له ومدحهم اياه فستر نفسه . وقد كان ابراهيم بن أدهم : يقاتل فاذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر

(فصل) وقد لبس ابليس على المجاهد اذا غنم . فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه . فاما ان يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها . ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة . قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا . فلم نغنم ذهبا ولا ورقا . غنمنا المتاع والطعام والثياب . ثم انطلقنا الى الوادى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له . فلما نزلنا قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه ، فلما قلنا له : هنيئا له الشهادة يارسول الله . فقال : كلا والذى نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم يصبها المقاسم . قال : ففزع الناس . فجاء رجل بشراك أو بشراكين . فقال : أصبته يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شراك من نار أو شراكين من نار

(فصل) وقد يكون الغازى عالما بالتحريم الا أنه يرى الشيء الكثير فلا

يصبر عنه . وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل . وها هنا يتبين أثر الايمان والعلم . روينا باسناد عن هبيرة بن الاشعث عن أبي عبيدة العنبري . قال : لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الاقباض . أقبل رجل بحق معه فدفعه الى صاحب الاقباض . فقال الذين معه : ما رأينا مثل هذا قط . ما يعدله ماعندنا ولا ما يقاربه . فقال له : هل أخذت منه شيئا . فقال : أما والله . لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنا . فقالوا : من أنت . فقال: والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغيركم لتقرظوني . ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه . فاتبعوه رجلا حتى انتهى الى أصحابه . فسأل عنه فاذا عامر بن عبدقيس

ذكر تلبيسه على جماعة من المذكرين بالمعروف منهم

وهم قسمان عالم ، وجاهل . فدخول ابليس على العالم من طريقين

الطريق الاول : التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل . روينا باسناد عن احمد بن أبي الحواري . قال سمعت أبا سليمان يقول : سمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة . فاستقبلني الغضب وحضرتني نية ان أقوم فاعظه بما أعرف من فعله اذا نزل . قال : فكرهت أن أقوم الى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوني بابصارهم فيعرض لي تزين فيأمر بي فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت

والطريق الثاني : الغضب للنفس . وربما كان ابتداء . وربما عارض في حالة الأمر بالمعروف لاجل مايلقى به المنكر من الاهانة فتصير خصومة لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل : لولا أني غضبان لعاقبتك . وانما أراد أنك أغضبتني فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولي.

(فصل) فأما اذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به وانما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه . لأنه ربما نهى عن شئ جائز بالاجماع وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب . وربما

كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فان أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه . وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال: اذا كان .فلا تكسره. وقال في رواية أخرى :اكسره . وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين والاولى على أنه لا يتبين : وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال: ولا عليك ما غاب عنك فلا تفتش. وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر الى من يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل : إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع اليه

(فصل) ومن تلبيس ابليس على المنكر أنه اذا أنكر جلس في مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا .وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج في ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لانه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن. وسمعت عن بعض الجهلة بالانكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الأواني وكل هذا يوجبه الجهل .فأما العالم اذا أنكر فأنت منه على أمان . وقد كان السلف يتلطفون في الانكار ورأى صلة بن أشيم رجلا يكلم امرأة . فقال :ان الله ستير .سترنا الله وإياكما . وكان يمر بقوم فيقول : يا إخواني ما تقولون فيمن أراد سفراً فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره . فانتبه رجل منهم فقال : ياقوم انما يعنينا هذا فتاب وصحبه

(فصل) وأولى الناس بالتلطف في الانكار على الامراء فيصلح أن يقال لهم : ان الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته . فان النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصي

(فصل) وقد لبس ابليس على بعض المتعبدين فيرى منكرا فلا ينكره ويقول انما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف آمر غيري .

وهذا غلط لانه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه. الا أنه متى أنكر متنزه عن المنكر أثر إنكاره واذا لم يكن متنزهاً لم يعمل انكاره فينبغي للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره. قال ابن عقيل: رأينا في زماننا أبا بكر الاقفالي في أيام القائم اذا نهض لانكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون الا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخباز شيخ صالح أخذ من اطلاعه في التنور وتبعه. وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فاذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش

﴿ الباب التاسع ﴾

في ذكر تلبيس ابليس على الزهاد والعباد

قد يسمع العامي ذم الدنيا في القرآن المجيد والاحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدري ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه ابليس: بأنك لا تنجو في الآخرة الا بترك الدنيا فيخرج على وجهه الى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل اليه أن هذا هو الزهد الحقيقي. كيف وقد سمع عن فلان انه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد في جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها. وانما يتمكن ابليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها وكيف يذم ما من الله تعالى به وما هو ضرورة في بقاء الآدمي وسبب في اعانته على تحصيل العلم من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه وانما المذموم أخذ الشيء من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة. ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا باذن

الشرع . وأن الخروج الى الجبال المنفردة منهى عنه فان النبى صلى الله عليه وسلم : نهى أن يبيت الرجل وحده وأن التعرض لتركه الجماعةوالجمعة خسران لاربح والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل . وفراق الوالد والوالدة في مثل هـذا عقوق والعقوق من الكبائر وأما من سمع عنه أنه خرج الي جبل فاحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا الى مكان يتعبدون فيه مجتمعين . ومن لم يحتمل حالهم وجها صحيحاً فهـم على الخطأ مَنْ كانوا . وقـد قال بعض السلف : خرجنا الى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا

(فصل) ومن تلبيسه على الزهاد : اعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خـير وبيان ذلك : أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد. وكم قد رد الى الصواب من متعبد

(فصل) ومن تلبيسه عليهم: أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فنهم من لا يزيد على خبز الشعير. ومنهم من لايذوق الفاكهة. ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنهويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماءالبارد وما هذه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولاطريق أصحابه وأتباعهم .وانما كانوا يجوعون اذالم يجدوا فاذا وجدوا أكلوا. وقد كانرسول الله صلى اللهعليهوسلم يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلواء ويستعذب له الماء ويختار الماء البائت فان الماء الجارى يؤذي المعدة ولا يروى . وقد كان رجل يقول : أنا لا آكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره . فقال الحسن : هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد .وقد كان سفيان الثورى اذا سافرحمل فى سفرته اللحم المشوىوالفالوذج. وينبغي للانسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولابد من الرفق بها ليصل بهـا الى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والافراط في تناول الشهوات فان ذلك يؤذى البدن والدين

ثم أن الناس يختلفون فى طباعهم فان الأعراب اذا لبسوا الصوف

واقتصروا على شرب اللبن لم نامهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك . وأهل السواد اذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ لم نامهم أيضاً ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم . فأما اذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فانا نهى صاحبه أن يحمل عليه مايؤذيه . فان تزهد وآثر ترك الشهوات أما لأن الحلال لايحتمل السرف أولان الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم مايضر تركه ومالا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس . وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى الا أن الاقتصار يؤذى من جهة أن اخلاط البدن تفتقر الى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل . وقد جعل فى الطبع ميل الى الملايم فتارة يميل الى الحامض وتارة يميل الى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذى لا بد فى قوامها منه فتشتاق الى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل الى الحموضية فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها فقد آذاها الا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقبته فان ذلك يفسدها . فاما الكف المطلق فخطأ فأفهم هذا ولا يلتفت الى قول الحارث المحاسبي وأبى طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فان اتباع الشارع وصحابته أولى . وكان ابن عقيل يقول : ما أعجب فى المتدين اما أهواء متبعة ، أو رهبانية مبتدعة ، بين تجرير أذيال المرح فى الصبا واللعب ، وبين اهمال الحقوق واطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد . فهلا عبدوا على عقل وشرع

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب . فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة فى الرياسة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم . ويكرمون دون الفقراء . ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة . وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس اليهم وتقبيل أيديهم في أوسع باب

من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة

(فصل) واكثر مايلبس به ابليس على العبّاد والزهاد خفي الرياء. فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التلبيس مثل اظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد. وكذلك خفض الصوت لاظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة. ومثل هذه الظواهر لاتخفى. وانما نشير الى خفي الرياء. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: انما الاعمال بالنيات. ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عزوجل لم يقبل. قال مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقا لا تتعب

واعلم أن المؤمن لايريد بعمله الا الله سبحانه وتعالى. وانما يدخل عليه خفي الرياء فيلبس الأمر فنجاته منه صعبة. وفي الحديث مرفوعا عن يسار قال قال لي يوسف بن اسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه فاني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة. وفي الحديث مرفوعا عن ابراهيم الحنظلي قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان. دخلت عليه في صومعته فقلت له ياسمعان منذ كم أنت في صومعتك، قال منذ سبعين سنة قلت: ماطعامك. قال: ياحنيفي وما دعاك الى هذا قلت أحببت أن أعلم. قال: في كل ليلة حمصة. قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة. قال: ترى الذين بحذائك. قلت نعم قال: انهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني بذلك وكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة. فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة. فاحتمل ياحنيفي جهد ساعة لعز الابد. فوقر في قلبي المعرفة. فقال أزيدك قلت: نعم. قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الى ركوة فيها عشرين حمصة فقال لي أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت اليك فلما دخلت اجتمعت النصارى فقالوا ياحنيفي ما الذي أدلى اليك الشيخ. قلت: من قوته قالوا وما تصنع به نحن أحق به. ساوم قلت عشرين دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين الفاً لاعطوك. هذا عز من لايعبده

فانظر كيف تكون بعزمن تعبده يا حنيفى . اقبل على ربك .

قلت : ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذرا عليها ويرجوها بضدها. فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل . وكان فى ذيل أيوب السختيانى بعض الطول . وكان ابن أدهم اذا مرض ترى عنده ما يأكل الاصحاء * وباسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول: كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا اليه ذات يوم . فقال : انا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الاهل والاموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا فى هذه حالة من الطغيان اكثر مما يدخل على اهل الاموال فى اموالهم . أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته . وان اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه . وان لقى حيي ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب ليسلم عليه وينظر اليه فلما رآه الرجل قيل له : هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك . فقال وما يصنع قال للكلام الذى وعظت . فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فامر به فأتى على مسح فوضع بين يديه . فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر . فوقف عليه الملك فسلم عليه فاجابه باجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله . فقال الملك : اين الرجل فقيل له : هو هذا . قال هذا الذى يأكل قالوا نعم . قال . فما عند هذا من خير فادبر . فقال الرجل : الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به * وفى رواية أخرى عن وهب : انه لما اقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمل البقول فى اللقمة الكبيرة ويغمسها فى الزيت فيأكل أكلا عنيفاً . فقال له الملك : كيف أنت يافلان فقال كالناس . فرد الملك عنان دابته وقال مافى هذا من خير . فقال : الحمد لله الذى أذهبه عنى وهولائم لى * وباسناد عن عطاء قال : أراد الوليد بن عبد الملك أن يولى يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا وأخذ بيده رغيفا وعرقا وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولانعل ولا

خف . فجعل يمشي في الاسواق و ياكل . فقيل للوليد : ان يزيد قـد اختلط وأخبر بما فعل فتركه

(فصل) ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً . لـكنه قد علم أنه لا بد أن يتحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته . فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذى ذكرنا قصته مع ابراهيم بن أدهم . ولو أنه أراد الاخلاص في زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحى به جاه النفس ويقطع الحديث عنه. فقد كان داود بن أبى هند : صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله . كان يأخذ غداءه ويخرج الى السوق فيتصدق به فى الطريق . فأهل السوق يظنون قد أكل في البيت . وأهل البيت يظنون أنه قد أكل فى السوق . هكذا كان الناس

(فصل) ومن المتزهـدين : من قوته الانقطاع في مسجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه بانى أخاف ان أرى فى خروجى المنكرات . وله فى ذلك مقاصد : منها الـكبر واحتقار الناس. ومنها انه يخاف ان يقصروا فى خدمته . ومنها حفظ ناموسـه ورياسته فان مخالطة الناس تذهب ذلك وهو يريد أن يبقى اطراؤه وذكره. وربما كان مقصوده سـتر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هـذا . ويحب أن يزار ولا يزور ويفرح بمجىء الامراء اليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده . فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز ويقول أصحابه : أعذروا الشيخ فهذه عادته لا كانت عادة تخالف الشريعة . ولو احتاج هذا الشخص الى القوت ولم يكن عنـده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام . ولو انه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولـكن فى باطنه حفظ الناموس . وقـد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . يخرج الى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى . والحديث باسناد عن محمد بن القاسم . قال : روى عن عبد الله بن حنظلة قال : مر عبد الله بن سلام وعلى

رأسه حزمة حطب . فقال له ناس : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله . قال : أردت أن أدفع به الكبر وذلك أنى سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول: لا يدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر

(فصل) قال المصنف : وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الاحوال والملابس . فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع . ومراعات قلوبهم فى مثل هذا لايخرج الى الرياء واستعمال ما يوجب الهيبة فى القلوب لايمنع منه . وليس كل ما كان في السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغى أن يفعل اليوم . قال الاوزاعى : كنا نضحك ونمزح فاذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا . وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم : أن أصحابه كانوا يوما يتمازحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون . فقالوا له : تعلمنا الرياء فقال : انى أكره أن يعصى الله فيكم

قال المصنف : وانما خاف قول الجهلة : انظروا الى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون . وذلك أن العوام لايحتملون مثل هذا للمتعبدين

(فصل) ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس جاهه فى الزهد ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه . ويحفظ نفسه فى التبسم فضلا عن الضحك . ويوهمه ابليس أن هذا لاصلاح الخلق وانما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطاطئ الرأس عليه آثار الحزن فاذا خلا رأيته ليث شرى

(فصل) وقد كان السلف يدفعون عنهم كل مايوجب الاشارة اليهم ويهربون من المكان الذى يشار اليهم فيه والحديث باسناده عن عبد الله بن خفيف . قال قال يوسف بن اسباط : خرجت من سبح راجلا حتى أتيت المصيصة وجرابى على عنقى . فقام ذا من حانوته يسلم علىّ وذا يسلم . فطرحت جرابى ودخلت المسجد

أصلي ركعتين فاحدقوا بي واطلع رجل في وجهي فقلت في نفسي كم بقاء قلبي على هذا؟ فأخذت جرابي ورجعت بعرقي وعنائي الى سبح فارجع الى قلبي سنتين

(فصل) ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك اصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خبر، وهذا من أبواب الرياء فان كان صادقا في أغراضه عن اعراضه كما قيل لداود الطائي : ألا تسرح لحيتك فقال: اني عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة، اذ ليست هذه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه فانه كان يسرح شعره وينظر في المرآة ويدهن ويتطيب وهو اشغل الخلق بالآخرة . وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأزهدهم . فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الاكابر لم يلتفت اليه

(فصل) ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبيح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لأهلك عليك حقاً، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويلاعب الاطفال ويحدث أزواجه . وسابق عائشة الى غير ذلك من الاخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده وقبيح أخلاقه لانه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدري لقلة علمه أن الانبساط الى الاهل من العون على الآخرة، وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال لجابر : هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك . وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة

(فصل) ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له: أنت من أوتاد الارض رأى ذلك حقا، ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل اليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشي عليه، فاذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر في باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله . ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله، ولو نظر الى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه،

وقد كان ينبغي أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر اليه كما كانت رابعة تقول : أستغفر الله من قلة صدقي في قولي. وقيل لها هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك ، فقالت : اذا كان فمخافتي أن يرد عليّ

(فصل) ومن تلبيس ابليس على قوم من الزهاد الذي دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون الى قول الفقيه . قال ابن عقيل : كان أبو اسحق الخراز صالحا وهو أول من لقنني كتاب الله وكان من عادته الامساك عن الكلام في شهر رمضان . فكان يخاطب بآي القرآن فيما يعرض له من الحوائج فيقول : في اذنه «أدخلوا عليهم الباب » . ويقول : لابنه في عشية الصوم « من بقلها وقثائها» آمرا له أن يشتري البقل. فقلت له هذا الذي تعتقده عبادة وهو معصية . فصعب عليه . فقلت : إن هذا القرآن العزيز أنزل في بيان أحكام شرعية فلا يستعمل في أغراض دنيوية وما هذا الا بمثابة صرك السدر والاشنان في ورق المصحف أو توسدك له . فهجرني ولم يصغ الى الحجة

قال المصنف قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتي به حدثني أبو حكيم ابراهيم بن دينار الفقيه. أن رجلا استفتاه فقال ما تقول: في امرأة طلقت ثلاثا فولدت ذكرا هل تحل لزوجها . قال : فقلت لا. وكان عندي الشريف الدحالي(١ وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام. فقال لي: بلى تحل ، فقلت : ما قال بهذا أحد . فقال : والله لقد أفتيت بهذا من ههنا الى البصرة

قال المصنف : فانظر ما يصنع الجهل باهله ويضاف اليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل . وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتي لانه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم في الفتوى بالواقعات وبالاسناد عن اسماعيل بن شبه قال دخلت على احمد بن حنبل وقد قدم احمد بن حرب من مكة فقال لي احمد بن حنبل من هذا الخراساني الذي قد قدم . قلت : من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا

١) وفي النسخة الثانية الرحالي

وكذا . فقال : لا ينبغي لمن يدعي ما يدعيه أن يدخل نفسه في الفتيا

(فصل) ومن تلبيسه على الزهاد : احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم عمل القلوب ، ولو عرفوا مرتبة العلماء في حفظ الشريعة وأنها مرتبة الانبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء والعمى عند البصراء . والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم . وسليم هؤلاء ليمشي وحده . وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : والله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم

(فصل) ومما يعيبون به العلماء : تفسح العلماء في بعض المباحات التي يتقوون بها على دراسة العلم . وكذلك يعيبون جامع الاموال . ولوفهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله . وغاية الامر أن غيره أولى منه . أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام . ولقد روينا باسناد عن محمد بن جعفر الخولاني . قال : حدثني أبو عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الاصم . قال : دخلنا مع حاتم البلخي الى الري ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا من أصحابه يريد الحج . وعليهم الصوف والزرمانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام . فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد . قال لحاتم : يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فاني أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كثير والنظر الى الفقيه عبادة وأنا أجي معك . وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري . فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن . فجاؤا الى باب داره فاذا البواب فبقي حاتم متفكرا يقول يارب دار عالم على هذه الحال . ثم أذن لهم فدخلوا فاذا بدار فوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور . فبقي حاتم متفكرا ينظر حتى دخلوا الى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل . واذا بفراش حسن وطيء وهو عليه راقد وعند رأسه مذبة وناس وقوف . فقعد الرازي وبقي حاتم قائما

فأومى اليه محمد بن مقاتل بيده أن اجلس . فقال حاتم : لا أجلس. فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم . قال وما هى قال مسئلة أسألك عنها قال فاسئلني . قال حاتم قم فاستو جالسا حتى أسألك عنها . فأمر غلمانه فأسندوه . فقال حاتم : علمك هذا من أين جئت به. فقال حدثني الثقات عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه . قال عن التابعين قال والتابعون عمن أخذوه قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن أخذوه قال عن رسول الله عليه وسلم ، قال ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أين جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل . قال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وأداه النبي صلى الله عليه وسلم الى الصحابة . وأداه الصحابة الى تابعيهم . وأداه التابعون الى الأئمة. وأداه الأئمة الى الثقات. وأداه الثقات اليك . هل سمعت فى هذا العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن وفراشه ألين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر . قال : لا . قال : فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكن وقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له المنزلة أكثر واليه أقرب .قال حاتم : وأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو بفرعون ونمروذ فانهما أول من بنا بالجص والآجر . ياعلماء السوء أن الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول: هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا قال فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضا وبلغ أهل الرى ماجرى بين حاتم وبين ابن مقاتل. فقالوا لحاتم ان محمد بن عبيد الطنافسى بقزوين أكثر شيئا من هذا فصار اليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال له رحمك الله أنا رجل أعجمى جئتك لتعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة.فقال : نعم وكرامة. ياغلام اناء فيه ماء فجاءه بأناء فيه ماء. فقعد محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثا ثم قال له هكذا فتوضأ . قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون

أو كد لما أريد . فقام الطنافسي وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثا حتي اذا بلغ الذراع غسل أربعا. فقال الطنافسي : أسرفت. قال حاتم فيماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعا. قال: ياسبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف. فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك فدخل البيت ولم يخرج الى الناس أربعين يوماً وخرج حاتم الى الحجاز . فلما صار الى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة . فلما دخل المدينة قال : يا قوم أى مدينة هذه قالوا مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أذهب اليه فأصلى فيه ركعتين قالوا ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قصر انما كان له بيت لاط . قال : فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ماكان لهم قصورا انما كان لهم بيوت لاطئة. فقال حاتم فهذه مدينة فرعون . قال : فسبوه وذهبوا به الى الوالى . وقالوا : هـذا العجمي يقول : هذه مدينة فرعون. فقال الوالي : لم قلت ذلك . قال حاتم : لا تعجل على أيها الامير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينه فسألت أى مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .وسألت عن قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصور أصحابه قالوا : انما كانت لهم بيوت لاطئة . وسمعت الله عز وجل يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة». فأنتم بمن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بفرعون

قال المصنف : قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً . فان الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شيء ثم يعاتب عليه . فما أقبح الجهل ولو انه قال لهم : لو قصرتم فيما أنتم فيه لتقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبدالرحمن ابن عوف ،والزبير بن العوام ، وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم .وفلانا . وفلانا من الصحابة خلفوا مالا عظيما. أتراه ماذا كان يقول. وقد اشترى تميم الدار حلة بألف درهم. وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء

فاذا لم يتعلم فليسكت. والحديث بأسناد عن مالك بن دينار رضي الله عنه . قال: ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز * وباسناد عن حبيب الفارسي يقول : والله ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز

قال المصنف: قلت المراد بالقراء الزهاد . وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

الباب العاشر فى ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف : الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس ابليس على الزهاد لأن الصوفيـة انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا الي أفرادهم بالذكر . والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهـد الـكلى ثم ترخص المنتسبون اليها بالسماع والرقص فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ، ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب . فلا بد من كشف تلبيس ابليس فى طريقة القوم ولا ينكشف ذلك الا بكشف هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب

فصل قال المصنف : كانت النسبة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان والاسلام . فيقال: مسلم ، ومؤمن . ثم حدث اسم زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها. وأخلاقا تخلقوا بها. ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل كان يقال له صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسبوا اليه لمشابهتهم اياه في الانقطاع الى الله سبحانه وتعالى. فسموا بالصوفية* أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال قال قال أبو محمد عبد الغنى ابن سعيد الحافظ . قال سألت وليد بن القاسم : الى أى شيء ينسب الصوفى. فقال: كان قوم فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا الى الله عز وجل وقطنوا الـكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغنى فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر ابن أخى تميم بن مر* وبالاسناد الى

الزبير بن كار قال : كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة الى الغوث بن مر بن طابخة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة . وكان اذا حانت الاجازة قالت العرب، أجز صوفة. قال الزبير: قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال الزبير حدثنى أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي . قال: انما سمي الغوث بن مر صوفة لانه ما كان يعيش لامه ولد. فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة . ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده . قال الزبير : وحدثنى ابراهيم بن المنذرى عن عبد العزيز ابن عمران قال أخبرني عقال بن شبه قال قالت ام تميم بن مرو قد ولدت نسوة فقالت لله علي أن ولدت غلاماً لاعبدنه للبيت . فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى . فقالت: ماصار ابنى الا صوفة فسمي صوفه . وكان الحج واجازة الناس من عرفة الى منى ومن منى الى مكة لصوفة . فلم تزل الاجازة الى عقب صوفه حتى أخذتها عدوان فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش

فصل قال المصنف: وقد ذهب قوم الي أن التصوف منسوب الى أهل الصفة. وانما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ماذكرنا من صفة صوفة فى الانقطاع الى الله عزوجل وملازمة الفقر فان أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل أهل الصفة *والحديث باسناد عن الحسن ، قال: بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون اليها ما استطاعوا من خير . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم فيقول: السلام عليكم يا أهل الصفة . فيقولون : وعليك السلام يا رسول الله . فيقول : كيف أصبحتم . فيقولون: بخير يارسول الله *وبأسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبي ذر قال : كنت من أهل الصفة وكنا اذا أمسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو اقل فيؤثرنا النبي صلى الله عليه وسلم بعشائه فنتعشى . فاذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ناموا فى المسجد

قال المصنف: وهؤلاء القوم انما قعدوا فى المسجد ضرورة . وانما أكلوا من الصدقة ضرورة . فلما فتح الله على المسلمين أستغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفى الى أهل الصفة غلط لانه لو كان كذلك لقيل صفى . وقد ذهب الى أنه من الصوفانه . وهى بقلة رعناء قصيرة فنسبوا اليها لاجتزائهم بنبات الصحراء . وهذا أيضاً غلط لانه لو نسبوا اليها لقيل صفوفانى . وقال آخرون هو منسوب الى صوفة القفا . وهى الشعرات النابتة فى مؤخره كأن الصوفى عطف به الى الحق وصرف عن الخلق . وقال آخرون : بل هو منسوب الى الصوف وهذا يحتمل . والصحيح الأول

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم : رياضة النفس ، ومجاهدة الطبع . برده عن الاخلاق الرذيلة ، وحمله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق الى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الاخرى * والحديث بأسناد عن الطوسى يقول سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن التصوف . فقال : الخروج عن كل خلق ردئ ، والدخول فى كل خلق سنى ، وباسنادعن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول . قال : رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم . وقعدت هذه الطائفة على الحقايق . وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع . وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق

قال المصنف : وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس ابليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه فى القرن الثانى فزاد تلبيسه عليهم الى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن

وكان أصل تلبيسه أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات. فنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة. فرفضوا مايصلح أبدانهم. وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع. وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة. وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع اليه من الاحاديث الموضوعة وهو لايدرى.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم فى الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا فى ذلك مثل الحارث المحاسبى. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميز بزيادة النظافة والطهارة: ثم مازال الأمر ينمى والاشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم. ويتفق بُعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ماهم فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ومنهم من خرج به الجوع الى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم خايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به. وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق. ففسدت عقائدهم. فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد. وما زال ابليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لانفسهم سننا وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير اسناد ذلك الى اصل من أصول العلم. وانما حملوه على مذاهبهم. والعجب من ورعهم فى الطعام وانبساطهم فى القرآن * وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز. قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى قال كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الاصم الاشيئا يسيرا فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدث عن الاصم بتاريخ يحى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الاحاديث

قال المصنف : وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جمله ان شاء الله تعالى، وصنف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الاحاديث الباطلة ومالا يستند فيه الى أصل من مواصلات الايام والليالى وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد . وردد فيه قول ـ قال بعض المكاشفين ـ وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية ان الله عز وجل يتجلى فى الدنيا لاوليائه * أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال أبو طاهر محمد بن على العلاف . قال : دخل أبو طالب المكى الي البصرة بعد وفاة أبى الحسين (١) بن سالم فانتمى الي مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوق اضر من الخالق . فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب : وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات

قال المصنف : وجاء أبو نعيم الاصبهانى فصنف لهم كتاب الحلية . وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستحى أن ذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وسادات الصحابة رضى الله عنهم . فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحا القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى واحمد بن حنبل وكذلك ذكر السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل وابراهيم بن أدهم ومعروفا الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار الى أنهم من الزهاد

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتى ذكره . وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيرى كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء والبقاء . والقبض . والبسط . والوقت . والحال . والوجد .

(١) نسخة ابى الحسن

والوجود . والجمع . والتفرقة . والصحو . والسكر . والذوق . والشرب . والمحو . والاثبات . والتجلي . والمحاضرة . والمكاشفة . واللوائح . والطوالع واللوامع . والتكوين . والتمكين . والشريعة . والحقيقة . الى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشيء وتفسيره أعجب منه . وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه ان شاء الله تعالى

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول : كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة . قال وصنف كتاباً فى جواز النظر الى المرد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين — رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها . فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح — قال شيخنا ابن ناصر : وليس ابن طاهر بمن يحتج به . وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب الاحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم على المكاشفة وخرج عن قانون الفقه . وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتى رآهن ابراهيم صلوات الله عليه أنوار هى حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات . وهذا من جنس كلام الباطنية . وقال فى كتابه المفصح بالاحوال : أن الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور الى درجات يضيق عنها نطاق النطق

قال المصنف وكان السبب فى تصنيف هؤلاء هذه الاشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم . وأنما استحسنوها لانه قد ثبت فى النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم . وفى سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفى ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل اليها . وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والامراء فصاروا أصدقاء

فصل: وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لاتستند الى أصل وانما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقدسموها العلم الباطن * والحديث باسناد الى أبي يعقوب اسحاق بن حية قال سمعت احمد بن حنبل عن الوساوس والخطرات. فقال: ماتكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

قال المصنف: وقد روينا فى أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن احمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي. فقال لصاحب له: لا أرى لك أن تجالسهم * وعن سعيد بن عمرو البردعي. قال شهدت ابازرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه . فقال للسائل : اياك وهذه الكتب . هذه كتب بدع وضلالات . عليك بالاثر فانك تجد فيه مايغنيك عن هذه الكتب . قيل له: في هذه الكتب عبرة . قال: من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة. بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثورى، والاوزاعي، والائمة المتقدمة . صنفوا هذه الكتب فى الخطرات والوساوس وهذه الاشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتونا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبدالرحيم الدبيلى ومرة بحاتم الاصم ومرة بشقيق . ثم قال : ماأسرع الناس إلى البدع. أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا أبو محمد رزق الله بن عبدالوهاب التميمى عن أبى عبدالرحمن السلمى قال: أول من تكلم فى بلدته فى ترتيب الاحوال ومقامات الولاية ذو النون المصرى فانكر عليه ذلك عبدالله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمى : وأخرج أبو سليمان الدارانى من دمشق . وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه. وشهد قوم على احمد بن ابى الحوارى : أنه يفضل الاولياء على الانبياء فهرب من دمشق الى مكة. وأنكر أهل بسطام على أبى يزيد البسطامى ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لى معراج كما كان للنبى صلى الله عليه وسلم معراج فأخرجوه من بسطام . وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها الى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع الى بسطام . قال السلمى

وحكى رجل عن سهل بن عبدالله السترى أنه يقول: أن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وأنه يتكلم عليهم فانكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه الى القبائح فخرج الى البصرة فمات بها. قال السلمى وتكلم الحارث المحاسبي فى شئ من الكلام والصفات فهجره احمد بن حنبل فاختفى الى أن مات

قال المصنف: وقد ذكر ابو بكر الخلال فى كتاب السنة عن احمد بن حنبل أنه قال: احذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعنى فى حوادث كلام جهم ذلك جالسه فلان وفلان وأخرجهم الى رأى جهم مازال مأوى أصحاب الكلام. حارث بمنزلة الاسد المرابط أنظر اى يوم يثب على الناس

(فصل) • قال المصنف: وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وانما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم * وباسناد عن جعفر الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الدارانى قال: ربما تقع فى نفسى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وباسناد عن طيفور البسطامي يقول سمعت موسى بن عيسى قال لى أبى. قال أبو يزيد. لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود *وباسناد عن أبى موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى قال: من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع* وباسناد عن عبد الحميد الحبلى يقول سمعت سريا يقول: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط. وعن الجنيد أنه قال: مذهبنا هذا مقيد بالاصول الكتاب والسنة. وقال أيضاً علمنا مشوطا بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى واصله التعرف فى الدنيا كما قال حارثة: عرفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى* وعن أبى بكر الشفاف. قال: من ضيع حدود الامر والنهى

فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن . وقال الحسين النورى لبعض أصحابه: من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيته يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه . وعن الجريرى قال : أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد وهو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائما . وعن أبى جعفر قال :من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده فى ديوان الرجال

فصل قال المصنف: واذا قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم فقد وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فان كان ذلك صحيحا عنهم توجه الرد عليهم اذ لا محاباة فى الحق وان لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أى شخص صدر . فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة . ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط الا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل وانما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصدا لبيان الحق لا لاظهار عيب الغالط . ولا اعتبار بقول جاهل يقول : كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به . لأن الانقياد انما يكون الى ما جاءت به الشريعة لا الى الاشخاص . وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان ذلك .

واعلم أن من نظر الى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل الى ما صدر عنه كان كمن ينظر الى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الامور الخارقة ولم ينظر اليه فادعى فيه الالهية . ولو نظر اليه وانه لا يقوم الا بالطعام لم يعطه ما لا يستحقه. وقد أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندى باسناد الى يحيى بن سعيد . قال : سألت شعبة وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم فى الحديث. فقالوا جميعاً يبين أمره . وقد كان الامام احمد بن حنبل: يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه فى الشىء بعد الشىء. وقال : نعم الرجل لولا أن خلة فيه.

وقال عن سرى السقطى: الشيخ المعروف بطيب المطعم: ثم حكى له عنه أنه قال ان الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء. فقال: نفروا الناس عنه

سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد

ذكر تلبيس ابليس في السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى قال تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس فقبلوه. فبينا هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع فزعق أبو حمزة وقال: لبيك لبيك. فنسبوه الى الزندقة وقالوا حاولى زنديق. وبيع فرسه بالمنادات على باب الجامع هذا فرس الزنديق. وباسناد الى أبى بكر الفرغانى أنه قال: كان أبو حمزة اذا سمع شيئاً يقول: لبيك لبيك. فأطلقوا عليه أنه حاولى. ثم قال أبو على وانما جعله داعيا من الحق أيقظه للذكر. وعن أبى على الروزبارى قال أطلق على أبى حمزة أنه حاولى وذلك أنه كان اذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح، وخرير الماء، وصياح الطيور يصيح ويقول: لبيك لبيك. فرموه بالحلول. قال السراج: وبلغنى عن أبى حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبى فصاحت الشاه ماع فشهق أبو حمزة شهقة وقال: لبيك يا سيدى فغضب الحارث المحاسبى وعمد الى سكين وقال ان لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك. قال أبو حمزة. اذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبى سعيد احمد بن عيسى الخراز ونسبوه الى الكفر بألفاظ وجدوها في كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله: عبد طائع ماأذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه. قال: وأبو العباس احمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة. وقال السراج: ذكر عن أبى بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى. أنه قال: من ذكر افترى ومن صبر اجترى. وإياك أن تلاحظ حبيباً أوكليما أوخليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا.

فقيل له : أو لا أصلي عليهم؛ قال: صل عليهم بلا وقار ، ولا تجعل لها في قلبك مقدار . قال السراج : وبلغني أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل إصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية ، ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات . ومنهم من قال حال [١] في المستحسنات. قال وبلغني عن جماعة من أهل الشام: أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في الدنيا كالرؤية بالعيان في الآخرة. قال السراج: وبلغني أن أبا الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول: أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقني فقال النوري: سمعت الله يقول « يحبهم ويحبونه » وليس العشق بأكثر من المحبة . قال القاضي أبو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلى أن الله عز وجل يعشق

قال المصنف: وهذا جهل من ثلاثة أوجه. أحدهما من حيث الاسم فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح. والثاني أن صفات الله عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال : إني في الجنة فهو في النار

وعن أبي عبد الرحمن السلمي . قال حكي: عن عمرو المكي أنه قال : كنت اماشي الحسين بن منصور في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال يمكنني أن أقول مثل هذا ففارقته . وعن محمد بن يحيي الرازي . قال سمعت عمرو بن عثمان : يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه لاقتلنه بيدي فقلت بأي شئ وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكنني أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به * وباسناد عن أبي القاسم الرازي يقول قال أبو بكر بن ممشاد . قال : حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه .فقال : هذا خطي وأنا كتبته. فقالوا كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية .فقال: ما أدعي الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل

الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة . فقيل له: هل معك أحد فقال: نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريري وأبو بكر الشبلي. وأبو محمد الجريري يتستر والشبلي يتستر فان كان فابن عطاء فاحضر الجريري وسئل فقال قائل هذا كافر يقتل من يقول هذا وسئل الشبلي فقال من يقول هذا يمنع وسئل بن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله * وباسناد عن ابن باكويه قال: سمعت عيسى بن بردل القزويني وقد سئل أبو عبدالله بن خفيف عن معنى هذه الابيات:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ : على قائله لعنة الله . قال : عيسى بن فورك هذا شعر الحسين بن منصور. قال: ان كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون منقولا عليه * وباسناد عن على بن المحسن القاضي عن أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجي عن أبيه أن بنت السمري أدخلت على حامد الوزير ، فسألها عن الحلاج فقالت : حملني أبي اليه فقال قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيم بنيسابور فتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومي يومك واصعدي في آخر النهار إلى السطح وقومي على الرماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جرش واستقبليني بوجهك واذكري لي ما أنكرتيه منه فاني أسمع وأرى. قالت. وكنت ليلة نائمة في السطح فأحسست به قد غشيني فانتبهت مذعورة لما كان منه . فقال: إنما جئتك لأوقظك للصلاة فلما نزلنا . قالت إبنته: إسجدي له . فقلت: أو يسجد أحد لغير الله . فسمع كلامي : فقال نعم إله في السماء وإله في الارض

قال المصنف: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج. فأول من قال أنه حلال الدم أبو عمرو القاضي ووافقه العلماء. وإنما سكت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدري ما يقول والاجماع دليل معصوم من الخطأ وباسناد عن أبي هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أجاركم ان تجتمعوا على ضلالة

كلكم * وباسناد عن أبي القاسم يوسف بن يعقوب النعماني قال سمعت والدي يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهاني يقول : ان كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم حقاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه

قال المصنف: وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا منهم وقلة مبالاة باجماع الفقهاء * وباسناد عن محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت ابراهيم بن محمد النصرابادي قال يقول: ان كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج . قلت وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع وبعدا عن معرفة النقل. وقد جمعت في أخبار الحلاج كتابا بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال

وباسناد عن ابي نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادي بمكة يحكي انه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية الى الزندقة . أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النوري في جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم . فتقدم النوري مبتدرا الى السياف ليضرب عنقه . فقال له السياف : ما دعاك الى البدار . قال آثرت حياة أصحابي على حياتي هذه اللحظة فتوقف السياف فرفع الأمر الى الخليفة فرد أمرهم الى قاضي القضاة اسماعيل بن اسحاق فأمر بتخليتهم * وباسناد الى أبي العباس أحمد بن عطاء . قال كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل الى الخليفة فقال ههنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النوري ، وأبو حمزة الصوفي ، وأبو بكر الدقاق . وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبي ثور . فأدخلوا الى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النوري . فقال له السياف لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع . قال : أحببت أن أوثر أصحابي بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم الى القاضي فأطلقوا .

قال المصنف : ومن أسباب هذه القصة قول النوري : أنا أعشق الله والله يعشقني . فشهد عليه بهذا . ثم تقدم النوري الى السياف ليقتل اعانة على نفسه فهو

خفاً أيضاً* وباسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو تلميذ الرقي قال سمعت الرقي يقول: كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير عليه خرقتان يكنى بأبي سليمان فقال: الضيافة. فقلت لابني امض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فاكل في كل ثلاثة أيام أكلة. فسمته المقام فقال الضيافة ثلاثة فقلت له لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتي عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين فقال رأيت شيخاً يقال له أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع في نفسي أن أسأله أي شيء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأني قبل أن أسأله فقال وما سؤالك عما لا يعنيك. فصبرت حتى تم لي ثلاث سنين. فقال لي في الثالثة لا بد لك فقلت له ان رأيت فقال بينما أنا اصلي بالليل اذ لاح لي من المحراب نور فقلت اخسأ ياملعون فان ربي عز وجل غني عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات قال ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب. فقلت لبيك فقال تحب أن أقبضك في وقتك ونجازيك على ما مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به في عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناي ويداي ورجلاي قال فكنت أخدمه تمام اثنتي عشرة سنة. فقال يوماً من الايام أدن مني فدنوت منه فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضاً ابرز حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات

قال المصنف: وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلما أنكر عوقب. وقد ذكرنا أن قوما يقولون إن الله عز وجل يرى في الدنيا. وقد حكى أبو القاسم عبدالله بن احمد البلخي في كتاب المقالات قال قد حكي قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالابصار في الدنيا وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من يلقاهم في السكك وأن قوما يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات

قال المصنف: وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في الطهارة

قال المصنف: قد ذكرنا تلبيسه على العباد في الطهارة الا أنه قد زاد في حق الصوفية على الحد فقوى وساوسهم في استعمال الماء الكثير حتى بلغني أن ابن عقيل: دخل رباطا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه. وبلغنا عن أبي حامد الشيرازي أنه قال لفقير: من أين تتوضأ. فقال: من النهر فيّ وسوسة في الطهارة. قال: كان عهدي بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن يسخر بهم الشيطان. ومنهم من يمشي بالمداس على البواري وهذا لا بأس به الا انه ربما نظر المبتدى الى من يقتدى به فيظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا. والعجب ممن يبالغ في الاحتراز الى هذا الحد متصفاً بتنظيف ظاهره وباطنه محشوّ بالوسخ والكدر والله الموفق.

ذكر تلبيس إبليس عليهم في الصلاة

قال المصنف: قد ذكرنا تلبيسه على العباد في الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد. وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي ان من سنتهم التي ينفردون بها وينتسبون إليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره حين اسلم ان يغتسل

قال المصنف: وما أقبح بالجاهل اذا تعاطى ماليس من شغله فان ثمامة كان كافراً فأسلم واذ أسلم الكافر وجب عليه الغسل في مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل. وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء لمن أسلم وليس في حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه. وهل هذا الا ابتداع في الواقع سموه سنة. ثم من أقبح الأشياء قوله: أن الصوفية ينفردون بسنن لأنها ان كانت منسوبة الى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها. وان كانت بآرائهم فانما انفردوا بها لأنهم إخترعوها

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى المساكن

قال المصنف : أما بناء الأربطة فان قوماً من المتعبدين الماضيين اتخذوها للانفراد بالتعبد . وهؤلاء اذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه : أحدها أنهم ابتدعوا هذا البناء وانما بنيان أهل الاسلام المساجد . والثانى انهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها . والثالث انهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطا الى المساجد والرابع انهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم فى الديرة . والخامس انهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج الى النكاح . والسادس انهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم . وان كان قصدهم غير صحيح فانهم قد بنوا دكاكين للكوبة (١) ومناخا للبطالة وأعلاماً لاظهار الزهد . وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين فى الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص . يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس . وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة . وقد لبس عليهم ابليس إنما يصل اليكم رزقكم فأسقطوا عن انفسكم كلفة الورع . فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد . فأين جوع بشر . وأين ورع سرى . وأين جد الجنيد . وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فاذا أفلح أحدهم أدخل رأسه فى زرماقته فغلبت عليه السوداء . فيقول : حدثنى قلبى عن ربى . ولقد بلغنى أن رجلا قرأ القرآن فى رباط فمنعوه وان قوما قرؤا الحديث فى رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى الخروج عن الاموال والتجرد عنها

كان ابليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الاموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم . فأما الآن فقد كفى ابليس هذه المؤنة فان أحدهم اذا كان له مال أنفقه تبذيرا وضياعا والحديث باسناد

---

١) الكوبة : النرد وقيل الطبل .

عن محمد بن الحسين السلمي قال سمعت أبا نصر الطوسي . قال سمعت جماعة من مشايخ الري يقولون : ورث أبو عبدالله المقري من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء

وقد روي مثل هذا عن جماعة كثيرة . وهذا الفعل لا ألوم صاحبه اذا كان يرجع الى كفاية قد ادخرها لنفسه أو ان كانت له صناعة يستغني بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به . فأما اذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو اما أن يتعرض لمنن الاخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهي عنه . ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وانما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاماً طويلا وشيده أبو حامد الغزالي ونصره والحارث عندي أعذر من أبي حامد لان أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه

فمن كلام الحارث المحاسبي في هذا أنه قال : أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه . فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين وزعمت أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم . وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة . وداين عوف في القيامة أن لن يؤتى من الدنيا الا قوتا . قال ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك . قال كعب : سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعبا فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به . وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً

من أبي ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية : تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا . ثم قال : يا أبا ذر وأنت تريد الاكثر وأنا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال بقولك فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج

قال الحارث : فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعي الى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم اذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وانت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما . وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة . وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل . ويحك هل تجد في دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة واين الحلال فتجمعه . ويحك اني لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر . فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر فقال تركه أبر منه . وبلغنا أن بعض خيار التابعين : سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال : بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الارض ومغاربها

قال المصنف : فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحديث ثعلبة فانه أعطى المال فمنع الزكاة قال أبو حامد : فمن راقب أحوال الانبياء والاولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده . وان صرف الى الخيرات اذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل . فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته

فما بقي له درهم يلتفت اليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل

قال المصنف : وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال

فصل : في رد هذا الكلام أما شرف المال فان الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه اذ جعله قواماً للآدمي وما جعل قواماً للآدمي الشريف فهو شريف . فقال تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » . ونهى عز وجل أن يسلم المال الى غير رشيد . فقال : « فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه : نهى عن اضاعة المال . وقال لسعد : لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وقال : ما نفعني مال كمال أبي بكر * والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص . قال : بعث الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني ، فأتيته فقال : اني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك . وارغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت يا رسول الله : ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الاسلام . فقال يا عمرو : نعم المال الصالح للرجل الصالح . والحديث باسناد عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بكل خير وكان في آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له * وباسناد عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته . قال فقلت : يا رسول الله ان من توبتي أن انخلع من مالي صدقة الي الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم . فقال : أمسك بعض مالك فهو خير لك

قال المصنف : فهذه الاحاديث مخرجة في الصحاح وهي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من ان اكثار المال حجاب وعقوبة . وان حبسه ينافي التوكل . ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وان خلقا كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك . وان جمعه من وجهه يعز . وسلامة القلب من الافتتان به يبعد . واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر . ولهذا خيف فتنته . فأما كسب المال فان من اقتصر على

كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه . وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال . نظرنا في مقصوده : فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود . وان قصد اعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم . وقصد التوسعة على الاخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته. وباسناد عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير (١ حضر فرسه بأرض يقال لها ثرثر . فأجرى فرسه حتى قام ثم رمى سوطه . فقال : اعطوه حيث بلغ السوط . وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول : اللهم وسع علي

قال المصنف : وأبلغ من هذا : أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه « ونزداد كيل بعير » . مال الى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم . وان شعيبا طمع في زيادة ما يناله فقال : « فان أتممت عشرا فمن عندك » . وان أيوب عليه السلام لما عوفي نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه يستكثر منه . فقيل له : أما شبعت . قال : يارب من يشبع من فضلك . وهذا أمر مركوز في الطباع فاذا قصد به الخير كان خيرا محضاً

وأما كلام المحاسبي فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله : ان الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال . وان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أمته عن جمع المال . فهذا محال انما النهي عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله . وما ذكره من حديث كعب وأبي ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم . وقد روى بعض هذا وان كان طريقه لا يثبت . وباسناد عن مالك بن عبد الله الزيادي عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فاذن له وبيده عصاه . فقال : عثمان يا كعب ان عبد الرحمن توفي وترك مالا فاترى فيه . فقال : ان كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به . فرفع أبو ذر عصاه فضرب

---

١) الحضر بضم المعجمة عدو الفرس .

كمبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهبا أنفقه ويتقبل مني .أذر خلفي ست أواق . أنشدك الله ياعثمان أسمعت هذا – ثلاث مرات .قال: نعم

قال المصنف : وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه . قال : يحيى لايحتج بحديثه . والصحيح فى التاريخ أن ابا ذر توفي سنة خمس وعشرين وعبدالرحمن توفى سنة اثنتي وثلاثين .فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين . ثم لفظ ماذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع . ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم. إنا نخاف على عبد الرحمن : أوليس الاجماع منعقدا على اباحة جمع المال من حله. فما وجه الخوف مع الاباحة . أو يأذن الشرع فى شيء ثم يعاقب عليه. هذا قلة فهم وفقه . ثم أينكر أبوذر على عبدالرحمن وعبد الرحمن خير من أبى ذر بما لا يتقارب: ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسبر سير الصحابة ، فانه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير ، والبهار: الحمل . وكان مال الزبير خمسين الف الف ومائتى الف : وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين الفا: وأكثر الصحابة كسبوا الاموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد

وأما قوله . أن عبدالرحمن يحبو حبوا يوم القيامة . فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث ، أوكان هذا مناما وليس هو فى اليقظة. أعوذ بالله عن أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة. أفترى من يسبق اذا حبي عبدالرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة .ومن أهل بدر المغفور لهم . ومن أصحاب الشورى ثم الحديث يرويه عمارة بن زاذان .وقال البخارى: ربما اضطرب حديثه. وقال احمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير . وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به. وقال الدارقطني: ضعيف . أخبرنا ابن الحصين مرفوعا الى عمارة عن ثابت عن انس رضى الله عنه .قال: بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتا فى المدينة ، فقالت: ماهذا ، فقالوا :عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء، قال وكانت سبعمائة بعير .فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة رضي

الله عنها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد رأيت عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً. فبلغ ذلك عبدالرحمن بن عوف. فقال: ان استطعت لأدخلنها قائماً. فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل

وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه. ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء. والحديث الذى ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أسف على دنيا فاتته الخ محال: ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم قط. وقوله: هل تجد فى دهرك حلالاً. فيقال له: وما الذى أصاب الحلال والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: الحلال بين والحرام بين. أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ماتقلبت فى شبهة. هذا يبعد وما طولبنا به. بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلا شك. هذا مذهب الفقهاء. وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ماحكى وكيف يقول ان فقد المال أفضل من وجوده وأن صرف إلى الخيرات. ولو أدعى الاجماع على خلاف هذا لصح. ولكن تصوفه غير فتواه. وعن المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبدالله انى فى كفاية. فقال: الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله. قد بينا أنه ان كان حراما أو فيه شبهة أو أن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه. والا فلا وجه لذلك. وأما ثعلبة فما ضره المال انما البخل بالواجب

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال. ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه. فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار. وقد ذكرنا ماخلفت الصحابة. وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين. وكان يقول: المال فى هذا الزمان سلاح. ومازال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة للفقراء. وانما تجافاه قوم منهم إيثارا للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم. فتقنعوا باليسير ولو قال هذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الأمر ولكنه زاحم به مرتبة الاثم

(فصل) واعلم ان الفقر مرض فمن ابتلي به فصبر أثيب على صبره . ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج الى شكر . والغنى وان تعب وخاطر كالمفتي والمجاهد والفقير كالمعتزل في زاوية . وقد ذكر ابو عبد الرحمن السلمي في كتاب سنن الصوفية باب كراهية ان يخلف الفقير شيئاً . فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيتان

قال المصنف : وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فان ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء في أخذ الصدقة وحبس ما معه . فلذلك قال : كيتان . ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس . ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئاً . وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجئت بنصف مالى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما أبقيت لأهلك . فقلت : مثله . فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن جرير الطبرى : وفي هذا الحديث دليل على بطلان مايقوله جهلة المتصوفة أن ليس للانسان ادخار شيء في يومه لغده . وان فاعل ذلك قد أساء الظن بربه . ولم يتوكل عليه حق توكله . قال ابن جرير : وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : اتخذوا الغنم فانها بركة . فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة انه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بان يصبح ولا شيء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك . الا ترى كيف ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لازواجه قوت سنة

(فصل) وقد خرج اقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون الأوساخ ويطلبون وهذا لأن حاجة الأنسان لا تنقطع . والعاقل يعد للمستقبل . وهؤلاء مثلهم في اخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى في طريق مكة فبدد الماء الذى معه * والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله . قال

قدم ابو حصين السلمي بذهب من معدنهم . فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ضع هـذه حيث اراك الله أو حيث رأيت . قال فجاءه عن يمينه فاعرض عنه ثم جاءه عن يساره فاعرض عنه ثم جاءه من بين يده فنكس رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه . فلما أكثر عليه اخذها من يده فحذفه بها لو أصابته لعقرته . ثم أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يعمد أحدكم الى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس . وانما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول . وقد رواه ابو داود في سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله . قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال : يارسول الله اصبت هـذه من معـدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها . فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أتاه من قبل ركنه الايمن فقال مثل ذلك فاعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الايسر فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذفه بها فلو اصابته لأوجعته أو لعقرته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي احدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعـد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى * وفي رواية اخرى : خذ عنا مالك لا حاجة لنا به * وروى أبو داود من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال : دخل رجل المسجد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ثيابا فطرحوا . فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة . فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به : خذ ثوبك

قال المصنف : ونقلت من خط ابي الوفاء ابن عقيل . قال قال : ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلي . فأنفذ الى بعض المياسير يسأله ما لا ينفقه عليهم . فرد الرسول وقال يا أبا بكر : أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه . فقال الرسول : ارجع اليه وقل له الدنيا سفلة اطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق . فبعث اليه بمائة دينار . قال ابن عقيل : ان كان انفذ اليه المائة دينار

للاقتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله. فقد أكل الشبلي الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه

(فصل) وقد كان لبعضهم بضاعة فانفقها. وقال : ما أريد أن تكون ثقتي الا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الاسباب واخراج الاموال* أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدي في كتابه . قال : سمعت الجنيد يقول دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا . فقال : ماكان لكم شغل في الله عز وجل يشغلكم عن المجيء الي. فقلت له : اذا كان مجيئنا اليك من شغلنا به فلم ننقطع عنه. فسألته عن مسئلة في التوكل فاخرج درهما كان عنده ثم أجابني . فاعطا التوكل حقه. ثم قال : استحييت من الله أن اجيبك وعندي شئ

قال المصنف : لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لااخراج صور المال . ماقال هؤلاء هذا الكلام . ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الاموال وماقال هذا أحد منهم. وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . أنه قال حين أمر بترك الكسب لاجل شغله بالخلافة : فمن أين أطعم عيالي . وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل. وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرني. وقد رووا في ذلك حكاية عن أبي طالب الرازي قال: حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللبن وقالوا لي كل فقلت لا آكله فانه يضرني فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوما خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت :اللهم انك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين . فسمعت هاتفاً يهتف بي ويقول : ـ ولا يوم اللبن

قال المصنف : وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها :ـ وأعلم أن من يقول هذا يضرني .لايريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وانما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه :« رب انهن أضللن كثيرا من الناس». وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما نفعني مال كمال أبي بكر.

وقوله ـ ما نفعني مقابل لقول القائل ـ ما ضرني . وصح عنه أنه قال : مازالت أكلة خيبر تعاودني حتى الآن . حتى قطعت أبهري . وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع الى المال والضرر الى الطعام فالتحاشي عن سلوك طريقه صلى الله عليه وسلم تماط على الشريعة فلا يلتفت الى هذيان من هذا في مثل هذا

(فصل) . قال المصنف : وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدا فيها وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير الا أنهم غلطوا في هذا الفعل . كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل . فأما متأخروهم فقد مالوا الى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان إيثارا للراحة وحبا للشهوات . فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب . ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة (١ سوي ولا يبالون من بعث اليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه . وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك ـ بالفتوح . ومنها أن رزقنا لابد أن يصل الينا . ومنها أنه من الله فلا نرد عليه ولا نشكر سواه . وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه . فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه . وقد قاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أكل الشبهة . وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن في ماله شبهة . وكثير من السلف لم يقبل صلة الاخوان عفافا وتنزها . وعن أبي بكر المروزي قال ذكرت لابي عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أي رجل كان لولا خلة واحدة . ثم سكت . ثم قال : ليس كل الخلال يكملها الرجل . فقلت له : أليس كان صاحب سنة . فقال : لعمري لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالي ممن أخذ

١) المرة بكسر الميم القوة .

قال المصنف : ولقد بلغنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الامراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله . فقال الامير : كلنا صيادون وانما الشباك تختلف . ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل للدنيا فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اليد العليا خير من اليد السفلى ــ واليد العليا هى المعطية : هكذا فسره العلماء . وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا . هي الآخذة . قال ابن قتيبة ولا أرى هذا الاتأويل قوم استطابوا السؤال

فصل . قال المصنف : ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون فى حصول الاموال من أى وجه ويفتشون عن مطاعمهم وسئل احمد بن حنبل عن السرى السقطى فقال : الشيخ المعروف بطيب المطعم . وقال السري : صحبت جماعة الى الغزو فاكترينا دارا فنصبت فيها تنورا فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور . فأما من يرى ماقد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لايبالون من أين أخذوا فانه يعجب . ولقد دخلت بعض الاربطة فسألت عن شيخه فقيل لى : قد مضى الى الامير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه . وكان ذلك الامير من كبار الظلمة . فقلت : ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على رؤسكم بالسلع . يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ثم لايكفيه حتى يأخذ ممن كان . ثم لايكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى منهم ويهنئهم بملبوس لايحل وولاية لاعدل فيها والله أنكم أضر على الاسلام من كل مضر

فصل . قال المصنف : وقد صار جماعة مع أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون . فمنهم من يدعى الزهد من كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال . ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك . وقد كان أبو الحسن البسطامى شيخ رباط ابن المحيان (١ يلبس الصوف صيفا وشتاء وتقصده الناس

١) وفى النسخة الثانية المحلبان

يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار

قال المصنف : وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال صلى الله عليه وسلم كيتان

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى لباسهم

قال المصنف: لما سمع أوائل القوم أن النبي صلى الله عليه وسلم : كان يرقع ثوبه . وانه قال لعائشة رضى الله عنها : لا تخلعى ثوباً حتى ترقعيه . وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع . وأن أويسا القرني كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها فى الفرات ثم يخيطها فيلبسها . اختاروا المرقعات ولقد أبعدوا فى القياس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً . وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر . كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة اغسلى قميص أمير المؤمنين . فقالت : والله ما له قميص غيره . فاما اذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى

(فصل) قال المصنف : فأما صوفية زماننا فانهم يعمدون الى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلوها خرقاً ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشهرة والشهوة . فان لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند قوم بكثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها أنه من الزهاد . أفتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف كذا قد ظنوا وان ابليس قد لبس عليهم . وقال : أنتم صوفية لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنتم كذلك . أتراهم ماعلموا أن التصوف معنى لاصورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فى الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثواباً جدداً مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن التوقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة . وأما عمر رضي الله عنه لما قدم

بيت المقدس حين سألت القساقسة والرهبان عن أمير المسلمين فأعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبي عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما. فقالوا: ليس هذا المصور عندنا. ألكم أمير أو لا. فقالوا: لنا أمير غير هؤلاء. فقالوا هو أمير هؤلاء. قالوا: نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقالوا أرسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا. فلو حاصرتمونا ما قدروا علينا فأرسلوا المسلمين الى عمر رضى الله عنه واعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبعة عشر رقعة بينها رقعة من أديم فلما رأوه الروحانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال. فأين هذا مما تفعله جهال الصوفية فى زماننا فنسأل الله العفو والعافية. وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد

(فصل) قال المصنف: ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه وهذا لص ليلى: ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف. وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج عن صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومي الرفيع ألا انه بغير طراز فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير

وقد لبس ابليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس، وانما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا. ومن علاماتهم مصادقة الامراء ومفارقة الفقراء كبراً وتعظما. وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول: يابنى اسرائيل ما لكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان. وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى. البسوا لباس الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية * وأخبرنا محمد بن أبي القاسم قال أخبرنا حمد بن احمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا يحي بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان

عن مالك بن دينار . قال : ان من الناس ناساً اذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم . واذا لقوا الجبابرة وابناء الدنيا أخذوا معهم بسهم . فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم * اخبرنا محمد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا احمد بن محمد اللالى ثنا أبو حاتم ثنا هدبة ثنا حزم . قال سمعت مالك بن دينار يقول : انكم فى زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير . انكم فى زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شباكهم * اخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا اخبرنا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله الحافظ ثنا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن احمد ثنى مهنا الشامى ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال : نظر مالك بن دينار الى شاب ملازم للمسجد فجلس اليه . فقال : له هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئاً وتكون معهم . قال : ما شئت يا أبا يحى . فأخذ كفا من تراب فجعله على رأسه * أخبرنا المحمدان قالا نا حمد نا احمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابى ثنا هشام بن على السيرافى ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبى ثنا مالك بن دينار . قال : كان فتى يتقرى فكان يأتينى . فابتلى فولى الجسر فبينما هو يصلى اذ مرت سفينة فيها بط . فنادى بعض أعوانه قرب لنا خذ للعامل بطة . فأشار بيده سبحان الله أى بطتين قال فكان أبى اذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء * اخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم : أوصني فقال هو بذل الروح والا فلا تشتغل بترهات الصوفية * اخبرنا ابن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر احمد بن محمد الاردستانى ثنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبي يقول بلغنى أن رجلا قال للشبلى : قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع . فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول :

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

قال المصنف رحمه الله : قلت واعلم أن البهرجة في تشبيه هؤلاء بأولئك لا يخفى إلا على كل غبي فى الغاية . فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تمميس بارد والأمر فى ذلك على نحو قول الشاعر :

تشبهت حور الظباء بهم ... أن سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامتٌ بناطق ونافر بآ ... نس وذو خلا بذى شجن
مشتبهٌ أعرفه وانما ... مغلطا قلت لصحبى دارُ مَن

(فصل) . قال المصنف : وانما أكره لبس الفوط المرقعات لاربعة أوجه أحدها أنه ليس من لباس السلف وانما كان السلف يرقعون ضرورة . والثانى أنه يتضمن ادعاء الفقر وقد أمر الانسان أن يظهر نعمة الله عليه . والثالث أنه اظهار للزهد وقد أمرنا بستره . والرابع أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم * وقد أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا احمد ابن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا أبو النضر ثنا عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن ابى منيب الجرشى عن ابن عمر .قال قال رسول صلى الله عليه وسلم : من تشبه بقوم فهو منهم *وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرنى أبى .قال : لما دخلت بغداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبد الله بن أحمد السكرى لأقرأ عليه أحاديث ــ وكان من المنكرين على هذه الطائفة ــ فأخذت فى القراءة . فقال : أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك .أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسعى فى طلبه . فقلت : أيها الشيخ وأى شئ أنكرت على حتى أنظر. فان كان له أصل فى الشريعة لزمته ، وان لم يكن له أصل فى الشريعة تركته . فقال: ماهذه الشوازك (١ التي فى مرقعتك. فقلت : أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين

١) نوع من الشريط معمول بالحرير المصبغ

بالديباج . وانما وقع الانكار لأن هـذه الشوازك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من جنس الجبة فاستدللنا بذلك على أن لهذا أصلا فى الشرع يجوز مثله

قال المصنف قلت : لقد أصاب السكرى فى انكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فان الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة فى لبسها . فأما الشوازك فتجمع شهرة الصورة ، وشهرة دعوى الزهد . وقد أخبرتك انهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذ وقعت الكراهية . وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا * أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول سمعت الحسين بن هند يقول سمعت جعفر الحذاء يقول : لما فقـد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزيينها . يعنى بذلك ـ أصحاب المصبغات والفوط ـ * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا ابن باكويه أخـبرنى أبو يعقوب الخراط . قال سمعت الثورى يقول : كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل . قال ابن باكويه : وأخبرنى أبو الحسن الحنظلى . قال نظر محمد بن محمد بن على الكتانى الى أصحاب المرقعات فقال : اخوانى ان كان لباسكم موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وان كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة * أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا محمد بن الحسين السلمى . قال سمعت نصر بن أبى نصر يقول : قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه . لا يعجبنك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فما زينوا الظواهر الا بعد أن خربوا البواطن . وقال ابن عقيل : دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أوتاد المسلخ جبة مشوزكة مرقعة بفوط . فقلت للحمامي: أرى سلخ الجبة . فمن داخل . فذكر لى بعض من يتصفف للبلا حوشا للاموال

(فصل) قال المصنف : وفى الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد * أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت نا القاضى أبو محمد الحسن بن رامين الاسد آبادى نا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازى نا جعفر الخالدى ثنا ابن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكريتي قال: أوصى لى ابن الكريتي بمرقعته فوزنت فردة كم من أكمامها فاذا فيه أحد عشر رطلا . قال جعفر : وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل (١

(فصل) وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس الامن يد شيخ . وجعلوا لها إسناداً متصلا كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال : باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ .فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بثياب فيها خميصة (٢ سوداء فقال من ترون اكسو هذه. فسكت القوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتونى بأم خالد. قالت فأتى بى فألبسنيها بيده .وقال : إبلى واخلقى . قال المصنف:وانما ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها صبية . وكان أبوها خالد بن سعيد ابن العاص. وأمها همينة بنت خلف . قد هاجرا الى أرض الحبشة فولدت لهما هنالك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنها وكما اتفق فلايصيرهذا سنة . وما كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم الباس الناس . ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أوفوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد ، وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال : باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد فى لبس المرقعة . واحتج بحديث عبادة . بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر . قال المصنف : فانظر الى هذا الفقه الدقيق . وأين اشتراط الشيخ على المريد من

---

١) فى النسخة الثانية ـ الكبل ـ بالباء الموحدة ٢) كذا فى النسختين

اشتراط رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة

(فصل) وأما لبسهم المصبغات : فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض . وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وان كانت مرقعة فهى أكثر شهرة . وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن الشهرة * فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبى ثنا على بن عاصم نا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البسوا من ثيابكم البيض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم * قال عبد الله : وحدثنى أبى ثنا يحيى ابن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : البسوا الثياب البيض فانها أطهر وأطيب . وكفنوا فيها موتاكم . قال الترمذى : هذان حديثان صحيحان . وفى الباب عن ابن عمر . قال : وهذا الذى يستحبه أهل العلم . وقال أحمد بن حنبل واسحاق : أحب الثياب الينا أن نكفن فيها البياض . وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال : باب السنة فى لبسهم المصبغات . واحتج بأن النبي صلوات الله عليه وسلامه . لبس حلة حمراء . وأنه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء

قال المصنف : قلت ولا ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس هذا ولا أن لبسه غير جائز . وقد روى أنه كان يعجبه الحبرة . وانما المسنون الذى يأمر به ويداوم عليه . وقد كانوا يلبسون الاسود والاحمر . فاما الفوط والمرقع فانه لباس شهرة .

(فصل) . وأما النهي عن لباس الشهرة وكراهته * فأخبرنا أبو منصور بن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدى ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمى ثنا روح بن عبد المؤمن ثنا وكيع بن

محرز الشامي ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه * أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار نا أبوالفرج الحسين بن علي الطناجيري وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن علي التميمي قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني ثنا مجلد بن يزيد عن أبي نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه نهي عن الشهرتين فقيل : يا رسول الله وما الشهرتان . قال: رقة الثياب وغلظها، ولينها وخشونتها ، وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد * اخبرنا محمد ابن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخاري . قال : قال موسى ابن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر. قال : من لبس ثوباً مشهوراً أذله الله يوم القيامة . قال المصنف : وقد روى لنا مرفوعاً . قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامي عن ابن عمر. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة * أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا : أخبرنا أبو اسحاق البرمكي نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر بن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاوية عن ليث عن مهاجر بن أبي الحسن عن ابن عمر رضى الله عنه . قال : من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة * وعن ليث عن شهر عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : من ركب مشهوراً من الدواب ، أولبس مشهوراً من الثياب . أعرض الله عنه ما دام عليه وان كان كريماً .

قال المصنف : وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوبا قبيحاً دوناً . فقال : لا تلبس هذا، فان هذا ثوب شهرة * أخبرنا اسماعيل بن احمد نا اسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو احمد بن عدى ثنا احمد بن محمد بن الهيثم الدورى ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة . قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر، وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر . فما علمت انى ركبت فى الاسلام ذنباً أعظم منه الشهرة وقال سفيان الثورى : كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الردية التى يحتقر فيها ويستبذل ، وقال معمر : عاتبت أيوب على طول قميصه . فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره ،

(فصل) قال المصنف : ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم لبس الصوف . وبما روى فى فضيلة لبس الصوف ، فأما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الاوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب . وأما ما يروى فى فضل لبسه فمن الموضوعات التى لا يثبت منها شىء . ولا يخلو لابس الصوف من أحد أمرين . أما أن يكون متعودا لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لا يشهر به . وأما أن يكون مترفا لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين : أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه ما لا تطيق ولا يجوز له ذلك والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة واظهار الزهد * وقد أخبرنا محمد بن منصور الهمدانى نا أبو على احمد بن سعد بن على العجلى نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى اجازة ثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسن بن اسماعيل الابهرى ثنا روزيه ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ثنا بكر بن سهل الدمياطى ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد بن العوام عن عباد ابن كثير عن أنس . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الصوف

ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوباً من جرب حتى تتساقط عروقه * أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس بن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفى ثنا محمد بن عبيد الهمدانى ثنى عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الارض لتعج الى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء * أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر ابن احمد نا الحسن بن على التميمى ثنا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا عبد الصمد ثنا خالد بن شوذب . قال: شهدت الحسن وأتاه فرقد فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال يا فريقد يا ابن أم فريقد: ان البر ليس فى هذا الكساء وانما البر ماوقر فى الصدر وصدقه العمل * أنبأنا محمد بن عبد الباقى نا أبو محمد الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد قال حدثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانة ثنى أبو شداد المجاشعى. قال: سمعت الحسن- وذكر عنده الذين يلبسون الصوف- .فقال: مالهم تفاقدوا ثلاثاً أكنوا الكبر فى قلوبهم، وأظهروا التواضع فى لباسهم. والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه * أنبأنا ابن الحصين أنبأنا أبو على التميمى نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن سعيد بن يحيى البزورى ثنا عبد الله بن أيوب المخرمى قال حدثنا عبد المجيد يعنى ابن أبى رواد عن ابن طهمان يعنى ابراهيم عن ابى مالك الكوفى عن الحسن. أنه جاءه رجل ممن يلبس الصوف وعليه جبة صوف وعمامة صوف ورداء صوف فجلس فوضع بصره فى الارض فجعل لا يرفع رأسه وكان الحسن خال فيه العجب. فقال الحسن: ها إن قوماً جعلوا كبرهم فى صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصوف. ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من زى المنافقين . قالوا يا أبا سعيد: وما زى المنافقين . قال : خشوع اللباس بغير خشوع القلب . قال ابن عقيل: هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يغره اللباس. ولقد رأيت الواحد من هؤلاء

يلبس الجبة الصوف . فاذا قال له قائل : يا أبا فلان : ظهر منه ومن أوباشه الانكار فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء ما لا يعمله الديباج عند الاوباش * أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا هارون بن معروف عن ضمرة . قال : سمعت رجلا يقول قدم حماد بن أبى سليمان البصرة فجاءه فرقد السنجى وعليه ثوب صوف . فقال له حماد : ضع عنك نصرانيتك هذه . فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم يعنى النخعى فيخرج علينا وعليه معصفرة * أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبدالله بن محمد ثنا براهيم بن شريك الاسدى ثنا شهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء أن أبا قلابة قال : اياكم وأصحاب الاكسية * اخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا نا محمد بن الحسن الباقلاوى نا القاضى أبو العلاء الواسطى ثنا أبو نصر احمد بن محمد السازكى نا أبو الخير احمد بن محمد البزار ثنا محمد ابن اسماعيل البخارى ثنا على بن حجر ثنا صالح بن عمر الواسطى عن أبى خالد قال : جاء عبد الكريم أبو أمية الى أبى العالية وعليه ثياب صوف . فقال له أبو العالية : انما هذه ثياب الرهبان أن كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا * أخبرنا محمد ابن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الاصبهانى ثنا أبو محمد بن حبان ثنا أحمد بن الحسين الحذاء ثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى ثنا العيص ابن اسحاق . قال سمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بشيء بعد شيء كل ذلك انما هو لحب الدنيا * أنبأنا ابن الحصين قال نا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا اسماعيل بن على قال ثنا الحسن بن على ابن شبيب قال ثنا أحمد بن أبى الحوارى . قال قال أبو سليمان : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف ، وشهوته فى قلبه بخمسة دراهم . أما يستحى أن يجاوز شهوته لباسه . ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له * قال أحمد ابن أبى الحوارى قال لى سليمان بن أبى سليمان ــ وكان يعدل

بأبيه : أي شيء أرادوا بلباس الصوف . قلت : التواضع . قال : ما يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف *أخبرنا المبارك بن أحمد الانصاري نا عبد الله بن أحمد السمرقندي ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى (١ نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح ثنا روح بن عبد المجيب ثنا أحمد بن عمر بن يونس . قال : أبصر الثوري رجلا صوفيا . فقال له الثوري : لباسك هذا بدعة * أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا أحمد بن محمد بن زياد . قال سمعت أبا داود يقول : قال سفيان الثوري لرجل عليه صوف : لباسك هذا بدعة * أنبأنا زاهر بن طاهر . أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي نا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم قال أخبرني محمد ابن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت أحمد بن شداد يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل :ـ رأى عليه صوفا مشهورا ـ أكره هذا * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه نى عبد الوحد بن بكر ثنا على بن أبي عثمان بن زهير ثنا عثمان ابن أحمد ثنا الحسن بن عمرو . قال سمعت بشر بن الحارس يقول : دخل على الموصلي على المعافا ـ وعليه جبة صوف ـ فقال له : ما هذه الشهرة يا أبا الحسن . فقال : يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت . فانظر أينا أشهر . فقال له المعافا: ليس شهرة البدن كشهرة اللباس * أخبرنا اسماعيل بن أبي بكر المقرى نا طاهر بن أحمد نا على بن محمد بن بشران نا عثمان بن احمد الدقاق ثنا الحسن ابن عمرو . قال سمعت بشر بن الحارث يقول:دخل بديل على أيوب السختياني ـ وقد مد على فراشه سبينة حمراء تدفع التراب (٢ فقال له بديل : ماهذا . فقال أيوب : هذا خير من الصوف الذي عليك * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه ثنا علان بن أحمد ثنا حبيب بن الحسن ثنا الفضل بن أحمد ثنا محمد بن يسار . قال سمعت بشر

١) كذا مهملة . ٢) في النسخة الثانية شبينة حمراء تدفع الرياء ؟

ابن الحارث ـ وسئل عن لبس الصوف . فشق عليه وتبين الكراهة في وجهه ثم قال : لبس الخز والمعصفر أحب إلىّ من لبس الصوف في الامصار * أخبرنا يحيي بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي نا الحسين بن علي الطناجيرى نا أحمد بن منصور اليشكرى ثنا محمد بن مخلد ثنا أحمد بن منصور ثني يزيد السقا رفيق محمد بن ادريس الانبارى . قال : رأيت فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء ؟ من فعل هذا من العلماء ؟ قال قد رآني بشر بن الحارث فلم ينكر علىّ ، قال يزيد : فذهبت الى بشر ، فقلت له يا أبا نصر رأيت فلاناً عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال : قد رآني أبو نصر فلم ينكر علىّ . قال : فقال لى بشر ـ لم يستشرني يا أبا خالد ، لو قلت له . لقال لي : البس فلان ، ولبس فلان * أخبرنا محمد بن منصور الهمداني نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفي إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا عبد الله بن أحمد بن نصر القنطرى ثنا ابراهيم بن محمد الامام ثنا هشام بن خالد ، قال سمعت أباسليمان الداراني يقول لرجل لبس الصوف : انك قد أظهرت آلة الزاهدين. فماذا أورثك هذا الصوف ؟ فسكت الرجل ، فقال له : يكون ظاهرك قطنيا ، وباطنك صوفيا ، * أخبرنا يحيي بن على المدير نا أبو بكر محمد ابن على الخياط نا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان ابن عبد ربه البزار . يقول : سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادي يقول : سمعت ابن سيرويه . يقول : دخل أبو محمد بن أخي معروف الكرخي على أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف . فقال له أبو الحسن : يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك . صوّف قلبك والبس القوهى (١ على القوهى * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ نا جعفر بن احمد بن السواح نا عبد العزيز ابن حسن الضراب قال حدثنا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبي

(١) القوهى الثياب البيض

الدنيا ثنا أحمد بن سعيد ، قال سمعت النضر بن شميل يقول : قلت لبعض الصوفية . تبيع جبتك الصوف ، فقال : اذا باع الصياد شبكته بأى شيء يصطاد ،

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى : ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان ، مع وجود السبيل اليه من حله ، ومن أكل البقول والعدس ، واختاره على خبز البر ، ومن ترك أكل اللحم ، خوفاً من عارض شهوة النساء

(فصل) قال المصنف : وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ، ويتخيرون أجودها للجمعة ولقاء الاخوان ولم يكن غير الاجود عندهم قبيحاً ، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه راى حلة سيراء تباع عند باب المسجد . فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود اذا قدموا عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما يلبس هذه من لاخلاق له فى الآخرة ، فما أنكر عليه ذكر التجمل بها ، وانما أنكر عليه لكونها حريراً. قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا عن أبى العالية أنه قال : كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا * أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقى انبأنا الحسن بن على الجوهرى نا ابو عمر بن حياة نا احمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن ابراهيم الاسدى عن ابن عون عن محمد ، قال : كان المهاجرون والانصار ، يلبسون لباساً مرتفعا ، وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف ، ولكنه كان يصلى بها * قال ابن سعد : وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد بن سيرين ، ان تميما الدارى : اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل الى صلاته * قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت : أن تميما الدارى كانت له حلة قد ابتاعها بألف ، كان يلبسها الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر * وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة

انا ابن سيرين أخبره : أن تميا الدارى اشترى رداء بألف . فكان يصلى بأصحابه فيه

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً . وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد . قال كلثوم بن جوشن : خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمنى فنظر اليه فرقد . فقال يا أستاذ لا ينبغى لمثلك أن يكون هكذا . فقال الحسن : يا ابن أم فرقد . أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية . وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد . وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار وكانوا يؤثرون البذاذة الى حد . وربما لبسوا خلقان الثياب فى بيوتهم فاذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من الاعلى * أخبرنا أحمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى ثنا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن على بن ابراهيم الحرانى ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم . قال : كان لباس ابراهيم بن أدهم . كتاناً ، قطناً ، فروة . لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة * أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد ابن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال سمعت محمد بن ابراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول : رأى على ذى النون خفاً أحمر . فقال : انزع هذا يا بنى فانه شهرة ما لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم . انما لبس النبى صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذجين * أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد ابن على بن ميمون نا عبد الكريم بن محمد المحاملى نا على بن عمر الدارقطنى نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدنى ثنى الزبير عن أبى عزنه الأنصارى عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال : قال أبو جعفر المنصور . المروءة الفادح . خير من الزي الفاضح .

(فصل) . قال المصنف : واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن

اظهار الزهد ، واظهار الفقر . وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهى عنه * أخبرنا محمد بن ناصر نا على ابن الحسين بن أيوب نا ابو على بن شاذان ثنا أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر بن عبد الله بن محمد القرشى ثنا عبد الله بن عمر القواريرى ثنا هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الاحوص عن أبيه . قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قشف الهيئة . فقال : هل لك مال . قلت : نعم . قال من أى المال . قلت : من كل المال قد آتانى الله عز وجل . من الابل والخيل والرقيق والغنم . قال : فاذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا مسكين بن بكير ثنى الأوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر . قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً فى منزلى فرأى رجلا شعثاً . فقال : أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه . ورأى رجلا عليه ثياب وسخة . فقال : أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالا نا أبو عمر محمد بن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الانبارى ثنى أبى ثنا أبو عكرمة الضبى ثنا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى . قال مضى على بن أبى طالب الى الربيع بن زياد يعوده . فقال له : يا أمير المؤمنين أشكو اليك عاصما أخى . قال : ما شأنه . قال : ترك الملاذ (١ ولبس العباءة فغم أهله ، وحزن ولده . فقال : علىّ عاصما . فلما حضر بش فى وجهه وقال : أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها . أنت والله أهون على الله من ذلك . فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال ؛ أحب اليه من ابتذالك إياها بالمقال . فقال : يا أمير المؤمنين انى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير

---

١) كذا فى النسختين ولعله الملاءة وكان لبسها من عاداتهم .

فتنفس الصعداء . ثم قال : ويحك يا عاصم ، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيّغ بالفقير فقره . قال ابو بكر بن الانبارى : ـ المعنى لئلا يزيد ويغلو . يقال ـ تبيغ به الدم ـ اذا زاد وجاوز الحد

(فصل) قال المصنف : فان قال قائل : تجويد اللباس هوى للنفس . وقد أمرنا بمجاهدتها . وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق . فالجواب : أنه ليس كل ماتهواه النفس يذم ولا كل التزين للناس يكره . وانما ينهى عن ذلك اذا كان الشرع قد نهى عنه . أو كان على وجه الرياء فى باب الدين فان الانسان يحب أن يرى جميلا وذلك حظ النفس ولا يلام فيه . ولهذا يسرح شعره ، وينظر فى المرآة ، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشن الى داخل . وظهارته الحسنة إلى خارج . وليس فى شئ من هذا ما يكره ولا يذم * أخبرنا المبارك بن على الصيرفى نا على بن محمد بن العلاف نا عبد الملك ابن محمد بن بشران نا احمد بن ابراهيم الكندى نا محمد بن جعفر الخرائطى ثنا بنان ابن سليمان ثنا عبدالرحمن بن هانئ عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم . وفى الدار ركوة فيها ماء . فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته . فقلت : يا رسول الله وأنت تفعل هذا . قال : نعم . اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهئ من نفسه فان الله جميل يحب الجمال * أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا عبدالمحسن بن محمد بن على ثنا مسعود بن ناصر بن أبى زيد نا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن احمد نا أبو القاسم عبدالله بن احمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المرزى عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر الى ظله فيها . ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى . فلما رجع . قلت : يارسول الله تفعل هذا ؟ قال : وأى شئ فعلت ؟ نظرت في ظل الماء فهيأت من لحيتى ورأسى . إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم اذا خرج الى اخوانه أن يهيئ من نفسه .

قال المصنف رحمه الله : فان قيل : فما وجه ما رويتم عن سري السقطي أنه قال : لو أحسست بانسان يدخل علي فقلت كذا بلحيتي ـ وأمر يده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه ـ لخشيت أن يعذبني الله على ذلك بالنار . فالجواب : أن هذا محمول منه على أنه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من اظهار التخشع وغيره . فأما اذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه مالا يستحسن فان ذلك غير مذموم . فمن اعتقده مذموما فما عرف الرياء ولا فهم المذموم * أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصاري نا علي بن عبد الله ابن محمد النيسابوري نا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي نا محمد بن عيسى ابن عمرويه ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن مثنى ثني يحيى بن حماد . قال أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمي عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : ان أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنة . قال : ان الله جميل يحب الجمال ـ الكبر بطر الحق وغمط الناس . انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر من بطر الحق . وغمط بمعنى ازدرأ واحتقر

(فصل) وقال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة * أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو طاهر محمد بن احمد بن أبي الصقر نا علي ابن الحسن بن جحاف . قال أبو عبد الله احمد بن عطاء : كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البزكالديبقي ، ويسبح بسبح اللؤلؤ ، ويؤثر ما طال من الثياب

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا فى الشهرة كالمرقعات وانما ينبغي أن تكون ثياب أهل الخير وسطا ، فانظر الى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفي نقيض

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من اذا لبس ثوبا خرق بعضه . وربما أفسد الثوب الرفيع القدر * أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن

ابن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرى قال سمعت عيسى بن على الوزير يقول : كان ابن مجاهد يوما عند أبي . فقيل له الشبلي . فقال: يدخل . فقال ابن مجاهد : سأسكته الساعة بين يديك . وكان من عادة الشبلي اذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً . فلما جلس . قال له ابن مجاهد: يا أبا بكر أين في العلم فساد ماينتفع به . فقال له الشبلي : أين في العلم: «فطفق مسحاً بالسوق والاعناق» . قال فسكت ابن مجاهد . فقال له أبي أردت أن تسكته فأسكتك . ثم قال له : قد أجمع الناس انك مقرئ الوقت فأين في القرآن الحبيب لا يعذب حبيبه . قال فسكت ابن مجاهد . فقال له أبي : قل يا أبا بكر فقال قوله تعالى : « وقالت اليهود والنصاري نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم » فقال ابن مجاهد : كأنى ما سمعتها قط .

قال المصنف رحمه الله قلت : هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لان الحسن ابن غالب كان لا يوثق به * أخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب . قال : ادعى الحسن بن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه . فان كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلي حين احتج بهذه الآية . وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه. وذلك ان قوله :« فطفق مسحاً بالسوق والاعناق ». لأنه لا يجوز أن ينسب الى نبي معصوم أنه فعل الفساد . والمفسرون قد اختلفوا في معنى الآية . فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها . وقال : أنت في سبيل الله. فهذا اصلاح. ومنهم من قال : عقرها. وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئاً فيه جناح . فأما افساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لايجوز ومن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز مافعل ولا يكون في شرعنا * اخبرنا محمد ابن ناصر الحافظ انبأنا محمد بن احمد بن ابي الصقر ثنا على بن الحسن بن جحاف الدمشقي . قال ابو عبدالله احمد بن عطا : كان مذهب ابي على الروزباري تخريق اكمامه وتفتيق قميصه . قال فكان يخرق الثوب المثمن فيرتدي بنصفه ويأتزر بنصفه حتى انه دخل الحمام يوماً وعليه ثوب ولم يكن مع اصحابه

ما يأتزرون به. فقطعه على عددهم فأتزروا به وتقدم اليهم أن يدفعوا الخرق اذا خرجوا للحمامى. قال ابن عطاء: قال لى ابو سعيد الكازروني. كنت معه فى هذا اليوم وكان الرداء الذى قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً

قال المصنف رحمه الله: ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر البيهقى نا أبو عبد الله الحاكم قال سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوسنجى. يقول: كانت لى فتحة (١ طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غريبان فقلت للوالدة: عندك شيء لضيفى. قالت: لا إلا الخبز. فذبحت الفتحة وقدمتها اليهما

قال المصنف رحمه الله: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرّط * أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد قال أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمى. قال: سمعت جدى يقول: دخل أبو الحسين الدراج البغدادى الرى. وكان يحتاج الى لفاف لرجله فدفع اليه رجلا منديلا دبيقيا. فشقه بنصفين وتلفف به. فقيل له: لو بعته واشتريت منه لفافاً وأنفقت الباقى. فقال رحمه الله: أنا لا أخون المذهب.

قال المصنف: وقد كان أحمد الغزالى ببغداد فخرج الى المحول فوقف على ناعورة تأن فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان. قال المصنف رحمه الله قلت: فانظر الى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فانه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم. ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ما سيأتى ذكره ان شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولا خير فى حالة تنافى الشرع. أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم؟ فان كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه انه لعناد. وان كانوا لا يعرفون فلعمرى فانه لجهل شديد *

١) الفتحة طائر حسن الصوت

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبد ربه الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول : لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته . مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه . ففتح أبوعثمان عينه. وقال : يا بني خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب

(فصل) . قال المصنف : وفى الصوفية من يبالغ فى تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثني أبى ثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن العلاء عن ابيه. أنه سمع أباسعيد: سئل عن الازار فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ازار المسلم الى انصاف الساقين . لاجناح أولا حرج عليه مابينه وبين الكعبين . ما كان أسفل من ذلك فهو فى النار * اخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن احمد نا ابو نعيم احمد بن عبد الله ثنا ابو حامد ابن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى . قال : كتب الىّ عبد الرزاق عن معمر قال كان فى قميص ايوب بعض التذييل . فقيل له . فقال الشهرة اليوم فى التشمير . وقد روى اسحاق بن ابراهيم بن هانئ . قال : دخلت يوماً على ابى عبد الله احمد بن حنبل وعلىّ قميص اسفل من الركبة وفوق الساق. فقال: اى شيء هذا وانكره . وقال: هذا بمرة لا ينبغى

(فصل) . قال المصنف : وقد كان فى الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة . وهذا أيضاً شهرة لانه على خلاف لباس أهل البلد وكل مافيه شهرة فهو مكروه * أخبرنا يحيي بن ثابت بن بندار نا أبى نا الحسين بن على الطناجيرى نا احمد بن منصور اليوسرى ثنا محمد بن مخلد ثني محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبد العظيم العنبرى . قال بشر بن الحارث: أن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة. فنظر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها فى كمه

(فصل) . قال المصنف : وقد كان فى الصوفية من يستكثر من الثياب

وسوسة . فيجعل للخلاء ثوباً ، وللصلاة ثوباً . وقد روى هـذا عن جماعة منهم ابويزيد وهذا لا بأس به الا انه لا ينبغى خشية أن يتخذ سنة * أخبرنا محمد بن ابى القاسم نا حمد بن احمد نا ابو نعيم احمد بن عبد الله ثنا ابو حامد احمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن اسحاق النيسابورى ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم يعني ابن اسماعيل ثنى جعفر عن ابيه . ان على بن الحسين قال: يا بني لو اتخذت ثوباً للغائط . رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب. ثم اتيته .فقال: ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه الا ثوب فرفضه .

(فصل) . قال المصنف : وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهداً فى الدنيا .وهذا حسن الا انه اذا امكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان احسن واصلح * اخبرنا عبد الاول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد ابن المظفر نا عبد الله بن احمد بن حياة نا ابراهيم بن حريم ثنا عبد بن حميد ثنى ابن ابى شيبة ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى ابن حبان عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن ابيه . قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم جمعة . فقال: ما على احدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنه * اخبرنا محمد بن عبد الباقي نا ابو محمد الجوهرى نا ابو عمر بن حياة نا احمد بن معروف الحساب نا الحارث بن ابى اسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن ابى سلمة عن ابى هريرة .قال محمد بن عمر وحدثني غير محمد بن عبد الرحمن ايضاً ببعض ذلك : قالوا : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم برد يمنية وإزار من نسج عمان . فكان يلبسهما فى يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى مطاعمهم ومشاربهم (١ ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد بالغ ابليس فى تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد . فلما بلغ الى المتأخرين استراح من التعب . واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم

﴿ ذكر طرف مما فعله قدماؤهم ﴾

قال المصنف رحمه الله : كان فى القوم من يبقى الايام لا يأكل الا أن تضعف قوته . وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذى لا يقيم البدن . فروى لنا عن سهل بن عبد الله : أنه كان فى بدايته يشترى بدرهم دبساً وبدرهمين سمناً وبدرهم دقيق الارز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة . وحكى عنه أبو حامد الطوسى . قال : كان سهل يقتات ورق النبق مدة . وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين . واقتات بثلاثة دراهم فى ثلاث سنين * أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى أبو الفرج بن حمزة التكريتى ثنى أبو عبد الله الحصرى . قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول : أشرف على أبو تراب يوماً وأنا على بركة ماء . ولى ستة عشر يوماً لم آكل شيئاً ولم أشرب فيها ماء . فقال : ماجلوسك ههنا . فقلت : أنا بين العلم واليقين . وأنا أنظر من يغلب فأكون معه . فقال : سيكون لك شأن * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل ثنا على بن عبد الله العمرى ثنا محمد بن فليح ثنى ابراهيم بن البنا البغدادى . قال : صحبت ذا النون من إخميم الى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصا وملحا كان معى وقلت هلم . فقال لى : ملحك مدقوق . قلت : نعم . قال : لست تفلح فنظرت الى مزوده فاذا فيه قليل سويق شعير يستف منه * اخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا

---

١) فى الاصل وملابسهم

عبد العزيز ابن على الازجى نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى بن هارون الدقاق ثنا احمد بن أنس ثنا ابن أبى الحوارى. قال سمعت ابا سليمان يقول: الزبد بالعسل إسراف * قال ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصرى قال سمعت ابا سعيد صاحب سهل يقول: بلغ ابا عبد الله الزبيري وزكريا الساجى وابن ابى أوفى. ان سهل ابن عبد الله يقول: انا حجة الله على الخلق. فاجتمعوا عنده فأقبل عليه الزبيرى فقال له: بلغنا انك قلت — انا حجة الله على الخلق —. فبماذا: انبى انت؟ صديق انت. قال سهل: لم اذهب حيث تظن ولكن انما قلت هذا لأخذى الحلال. فتعالوا كلكم حتى نصحح الحلال قالوا. فأنت: قد صححته. قال نعم: قال وكيف؟ قال سهل قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة اجزاء. فاتركه حتى يذهب منها ستة اجزاء ويبقى جزء واحد. فاذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسي خفت أن اكون قد اعنت عليها وقتلتها دفعت اليها من البلغة ما يرد الستة الاجزاء * اخبرنا ابن حبيب نا ابن ابى صادق نا ابن باكويه قال اخبرنى ابو عبد الله ابن مفلح قال اخبرنى أبي اخبرنى ابو عبد الله بن زيد (١. قال لى: منذ اربعين سنة ما اطعمت نفسى طعاما الا فى وقت ما احل الله لها الميتة * اخبرنا ابن ناصر نا ابو الفضل محمد بن على بن احمد السهلكى ثنى ابو الحسن على بن محمد القوهي ثنا عيسى بن محمد عن ابيه محمد ابن عيسي ثنا موسي بن عيسى ثنا عيسى بن آدم بن اخى ابي يزيد. قال: جاء رجل الى ابى يزيد. قال: أريد ان اجلس فى مسجدك الذى انت فيه. قال: لا تطيق ذلك. فقال: ان رأيت ان توسع لى فى ذلك. فأذن له فجلس يوما لا يطعم فصبر فلما كان فى اليوم الثانى. قال له يا استاذ: لابد مما لا بد منه. فقال: ياغلام لابد من الله. قال: يا استاذ نريد القوت. قال: ياغلام القوت عندنا اطاعة الله. فقال: يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدى فى طاعته عز وجل. فقال: يا غلام ان

١) فى النسخة الثانية: ابن وتد.

الاجسام لاتقوم الا بالله عز وجل * أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الآدمي يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول : حدثني اخ لي كان يصحب أبا تراب . نظر الى صوفي مد يده الى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام . فقال له : تمد يدك الى قشر البطيخ . أنت لايصلح لك التصوف . إلزم السوق * أخبرنا محمد بن أبي القاسم انبأنا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم القيرواني يقول سمعت بعض أصحابنا يقول : أقام أبو الحسن النصيبي بالحرم أياماً مع أصحاب له سبعة لم يأكلوا . فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله . فرآه انسان فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم . فقال الشيخ : من جنى منكم هذه الجناية . فقال الرجل : أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته . فقال كن مع جنايتك ومع هذا الرفق . وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل . فقال : ألم أقل لكم كن مع جنايتك . فقال الرجل : أنا تائب الى الله تعالى مما جرى مني . فقال الشيخ : لا كلام بعد التوبة * أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا أبو القاسم الازجي نا أبو الحسن بن جهضم ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزي قال سمعت بنان بن محمد يقول : كنت بمكة مجاوراً فرأيت بها ابراهيم الخواص . وأتى علي ايام لم يفتح علي بشيء . وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه اذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد أن أحتجم . فأرسل من يشتري لحماً وأمر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت نفسي تقول : ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة . ثم استيقظت وقلت : يانفس انما جئت تحتجمين لتطعمي . عاهدت الله تعالى أن لا ذقت من طعامه شيئاً . فلما فرغ انصرفت . فقال . سبحان الله انت تعرف الشرط فقلت . ثم عقد : فسكت . وجئت الى المسجد الحرام ولم يقدر لي شيء آكله . فلما كان من الغد بقيت الى آخر النهار ولم يتفق أيضاً . فلما قمت لصلاة العصر سقطت

وغشي عليَّ واجتمع حولي ناس وحسبوا اني مجنون . فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندي يحدثني . ثم قال تأكل شيئا . قلت قرب الليل فقال احسنتم يامبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة اذا هو قد جاءني ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدي . وقال كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئا آخر قلت نعم فمضى وجاء بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فأقمت ليلتي ونمت الى الصباح ما صليت ولا طفت * انبأنا ابو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا ابي قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت منصور بن عبد الله الاصفهاني يقول سمعت ابا علي الروزباري يقول : اذا قال الصوفي بعد خمسة ايام انا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب * انبأنا عبد المنعم ثنا ابي قال سمعت ابن باكويه يقول سمعت ابا احمد الصغير يقول : امرني ابو عبد الله ابن خفيف ان اقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره . فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر الي . وقال : من امرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي * اخبرنا ابو بكر بن حبيب نا علي بن ابي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن خفيف يقول : كنت في ابتدائي بقيت اربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف باقلاء . فمضيت يوما فافتصدت فخرج من عرقي شبه ماء اللحم وغشي علي . فتحير الفصاد وقال : ما رأيت جسدا لا دم فيه إلا هذا

(فصل) قال المصنف : وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم اكل درهم من اللحم يقسي القلب اربعين صباحا . وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به علي بن عبد الواحد الدينوري نا أبو الحسن القزويني نا أبو حفص بن الزيات ثنا ابن ماجه ثنا أزهر بن جميل ثنا بزيغ عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احرموا انفسكم طيب الطعام فانما قوي الشيطان أن يجري في العروق بها . وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي . وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب

الحار. ومنهم من كان يجعل ماءه فى دن مدفون فى الارض فيصير حارا . ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة * وأخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد بن على السهلكى . قال : سمعت عبد الواحد بن بكر الوريانى ثنى محمد بن سعدان ثنى عيسى بن موسى البسطامى قال سمعت أبى يقول قال سمعت عمى خادم ابى يزيد يقول سمعت ابا يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكله بنوا آدم أربعين سنة. قال: واسهل ما لاقت نفسى منى انى سألتها أمراً من الامور فابت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة . وحكى أبو حامد الغزالى عن أبى يزيد أنه قال : دعوت نفسى الى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك

(فصل) قال المصنف : وقد رتب أبو طالب المكي للقوم ترتيبات فى المطاعم فقال: استحب للمريد أن لا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة. قال: ومن الناس من كان يعمل فى الاقوات فيقلها . وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهى تجف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك. قال : ومنهم من كان يعمل فى الاوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج الى يومين وثلاثة . قال : والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفى بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ، وفى رقته مفتاح المكاشفة

قال المصنف رحمه الله: وقد صنف لهم أبو عبدالله محمد بن على الترمذى كتابا سماه رياضة النفوس. قال فيه: فينبغى للمبتدى فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة، ويقطع الادام والفواكه واللذة ، ومجالسة الاخوان، والنظر فى الكتب . وهذه كلها افراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تمتلئ غما

قال المصنف : وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الاربعينية : يبقى أحدهم اربعين يوما لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة . فهذه نبذة من ذكر افعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها

فصل فى بيان تلبيس ابليس عليهم فى هذه الافعال وايضاح الخطأ فيها

قال المصنف رحمه الله : أما ما نقل عن سهل ففعل لايجوز لانه حمل على النفس مالاتطيق. ثم أن الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم في أكل التبن ومثل هذه الاشياء أشهر من أن تحتاج الى رد . وقد حكى أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد اضعفه الجوع قاعدا أفضل من صلاته قائما اذا قواه الاكل

قال المصنف رحمه الله: وهذا خطأ بل اذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنه يعين على العبادة واذا تجوع الى أن يصلي قاعدا فقد تسبب الى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول ميتة ما جاز هذا فكيف وهو حلال ثم أى قربة فى هذا الجوع المعطل ادوات العبادة . وأما قول الحداد وأنا أنظر أن يغلب العلم أم اليقين. فانه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج اليه النفس من المطعم والمشرب وانما أشار بالعلم الى ما أمره الشرع . وأشار باليقين الى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح . وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش فى تشددهم حتى سموا بالحمس فجحدوا الاصل وشددوا فى الفرع . وقول الآخر ما حك مذ قوت لست تفاح من أقبح الاشياء وكيف يقال عمن استعمل ما أبيح له لست تفاح واما سويق الشعير فانه يورث القولنج . وقول الآخر: الزبد بالعسل اسراف قول مرذول لأن الاسراف ممنوع منه شرعا وهذا مأذون فيه . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل القثاء بالرطب ، وكان يحب الحلوى والعسل. وأما ما روينا عن سهل أنه قال: قسمت قوتي وعقلي سبعة اجزاء ففعل يذم به ولا يمدح عليه اذ لم يأمر الشرع بمثله وهو الى التحريم اقرب لانه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذى قال: ما أكلت إلا وقت أن يباح لى اكل الميتة . فانه فعل برأيه المرذول. وحمل على النفس مع وجود الحلال . وقول أبي يزيد: القوت عندنا الله . كلام ركيك فان البدن قد بنى على الحاجة الى الطعام حتى أن أهل النار فى النار

يحتاجون الى الطعام .وأما التقبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذي طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع . وكذلك الذي عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع في الضعف فانه فعل مالا يحل له . وقول ابراهيم له : احسنتم يامبتدئون خطأ أيضا فانه كان ينبغي أن يلزمه بالفطر ولو كان في رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد أحتجم وغشي عليه لا يجوز له أن يصوم أخبرنا أبو منصور القزار نا ابو بكر بن ثابت نى الازهري ثنا على بن عمر ثنا ابو حامد الحضرمى ثنا عبد الرحمن بن يونس السواج ثنا بقية بن الوليد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر . قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصابه جهد في رمضان فلم يفطر فمات دخل النار

قال المصنف رحمه الله قلت : كل رجاله ثقات وقد اخبرنا به عاليا محمد بن عبد الباقي نا ابو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكري ثنا احمد بن محمد الاسدى ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال : من اصابه جهد في رمضان فلم يفطر دخل النار

قال المصنف رحمه الله: واما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذه الاخبار عنهم ايراد مستحسن لها الاجاهل باصول الشرع . فأما العالم المتمكن فانه لا يهوله قول معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم. واما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل اعلم بمصالح الابدان فأباح اللحم لتقويتها فاكل اللحم يقوي القوة وتركه يضعفها ويسيء الخلق .وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة. ودخل يوما فقدم اليه طعام من طعام البيت فقال: لم ارلكم برمة تفور. وكان الحسن البصرى يشترى كل يوم لحما. وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لاجل الفقر .واما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الاطلاق لا يصلح لان الله عز وجل لما خلق بنى آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الاخلاط الدم

والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء فتارة يزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة الى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع الى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس الى المرطبات . فقد ركب فى الطبع الميل الى ما تميل اليه النفس وتوافقه فاذا مالت الى مايصلحها فمنعت فقد قوبلت حكمة البارى سبحانه بردها ثم يؤثر ذلك فى البدن فكان هذا الفعل مخالفا للشرع والعقل . ومعلوم أن البدن مطية الآدمى ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ . وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فان أسندوا فالى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً . ولقد عجبت لابى حامد الغزالى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه الى مذاهبهم حتى انه قال : لا ينبغى للمريد اذا تاقت نفسه الى الجماع ان يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح فى الغاية فان الادام شهوة فوق الطعام فينبغى أن لا يأكل أدما والماء شهوة اخرى . أوليس فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحدة ، أوليس فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان . أوما اكل عند أبى الهيثم بن التيهان خبزا وشواء وبسرا وشرب ماء باردا . أوما كان الثورى يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلى . أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت ، وتطعم الناقة الخبط والحمض ؛ وهل البدن الا ناقة وانما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج الى كلفة وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سببا لكثرة الاكل وجلب النوم . و لئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الانسان الى تضييع العمر فى كسبها وربما تناولها من غير وجهها . وهذا طريق السلف فى ترك فضول الشهوات. والحديث الذى احتجوا به احرموا أنفسكم طيب الطعام حديث موضوع عملته يدا بزيغ الراوى. وأما اذا اقتصر الانسان على خبز

الشعير والملح الجريش فانه يخرف مزاجه لان خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر. وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها وقد حكي يوسف الهمداني عن شيخه عبد الله الجوفى أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام. وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاً من الدهن والدسومات فلا يفعل .

قال المصنف رحمه الله : وهذا يورث القولنج الشديد. واعلم أن المذموم من الاكل انما هو فرط الشبع وأحسن الآداب فى المطعم أدب الشارع صلى الله عليه وسلم * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمكان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكنانى ثنا يحيى بن جابر الطائى : قال : سمعت المقدام بن معدى كرب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه. حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه. فان كان لابد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه .

قال المصنف رحمه الله قلت : فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظا لها وسعيا فى مصلحتها . ولو سمع أبقراط هذه القسمة فى قوله : ثلث وثلث وثلث . لدهش من هذه الحكمة لان الطعام والشراب يربوان فى المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الامور فان نقص منه قليلا لم يضر وان زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام

(فصل) قال المصنف رحمه الله :واعلم أن الصوفية انما يأمرون بالتقلل شبانهم ومبتدئيهم ومن أضر الاشياء على الشاب الجوع فان المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضا فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع . وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك يجود هضمه ويكثر تحلل بدنه فيحتاج الى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد الى كثرة الزيت. فاذا صابر الشاب الجوع وتثبته فى أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يسرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء الى أخذ الفضول المجتمعة فى البدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الذهن

والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج الى تأمل

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وذكر العلماء التقلل الذى يضعف البدن * أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الازجى نا ابراهيم بن جعفر الساجى نا ابو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبد الله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلى قال سمعت اباعبدالله أحمد بن حنبل . قال: له عقبة بن مكرم : هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم . فقال ما يعجبنى سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض. قال الخلال: وأخبرنى أبو بكر احمد بن محمد ابن عبد الله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح . قال قلت لعبد الرحمن ابن مهدى : يا أباسعيد إن ببلدنا قوما من هؤلاء الصوفية . فقال : لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوما أخرجهم الامر الى الجنون . وبعضهم أخرجهم الى الزندقة . ثم قال : خرج سفيان الثورى فى سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالوذج وكان فيها حمل . قال الخلال : وأخبرنى المروزى قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل . وقال له رجل : انى منذ خمسة عشر سنة قد ولع بى ابليس ، وربما وجدت وسوسة أتفكر فى الله عز وجل . فقال: لعلك كنت تدمن الصوم ، افطر وكل دسما وجالس القصاص

قال المصنف رحمه الله : وفى هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الردية ويهجر الدسم فيجتمع فى معدته أخلاط فجة فتغتذى المعدة منها مدة لأن المعدة لا بد لها من شئ تهضمه . فاذا هضمت ماعندها من الطعام ولم تجد شيئا تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء . وذلك الغذاء الردىء يخرج الى الوساوس والجنون وسوء الاخلاق . وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط . ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياما . ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة . وانما السبب ماعرفتك * وقد أنبأنا

عبدالمنعم بن عبدالكريم قال حدثنى أبي . قال: كانت أمرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها. فقالت: كنت فى حال الشباب أجد من نفسى أحوالا أظنها قوة الحال. فلما كبرت زالت عنى. فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا .قال سمعت أباعلي الدقاق يقول: ماسمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلارق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة

قال المصنف: فان قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضى الله عنه كان يأ كل كل يوم احدي عشرة لقمة . وأن ابن الزبير كان يبقى أسبوعا لايأ كل . وأن ابراهيم التيمى بقي شهرين . قلنا: قد يجرى للانسان من هذا الفن في بعض الاوقات غير أنه لايدوم عليه . ولا يقصد الترقي اليه . وقد كان في السلف من يجوع عوزا وفيهم من كان الصبر له عادة لايضر بدنه . وفى العرب من يبقى أياما لا يزيد عن شرب اللبن . ونحن لا نأمر بالشبع انما ننهى عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن .واذا ضعف البدن قلت العبادة . فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فاقذع بالراكب * وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحاق البرمكي ثنا أبو يعقوب بن سعد النسائى ثنا جدى الحسن بن سفيان ثنا حرملة بن يحيي ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن اسحاق بن عبيدالله بن أبي طلحة عن انس رضى الله عنه .قال: كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأ كله حتى حشفه * وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم : أنه أشترى زبداً وعسلاوخبزا حوارى . فقيل له: هذا كله تأ كله. فقال: اذا وجدنا أكلنا أ كل الرجال . واذاعدمنا صبرنا صبر الرجال .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافى ، فقد تخيره رسول الله صلى الله عليه وسلم * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتى قوماً من الانصار يعود مريضا فاستسقى وجدول قريب

منه . فقال : ان كان عندكم ماء بات فى شن وإلا كرعنا . أخرجه البخاري *
وأخبرنا ابن منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملي ثنا محمد بن عمرو بن أبي مذعور ثنا عبد العزيز ابن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا

قال المصنف : وينبغي أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا فى الكلى والسدد فى الكبد. وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة ، ويقوى الشهوة ، ويحسن اللون ، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات الى الدماغ ويحفظ الصحة. واذا كان الماء حاراً أفسد الهضم ، وأحدث الترهل وأذبل البدن ، وأدى الى الاستسقاء والدق . فان سخن بالشمس خيف منه البرص . وقد كان بعض الزهاد يقول :اذا أكلت الطيب ،وشربت الماء البارد ، متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالي: اذا أكل الانسان ما يستلذه قسي قلبه وكره الموت واذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت .

قال المصنف رحمه الله : وا عجبا كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس فى أى فن كان من التعذيب ما أحبت الموت . ثم كيف يجوز لنا تعذيبها . وقد قال عز وجل: «ولا تقتلوا أنفسكم» ورضي منا بالافطار فى السفر رفقابها. وقال: «يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» أوليست مطيتنا التى عليها وصلنا وكيف لا نأوى لها وهي التى بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبي يزيد نفسه بترك الماء سنة. فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة الا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقا ومنع الحق مستحقه ظلم . ولا يحل للانسان أن يؤذى نفسه، ولا أن يقعد في الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى ،ولا في الثلج فى الشتاء والماء يحفظ الرطوبات الاصلية فى البدن وينفذ الاغذية وقوام النفس بالاغذية . فاذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها . وهذا من أفحش الخطأ . وكذلك منعه إياها النوم . قال ابن عقيل : وليس للناس إقامة

العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم . يدل عليه ان اقامة الانسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام . وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الاموال لم يطلق لاربابها الا على وجوه مخصوصة .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد روينا فى حديث الهجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم تزود طعاما وشرابا . وأن ابابكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبنا فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد اسفله وكل ذلك من الرفق بالنفس . واما ما رتبه ابو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها . وانما يمدح الجوع اذا كان بمقدار . وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ واما ما صنعه الترمذى فكان ابتداء شرع برأيه الفاسد . وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة وما فائدة قطع الفواكه المباحة واذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى . وأما الاربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له من أخلص لله أربعين صباحا لم يجب الاخلاص(١ أبدا فاوجه تقديره بأربعين صباحا ثم لو قدرنا ذلك فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة ومنع الخبز وهل هذا كله الاجهل * وقد انبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا ابى قال حجج الصوفية اظهر من حجج كل احد وقواعد مذهبهم اقوى من قواعد كل مذهب . لان الناس اما اصحاب نقل واثر واما ارباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذى للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغى لمريدهم أن يقطع العلائق واولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام الا غلبة وان يقلل غذاءه بالتدريج

قال المصنف رحمه الله قلت : من له ادنى فهم يعرف ان هذا الكلام تخليط فان من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس احد من الخلق الا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ . فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والاشياخ والله الموفق

(١ من جُبَّ الشيءُ اذا قطع

فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم

أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن الحسين ابن حمكان ثنا عبدان بن يزيد العطار وأخبرنا محمد بن أبى منصور أنبأنا الحسن ابن احمد الفقيه ثنا محمد بن احمد الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البروجردى ثنا عمير بن مرداس قالا حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ثنا القاسم ابن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمرى عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب ، قال: جاء عثمان بن مظعون الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول غلبنى حديث النفس فلم أحب أن احدث شيئا حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تحدثك نفسك ياعثمان. قال: تحدثنى نفسى بأن اختصى. فقال: مهلا ياعثمان فان خصى أمتى الصيام قال يارسول الله فان نفسى تحدثنى أن أترهب فى الجبال قال: مهلا ياعثمان ، فان ترهب أمتى الجلوس فى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. قال: يارسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الارض. قال: مهلا ياعثمان، فان سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة . قال: يارسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أخرج من مالى كله. قال: مهلا ياعثمان فان صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك. قال: يارسول الله فان نفسى تحدثنى بان أطلق خولة امرأتى . قال: مهلا ياعثمان فان هجرة أمتى من هجر ماحرم الله عليه، أو هاجر الىّ فى حياتى، أو زار قبرى بعد موتى، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع. قال: يارسول الله فان نفسى تحدثنى أن لا اغشاها. قال: مهلا ياعثمان فان الرجل المسلم اذا غشى أهله فان لم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف فى الجنة فان كان من وقعته تلك ولد فان مات قبله كان له فرطا وشفيعا يوم القيامة وان كان بعده كان له نورا يوم القيامة. قال: يارسول الله فان نفسى تحدثنى أن لا آكل اللحم . قال: مهلا ياعثمان فانى أحب اللحم وآكله اذا وجدته ولو سألت ربى أن يطعمنى اياه كل يوم لاطعمنى . قال:

يارسول الله فان نفسي تحدثني أن لاأمس طيباً. قال: مهلا ياعثمان فان جبريل أمرني بالطيب غبا ويوم الجمعة لامترك له ياعثمان لاترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي قال المصنف رحمه الله: هذا حديث عمير بن مرداس* أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد ابن سعد نا الفضل بن دكين ثنا اسرائيل ثنا أبو اسحاق عن أبي بردة. قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فرأينها سيئة الهيئة. فقلن لها: مالك فما في قريش رجل أغنى من بعلك. قالت: مالنا منه شيء أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخلن الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرن ذلك له فلقيه. فقال: ياعثمان أمالك بي اسوة. فقال بابي وامي أنت وماذاك. قال تصوم النهار وتقوم الليل. قال: اني لأفعل. قال: لاتفعل ان لعينك عليك حقا، وان لجسدك عليك حقاً، وان لاهلك عليك حقا فصل ونم وصم وأفطر * قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمى عن أبي قلابة أن عثمان بن مظعون: اتخذ بيتا فقعد يتعبد فيه. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه وقال: ياعثمان أن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية مرتين، أو ثلاثا وأن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة *أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبدالوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخاري قال قال موسى بن اسماعيل بن حماد بن زيد بن مسلم ثنا أبو معاوية ابن قرة عن كهمس الهلالي. قال: اسلمت وأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته باسلامي، فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمي فخفض في البصر ثم صعده. قلت: أما تعرفني، قال: ومن أنت. قلت: أنا كهمس الهلالي. قال: فما بلغ بك ماأرى، قلت: ماأفطرت بعدك نهارا، ولانمت ليلا. قال: ومن أمرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما. قلت: زدني قال: صم شهر

الصبر ومن كل شهر يومين .قلت: زدني . قال : صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام * أنبأنا محمد بن عبدالملك بن خيرون أنبأنا أبو بكر احمد بن على بن ثابت ثنا أبو حازم عمر بن احمد العبدري نا ابو احمد محمد بن احمد بن الغطريف ثنا ابو بكر الذهبي ثنا حميد بن الربيع ثنا عبدة بن حميد عن الاعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبي قلابة بلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: ان ناسا من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيدا شديداً .وقال: لو كنت تقدمت فيه لفعلت . ثم قال : انى لم ارسل بالرهبانية،أن خير الدين الحنيفية السمحة

قال المصنف رحمه الله :وقد روينا فى حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده فى مأكله ومشربه. وقال بكر بن عبد الله : من أعطي خيرا فرؤى عليه سمي حبيب الله محدثا بنعمة الله عز وجل، ومن أعطي خيرا فلم ير عليه سمي بغيض الله عز وجل معاديا لنعمة الله عز وجل

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وهذا الذى نهينا عنه من التقلل الزائد فى الحد . قد انعكس فى صوفية زماننا . فصارت همتهم فى المأكل كما كانت همة متقدميهم فى الجوع . لهم الغداء والعشاء والحلوى. وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد . وافترشوا فراش البطالة . فلا همة لأكثرهم إلا الأكل واللعب . فان أحسن محسن منهم قالوا : ــ طرح شكرا . وان آسي مسيء، قالوا: استغفر ـ ويسمون مايلزمونه إياه واجبا . وتسمية مالم يسمه الشرع واجبا،جناية عليه* أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري ثنا أبو زكريا يحيي بن محمد العنبري ثنا احمد بن سلمة ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادى . قال : قام أبو مرحوم القاضي بالبصرة يقص على الناس .فأبكي . فلما فرغ من قصصه . قال : من يطعمنا إرزة فى الله

فقام شاب من المجلس ، فقال : أنا . فقال : اجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك . ثم قام الثانية ذلك الشاب . فقال : اجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة . فقال أبو مرحوم لأصحابه : قوموا بنا إليه . فقاموا معه فأتوا منزله . قال : فأتينا بقدر من باقلاء فأكلناه بلا ملح . ثم قال أبو مرحوم : عليّ بخوان خماسي وخمس مكاكيك أرز ، وخمسة أمنان سمن ، وعشرة أمنان سكر ، وخمسة أمنان صنوبر ، وخمسة أمنان فستق ، فجيئ بها كلها. فقال أبو مرحوم لأصحابه : ياإخواني كيف أصبحت الدنيا . قالو مشرق لونها ، مبيض شمسها . قال : اخرقوا فيها أنهارها ، قال فأتي بذلك السمن فاجرى فيها . ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه . فقال : ياإخواني كيف أصبحت الدنيا . قالوا: مشرق لونها ، مبيض شمسها ، مجري فيها أنهارها . فقال : ياإخواني اغرسوا فيها أشجارها . فأتي بذلك الفستق والصنوبر . فألقي فيها . ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه . فقال : ياإخواني كيف أصبحت الدنيا . قالوا : مشرق لونها ، مبيض شمسها ، مجري فيها أنهارها ، وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلى لنا ثمارها . قال : ياإخواني ارموا الدنيا بحجارتها . قال : فأتي بذلك السكر فالقي فيها . ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه . فقال: ياإخواني كيف أصبحت الدنيا ؟ قالوا : مشرق لونها ، مبيض شمسها ، وقد أجرى فيها أنهارها ، وقد غرس فيها أشجارها ، وقد تدلى لنا ثمارها فقال : ياإخوني ما لنا وللدنيا . اضربوا فيها براحتها . قال : فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس قال أبو الفضل احمد بن سلمة : ذكرته لأبي حاتم الرازي . فقال : إمله علي. فأمليته عليه . فقال : هذا شأن الصوفية .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ في الأكل ثم اختار من الطعام فربما ملأ كميه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالاجماع . ولقد رأيت شيخا منهم قد اخذ شيئا من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فاخذه منه

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين. أحدهما أنه يلهى القلب عن التفكر في عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته. والثاني أنه يميله الى اللذات العاجلة التي تدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته الا في المتجددات ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا. فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء في الحديث: الغناء رقية الزنا. وقد ذكر أبو جعفر الطبري أن الذي اتخذ الملاهي رجل من ولد قابيل يقال له ثوبال، اتخذ في زمان مهلابيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قابيل في اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمر

قال المصنف رحمه الله: وهذا لأن الالتذاذ بشيء يدعو الى التذاذه بغيره خصوصا ما يناسبه. ولما يئس ابليس أن يسمع من المتعبدين شيئا من الأصوات المحرمة كالعود. نظر الى المعنى الحاصل بالعود فدرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدريج من شيء الى شيء. والفقيه من نظر في الاسباب والنتائج وتأمل المقاصد. فان النظر الى الامرد مباح إن أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز. وتقبيل الصبية التي لها من العمر ثلاث سنين جائز اذ لا شهوة تقع هناك في الاغلب فان وجد شهوة حرم ذلك. وكذلك الخلوة بذوات المحارم فان خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة

فصل قال المصنف رحمه الله: وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الاباحة. وفصل الخطاب أن نقول: ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج في الطرقات فان أقواما من الاعاجم يقدمون للحج فينشدون في الطرقات أشعارا يصفون

فيها الكعبة وزمزم والمقام وربما ضربوا مع انشادهم بطبل فسماع تلك الاشعار مباح وليس انشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال . وفى معنى هؤلاء الغزاة . فانهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الغزو . وفى معنى هذا انشاد المبارزين للقتال للاشعار تفاخرا عند النزال وفى معنى هذا أشعار الحداة فى طريق مكة كقول قائلهم :

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والآدمى . الا ان ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال . وأصل الحداء ما أنبأنا يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر بن المسلمة نا المخلص نا احمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ثنى ابراهيم بن المنذر ثنا ابو البحترى وهب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مال ذات ليلة بطريق مكة الى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال : ان حادينا نام (١) فسمعنا حاديكم فملت اليكم . فهل تدرون انى كان الحداء قالوا : لا والله . قال : إن أباهم مضر خرج الى بعض رعاته فوجد ابله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه . فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح : يايداه يايداه (٢) فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه . فقال مضر : لو أشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتق الحداء

قال المصنف رحمه الله : وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاد يقال له أنجشة يحدو فتعنق (٣) الابل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير * وفى حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع : الا تسمعنا من هنياتك . وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول : اللهم لولا انت مااهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

---

(١) فى الثانية : ان حادينا ونا ـ أي تعب . (٢) فى الثانية : وايداه مرة فقط . (٣) العنق ـ بفتحتين نوع من السير سريع فسيح

فالقين سكينة علينا وثبت الاقدام اذ لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق؟ قالوا : عامر بن الأكوع فقال : يرحمه الله

قال المصنف رحمه الله، وقد روينا عن الشافعي رضي الله عنه. أنه قال : أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به

قال المصنف رحمه الله قلت : ومن انشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى لله داع

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة . وربما ضربوا عليه بالدف عند انشاده . ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنا ابي ثنا ابو المغيرة ثنا الاوزاعي ثني الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها . أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى عليه بثوبه ـ فانتهرهما أبو بكر ـ فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه. وقال : دعهن يا أبا بكر فانها أيام عيد . أخرجاه في الصحيحين

قال المصنف رحمه الله : والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرب(١) اليها الجواري فيلعبن معها . وقد أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبدالجبار نا أبو اسحاق البرمكي أنبأنا عبدالعزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال اخبرني منصور بن الوليد بن جعفر بن محمد حدثهم قال، قلت: لابي عبد الله احمد بن حنبل حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين ـ أي شئ هذا الغناء. قال : غناء الركب أتيناكم أتيناكم . قال الخلال وحدثنا احمد بن الفرج الحمصي ثنا يحيي بن

(١) في الثانية : يسير وهو تفسير يسرب.

سعيد ثنا أبوعقيل عن بهية عن عائشة رضي الله عنها. قالت: كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الانصار فكنت فيمن أهداها الى زوجها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعائشة ان الانصار اناس فيهم غزل : فما قلت .قالت دعونا بالبركة . قال : افلا قلتم :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الاحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السمرا لم تسمن عذاريكم

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجلح عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها: أهديتم الجارية الي بيتها .قالت : نعم قال : فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم

فان الانصار قوم فيهم غزل.

قال المصنف رحمه الله : فقد بان بما ذكرنا ماكانوا يغنون به وليس مما يطرب ولاكانت دفوفهن على مايعرف اليوم .ومن ذلك أشعار ينشدونها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب الي ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم:

ياغاديا في غفلة ورائحا الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
ياعجبا منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضا والى مثله أشار احمد بن حنبل في الاباحة فيما أنبأنا به أبو العزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لالي ثنا الفضل بن الفضل الكندي قال سمعت عبدوس يقول سمعت أباحامد الخلقاني يقول لأحمد بن حنبل : يا أبا عبدالله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها

فقال : مثل أي شيء قلت يقولون :

اذا ما قال لي ربي   اما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي   وبالعصيان تأتيني

فقال : أعد علي . فأعدت عليه . فقام ودخل بيته ورد الباب ـ فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

اذا ما قال لي ربي   أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي   وبالعصيان تأتيني

ومن الاشعار أشعارا تنشدها النواح ، يثيرون بها الاحزان والبكاء : فينهى عنها لما في ضمنها (١

فاما الاشعار التي ينشدها المغنون المتهيئون للغناء يصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو : وهو الغناء المعروف في هذا الزمان مثل قول الشاعر :

ذهبي اللون تحسب من   وجنته النار تقتدح
خوفوني من فضيحته   ليته وافى وأفتضح

وقد أخرجوا لهذه الاغاني ألحانا مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال، وتثير حب الهوى . ولهم شيء يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيعجعج القلوب . وقد أضافوا الى ذلك ضرب القضيب والايقاع به على وفق الانشاد ، والدف بالجلاجل . والشبابة النائبة عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقبل أن نتكلم في اباحته ، أو تحريمه ، او كراهته . نقول : ينبغي للعاقل أن ينصح نفسه وأخوانه . ويحذر تلبيس ابليس في اجراء هـذا الغناء مجرى الاقسام المتقـدمة التي يطلق عليها اسم الغناء . فلا يحمل الكل محملا واحدا . فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان .

---

(١) كذا في النسختين : وقد سقط ذكر العلة

فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والاخوان فنقول :

معلوم أن طباع الآدميين تتفاوت ولا تكاد تتقارب . فاذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه . لما نعلم من استواء الطباع .. فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضا خرج به عن حيز الاعتدال . فان تعالى فقال : انما أنظر الى هذه المستحسنات معتبرا فأتعجب من حسن الصنعة فى دعج العينين ، ورقة الانف ، ونقاء البياض . قلنا له : فى أنواع المباحاة مايكفى فى العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة فان ميل الطبع شاغل عن ذلك . وكذا من قال : إن هذا الغناء المطرب المزعج للطباع ، المحرك لها الى العشق وحب الدنيا - لا يؤثر عندى ولا يلفت قلبي . الى حب الدنيا الموصوفة فيه - فانا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم ان كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائبا عن الهوى لاحضر هذا المسموع الطبع وان كانت قد طالت غيبته فى سفر الخوف . وأقبح القبيح البهرجة . ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى . ثم ان كان الامر كما زعم هـذا المتصوف فينبغى أن لا نبيحه الا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشاب المبتدى . والصبي الجاهل ، حتى قال أبو حامد الغزالى : إن التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء . الصحيح أنه لا يحرم .

قال المصنف رحمه الله : فأما من قال انى لا أسمع الغناء للدنيا . وانما آخذ منه اشارات فهو يخطئ من وجهين . أحدهما أن الطبع يسبق الى مقصوده قبل أخذ الاشارات فيكون كمن قال : - انظر الى هذه المرأة المستحسنة لا تفكر فى الصنعة - والثانى أنه يقل فيه وجود شيء يشار به الى الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال فى حقه أنه يعشق ، ويقع الهيمان به . وانما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط . وإذ قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل فى الغناء .

(فصل) أما مذهب احمد رحمه الله . فانه كان الغناء فى زمانه انشاد قصائد

الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه . فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال : الغناء ينبت النفاق فى القلب ، لا يعجبنى . وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفى : أنه سئل عن استماع القصائد فقال : أكرهه ، هو بدعة ، ولا يجالسون . وروى عنه أبو الحارث أنه قال : التغنى بدعة . فقيل له : إنه يرقق القلب . فقال : هو بدعة . وروى عنه يعقوب الهاشمى : التغنى بدعة محدث . وروى عنه يعقوب بن غياث (١) : أكره التغنى . وأنه نهى عن استماعه

قال المصنف : فهذه الروايات كلها دليل على كراهته الغناء . قال أبو بكر الخلال : كره احمد القصائد . لما قيل له إنهم يتماجنون . ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها . قال المروزى : سألت أبا عبد الله عن القصائد . فقال : بدعة . فقلت له : إنهم يهجرون . فقال : لا يبلغ بهم هذا كله .

قال المصنف : وقد روينا أن احمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه . فقال له صالح : يا أبة أليس كنت تنكر هذا . فقال : انما قيل لي أنهم يستعملون المنكر فكرهته . فأما هذا فانى لا أكرهه . قال المصنف رحمه الله قلت : وقد ذكر أصحابنا عن أبى بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز : اباحة الغناء . وانما أشارا إلى ما كان فى زمانهما من القصائد الزهديات . وعلى هذا يحمل مالم يكرهه احمد . ويدل على ماقلت أن احمد بن حنبل . سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية . فاحتاج الصبي الى بيعها . فقال : لا تباع على أنها مغنية . فقيل له : إنها تساوى ثلاثين الف درهم . ولعلها اذا بيعت ساذجة تساوى عشرين دينارا ، فقال : لا تباع الا على أنها ساذجة .

قال المصنف : وانما قال هذا لأن الجارية المغنية لا تغنى بقصائد الزهديات بل بالاشعار المطربة المثيرة للطبع الي العشق . وهذا دليل على أن الغناء محظور إذ لو لم يكن محظورا ما أجاز تفويت المال على اليتيم . وصار هذا كقول أبي طلحة

(١) فى النسخة الثانية — يعقوب بن محيان — ولفظ التغنى اصلاح منا . وقد جاء فى النسختين فى الروايات كلها بلفظ التعبير وهو تصحيف

للنبي صلى الله عليه وسلم : عندى خمر لأيتام. فقال : ارقها . فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى . وروى المروزى عن احمد بن حنبل أنه قال : كسب المخنث خبيث بكسبه بالغناء . وهذا لان المخنث لا يغنى بالقصايد الزهدية انما يغنى بالغزل والنوح فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد فى الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة . فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات

(فصل) قال المصنف : واما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فاخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكي نا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عاليا سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمد بن محمد الديثى نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السرى بن عثمان التمار قالا أخبرنا عبد الله بن أحمد عن أبيه عن اسحق بن عيسى الطباع(١) قال سألت مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال : إنما يفعله الفساق *أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى قال أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال : أما مالك بن أنس فانه نهي عن الغناء وعن استماعه . وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم ابن سعد وحده فانه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لا يرى به بأساً

(فصل) وأما مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه * اخبرنا هبة الله بن احمد الحريري عن أبي الطيب الطبرى . قال : كان أبو حنيفة يكره الغناء مع اباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب . قال : وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة ابراهيم ، والشعبي ، وحماد ، وسفيان الثورى ، وغيرهم لا اختلاف بينهم فى ذلك . قال : ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع منه الا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبرى أنه كان لا يرى به بأسا

(فصل) وأما مذهب الشافعى رحمة الله عليه . قال حدثنا اسماعيل بن احمد

---

(١) فى نسخه : الطباخ

نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهانى ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا أحمد ابن محمد بن الحارث ثنا محمد بن ابراهيم بن جياد ثنا الحسن بن عبد العزيز الحروى . قال سمعت محمد بن ادريس الشافعى يقول: خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة. يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر أبو منصور الازهرى المغيرة قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله عز وجل تغبيرا كأنهم اذا شاهدوها بالالحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة لهذا المعنى. وقال : الزجاج سموا مغيرين لتزهيدهم الناس فى الفانى من الدنيا وترغيبهم فى الآخرة * وحدثنا هبة الله بن احمد الحريرى عن أبى الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى . قال قال الشافعى: الغناء لهو مكروه يشبه الباطل . ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . قال : وكان الشافعى يكره التغبير . قال الطبرى :فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وانما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد (١) وعبيد الله العنبرى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالسواد الاعظم فانه من شذ شذ فى النار . وقال : من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية

قال المصنف قلت : وقد كان رؤساء أصحاب الشافعى رضى الله عنهم ينكرون السماع. وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الانكار . منهم أبو الطيب الطبرى وله فى ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبو القاسم الحريرى ومنهم القاضى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الانماطى عنه . قال . لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب .قال: ومن أضاف الى الشافعى هذا فقد كذب عليه . وقد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء : على أن الرجل اذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم

(١) فى الثانية : سعيد . هنا وفيما تقدم عنه.

وانما رخص في ذلك من متأخريهم من قل علمه وغلبه هواه . وقال الفقهاء من أصحابنا : لا تقبل شهادة المغني والرقاص والله الموفق

فصل في ذكر الادلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منه

قال المصنف : وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى. فاما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات. الآية الاولى قوله عز وجل: « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيي بن علي قالا نا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله بن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال قال حميد الخياط أخبرنا عمار بن أبي معاوية عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء . قال : سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال هو والله الغناء * أخبرنا عبد الله بن علي المقرى ومحمد بن ناصر الحافظ قالا نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ». قال هو الغناء وأشباهه * أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيي بن علي المدبر قالا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوي ثنا هدبة ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ». قال الغناء * أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكي نا احمد بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزي ثنا أحمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا اسماعيل عن سعيد بن يسار . قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال هو الغناء . وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وابراهيم النخعي

الآية الثانية قوله عز وجل « وأنتم سامدون » * أخبرنا عبد الله بن علي نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا عبيد الله بن عمر ثنا يحيي بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس « وأنتم سامدون » قال : هو الغناء بالحميرية اسمدي لنا تغني لنا . وقال مجاهد هو الغناء

يقول أهل اليمن سمد فلان اذا تغنى

الآية الثالثة قوله عز وجل: «واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك» * أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن ابراهيم الزهرى نا عبدالله بن ابراهيم بن ماسى ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمى عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد: «واستفزز من استطعت منهم بصوتك». قال هو الغناء والمزامير

أما السنة * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه. أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق. وهو يقول: يانافع أتسمع فأقول نعم فيمضى. حتى قلت لا. فوضع يديه وأعاد راحلته الى الطريق وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا

قال المصنف رحمه الله: اذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم * أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبي ثنا اسماعيل بن سعيد بن سويد ثنا أبو بكر بن الأنبارى ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ثنا ابن أبى مريم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى امامة قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن. وقال ثمنهن حرام: وقرأ «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين» * أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا أبو منصور محمد بن محمد المقرى نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا عمر بن أحمد بن عبد الرحمن الجمحى ثنا منصور ابن أبى الاسود عن أبى المهلب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة. قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع

المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء . وقال : ثمنهن حرام . وقال في هذا أو نحوه . أو وقال شبهه نزلت علي « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » . وقال : ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء الا بعث الله له شيطانين يرتدفانه أعني هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بارجلهما في صدره حتى يكون هو الذي يسكت. وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشتري لهو الحديث . وروى عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة * أخبرنا ظفر بن علي نا أبو علي الحسن بن أحمد المقتدى نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن علي بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول صلى الله فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقلت يارسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهى عن البكاء انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان * أخبرنا عبد الله بن علي المقرى نا جدى أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد بن سويد الطحان ثنا عاصم بن علي ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن نخام الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بعثت بهدم المزمار والطبل *اخبرنا ابن الحصين ثا أبو طالب بن عيلان نا أبو بكر الشافعي ثنا عبد الله بن محمد بن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن

على . قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بعثت بكسر المزامير * أخبرنا أبو الفتح الكروخى نا أبو عامر الازدي وأبو بكر الغورجى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا صالح بن عبد الله ثنا الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف قال الترمذى وحدثنا على بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامى عن أبى هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا اتخذ الفئ دولا ، والامانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى اباه ، وظهرت الاصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الامة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع *وقد روى عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يكون فى أمتى خسف وقذف ومسخ . قيل : يارسول الله متى . قال : اذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر * أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى فى كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الاسدابادى نا أبو منصور المقومى نا أبوطلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجانى ثنا عبد الرزاق أخبرنى يحيى بن العلاء انه سمع مكحولا يقول انه سمع يزيد بن عبد الله يقول أنه سمع صفوان بن أمية قال كنا مع رسول الله عليه وسلم فجاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله : ان الله عز وجل قد كتب على الشقوة فما أرانى أرزق الا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء فى غير فاحشة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين . كذبت يا عدو الله

لقد رزقك الله حلالا طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله. ولو كنت تقدمت اليك لفعلت بك وفعلت . قم عني وتب الى الله عز وجل· أما انك ان قلت بعد التقدمة اليك ضربتك ضرباً وجيعاً. وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلك. وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة· فقام عمرو وبه من الشر والخزى ما لا يعلمه الا الله عز وجل . فلما ولى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله عز وجل عريانا لا يستتر بهدبة كلما قام صرع

وأما الآثار . فقال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وقال : اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان . وقال : تغنه فان لم يحسن . قال له: تمنه . ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى · قال : ألا لا سمع الله لكم .ومر بجارية صغيرة تغني. فقال: لو ترك الشيطان أحداً لترك هذه: وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء .فقال: انهاك عنه واكرهه لك . قال : احرام هو ؟ قال انظر يا ابن أخي اذا ميز الله الحق من الباطل ففى أيهما يجعل الغناء وعن الشعبي . قال لعن المغنى والمغنى له * أخبرنا عبد الله بن علي المقرى ومحمد بن ناصر قالا نا طراد بن محمد نا أبو الحسين بن بشران نا أبو علي بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنى الحسين ابن عبد الرحمن ثنى عبد الله بن عبد الوهاب قال أخبرني أبو حفص عمر ابن عبيد الله الارموى . قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمان جل وعز .فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم ان حضور المعازف واستماع الاغانى واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت المــاء العشب. ولعمرى لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن ايسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه . وقال فضيل بن عياض· الغناء رقية الزنا . وقال: الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب . وقال يزيد بن الوليد يا بني

مية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر . فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء ، فان الغناء داعية الزنا

قال المصنف رحمه الله قلت : وكم قد فتنت الاصوات بالغناء من عابد وزاهد . وقد ذكرنا جملة من أخبارهم في كتابنا المسمى بذم الهوى * أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمه نا أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ثنى محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرحمن بن بى الزياد عن أبيه قال : كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له . فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه . فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه اذ استمدها بيده ، واشار اليها فاذا هى ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله الى صوت غناء تسمعه فى ناحية العسكر . فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت . فاذا صوت رجل يغنى فانصت له حتى فهم ما يغنى به من الشعر . ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح اذن للناس اذنا عاماً . فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل . فقال : هل بقى أحد يسمع منه . فقام رجل من القوم . فقال : يا أمير المؤمنين عندى رجلان من أهل ايلة حاذقان . قال : وأين منزلك من العسكر فاومى الى الناحية التى كان الغناء منها . فقال : سليمان يبعث اليهما فوجد الرسول أحدهما فاقبل به حتى ادخله على سليمان . فقال له ما اسمك ؟ قال : سمير . فسأله عن الغناء . كيف هو فيه . فقال : حاذق محكم . قال ومتى عهدك به . قال : فى ليلتى هذه الماضية . قال : وفى أى نواحى العسكر كنت فذكر له الناحية التى سمع منها الصوت . قال : فما غنيت . فذكر الشعر الذى سمعه سليمان . فأقبل سليمان فقال هدر الجمل فضبعت الناقة ، وهب التيس فسكرت الشاة ، وهدل الحمام فزافت الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة . ثم أمر به فخصى . وسأل عن الغناء اين أصله وأكثر ما يكون . قالوا : بالمدينة وهو فى المخنثين وهم الحذاق به والائمة فيه

فكتب الى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: ان اخصى من قبلك من المخنثين المغنيين

قال المصنف رحمه الله: وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل: وبيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه فى حال صحته من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الارض برجليه. الى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر فى تغطية العقل. فينبغي أن يقع المنع منه * أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن على الازجي نا ابن جهضم ثنا يحيي بن المؤمل ثنا أبو بكر السفاف ثنا أبو سعيد الخراز. قال ذكر عند محمد بن منصور أصحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرارون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم فى سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقى * أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على العبادي. قال قال أبو عبد الله ابن بطة العكبرى: سألنى سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وانما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة. يدعون الشوق والمحبة باسقاط الخوف والرجاء. يسمعونه من الاحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم اليه تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيرا

فصل فى ذكر الشبه التى تعلق بها من اجاز سماع الغناء

فمنها حديث عائشة رضي الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين وفى بعض ألفاظه دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث. فقال: أبو بكر أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله: دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا. وقد سبق ذكر هذا الحديث. ومنها حديث عائشة رضي

الله عنها أنها زفت أمرأة الى رجل من الانصار . فقال : النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة ما كان معهم من اللهو . فان الانصار يعجبهم اللهو – وقد سبق ومنها حديث فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الله أشد أذناً الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته. قال : ابن طاهر : وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء اذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه قال: ما أذن الله عز وجل لشئ ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن. ومنها حديث حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف

والجواب : أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمى بذلك غناء لنوع يثبت فى الانشاد وترجيع ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك الواقع فى الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الاصوات المطربة الواقعة فى زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى . ما هذا إلا مغالطة للفهم أو ليس قد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد . وانما ينبغى المفتى أن يزن الاحوال كما ينبغي للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاولت به الانصار يوم بعاث من غناء أمرد مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تجذب اليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد والاعتدال فهل يثبت هناك طبع هيهات بل ينزعج شوقا الى المستلذ ولا يدعي أنه لا يجد ذلك الا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك الى الخالق فقد استعمل فى حقه ما لا يليق به على أن الطبع يسبقه الى ما يجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر * فاخبرنا أبو القاسم الحريرى عنه أنه قال : هذا الحديث حجتنا لان أبا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم

على أبى بكر قوله وانما منعه من التغليظ فى الانكار لحسن رفقته لا سيما فى يوم العيد: وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة فى ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها الا ذم الغناء . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها

قال المصنف رحمه الله : وأما اللهو المذكور في الحديث الآخر فليس بصريح فى الغناء فيجوز أن يكون انشاد الشعر أو غيره. وأما التشبيه بالاستماع الى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً. فان الانسان لو قال وجدت للعسل لذة اكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وانما وقع التشبيه بالاصغاء فى الحالتين فيكون احدهما حلالا أو حراماً لا يمنع من التشبيه .وقد قال عليه السلام انكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضاً الرؤية بايضاح الرؤية وان كان وقع الفرق بان القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك والفقهاء يقولون فى الوضوء لا تنشف الاعضاء منه لانه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد. فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة . وان افترقا فى الطهارة والنجاسة. واستدلال ابن طاهر بان القياس لا يكون الا على مباح فقه الصوفية لا علم الفقهاء .وأما قوله يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينة فقال معناه يستغنى به وفسره الشافعى .فقال : معناه يتحزن به ويترنم . وقال : غيرهما يجعله مكان غناء الركبان اذا ساروا .وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت : هكذا ـ فكيف لو رأوا هذه ـ وكان الحسن البصرى يقول ليس الدف من سنة المسلمين فى شئ . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: من ذهب به الى الصوفية فهو خطأ فى التأويل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما معناه عندنا اعلان النكاح واضطراب الصوت به والذكر فى الناس .

قال المصنف رحمه الله قلت : ولو حمل على الدف حقيقة على انه قد قال أحمد بن حنبل أرجو ان لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه واكره الطبل

* اخبرنا عبد الله بن علي المقرى نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبدالله بن عبيد الله المؤدب ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملي ثنا عبيد الله بن جرير بن جبله ثنا عمرو بن مرزوق ثنا زهير عن أبي اسحاق عن عامر بن سعد البجلي . قال : طلبت ثابت بن سعد وكان بدريا فوجدته في عرس له . قال : واذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف . فقلت : الا تنهى عن هذا . قال : لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لنا في هذا * اخبرنا عبد الله بن على نا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن بشران ثنا أبو على أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائي ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن القاسم عن عائشة . قالت قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال : يعني الدف

قال المصنف رحمه الله : وكل ما احتجوا به لايجوز ان يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر في الطباع . وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فنهم أبو نعيم الاصفهاني فانه قال كان البراء بن مالك يميل الى السماع ويستلذ بالترنم

قال المصنف رحمه الله : وانما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه انه استلقى يوماً فترنم فانظر الى هذا الاحتجاج البارد فان الانسان لا يخلو من ان يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب . وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لانها ليست بشيء فنها أنه قال في كتابه : باب الاقتراح على القوال والسنة فيه . فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه : قال : استنشدني رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعر امية فاخذ يقول هي هي حتى أنشدته مائة قافية وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل . قال : العجاج سألت أبا هريرة رضي الله عنه : طاف الخيالات فهاجا سقماً : فقال : أبو هريرة رضي الله عنه

كان ينشد مثل هذا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال المصنف رحمه الله : فانظر الى احتجاج ابن طاهر ما أعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر وما مثله الا كمثل من قال : يجوز ان يضرب بالكف على ظهر العود فجاز ان يضرب باوتاره أو قال : يجوز ان يعصر العنب ويشرب منه في يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام : وقد نسي ان انشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء *وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن ابيه . قال أخبرنا أبو محمد التميمي . قال : سألت الشريف أبا علي بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال : ما أدري ما أقول فيه غير اني حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلاثماية في دعوة عملها لا صحابه حضرها أبو بكر الابهري شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعيين وأبو الجيش طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة . فقال : أبو علي لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثه بسنة . ومعهم أبو عبد الله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له قل شيئا . فقال : وهم يسمعون

خطت اناملها في بطن قرطاس رسالة بعبير لا بأنفاسي

أن زر فديتك قف لي غير محتشم فان حبك لي قد شاع في الناس

فكان قولي لمن أدى رسالتها قف لي لأمشي على العينين والراس

قال أبو علي فبعد ما رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بحظر ولا إباحة .

قال المصنف : رحمه الله وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الابيات على انه أنشدها لانه غنى بها بتضيب ومخدة اذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام مجمل قوله لا يمكنني ان أقول فيها بحظر ولا إباحة لانه ان كان مقلدا لهم فينبغي ان يفتي بالاباحة وان كان ينظر في الدليل فيلزمه من حضورهم ان يفتي بالحظر ثم بتقدير

ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفي في هذا وشيدنا ذلك بالادلة، وقال ابن طاهر في كتابه : باب اكرامهم للقوال وافرادهم الموضع له - واحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم رمى بردة كانت عليه الى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد . وانما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه والا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط* وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجي ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقري ثنا أبي ثنا علي بن أحمد ثنا محمد ابن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثني ابراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزني . قال: مررنا مع الشافعي وابراهيم ابن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم :

خليليّ ما بال المطايا كأننا نراها على الاعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعي ، ميلوا بنا نسمع . فلما فرغت . قال الشافعي لابراهيم أيطربك هذا : قال لا. قال فمالك حس

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا محال على الشافعي رضى الله عنه وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي أجل من هذا كله. ويدل على صحة ما ذكرنا ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري . قال : أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فان أصحاب الشافعي قالوا : لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة . قال وقال الشافعي : وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته . ثم غلظ القول فيه. فقال : وهو دياثة

قال المصنف رحمه الله : وانما جعل صاحبها سفيها، لأنه دعى الناس الى الباطل ومن دعى الى الباطل كان سفيها فاسقا

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادي عن أبي محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي

جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد ذكر أبو طالب المكي فى كتابه قال أدركنا مروان القاضي .وله جوار يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية . قال: وكانت لعطاء جاريتان يلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما

قال المصنف رحمه الله قلت : أما سعد الدمشقي فرجل جاهل، والحكاية عن عطاء محال وكذب وان صحت الحكاية عن مروان (١) فهو فاسق والدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فالوا الى الهوى * وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابورى . قال : أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفى فى دار أبى بكر الابريسمى للسماع من هزارة رحمها الله فانها كانت من مستورات القوالات

قال المصنف قلت. وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفي عليه أنه لا يحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا فى تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قدحاً فى عدالته .

قال المصنف رحمه الله: فان قيل ما تقول فيما أخبركم به اسماعيل بن أحمد السمرقندى نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد نا حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معرف ثنا جرير عن مغيرة . قال : كان عون ابن عبد الله يقص . فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب . قال المغيرة : فأرسلت اليه أو أردت أن أرسل اليه انك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه صلى الله عليه وسلم بالحق . وان صنيع هذا صنيع أحمق . فالجواب أنا لا نظن بعون انه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفرداً وهى ملكه . فقال : له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فاظنك بمن يسمعهن الرجال ويرقصهن ويطربهن .

(١) فى الثانية أبى مروان

وقد ذكر أبو طالب المكى ان عبد الله بن جعفر : كان يسمع الغناء

قال المصنف رحمه الله : وانما كان يسمع انشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التى ذكرها عن الشافعى وقد ذكرناها آنفاً بحكاية عن أحمد ابن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحسين بن أحمد قال سمعت أبا العباس الفرغانى يقول سمعت صالح بن أحمد بن حنبل يقول : كنت أحب السماع وكان أبى أحمد يكره ذلك . فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندى الى أن علمت أن أبى قدنام وأخذ يغنى فسمعت حس أبى فوق السطح فصعدت فرأيت أبى فوق السطح يسمع وذيله تحت إبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص

قال المصنف رحمه الله قلت: هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففى بعض الطرق عن صالح . قال كنت ادعو ابن الخبازة القصايدى وكان يقول ويلحن وكان أبى فى الزقاق يذهب ويجئ ويسمع اليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا أحمد بن على بن الحسين النورى ثنا يوسف بن عمر القواس . قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعى يحكى أظنه عن عبد الله بن أحمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصايدى . وكان يقول ويلحن وكان أبى ينهانا عن التغنى فكنت اذا كان ابن الخبازة عندى أكتمه عن أبى لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندى وكان يغنى (١) فعرضت لابى عندنا حاجة وكنا فى زقاق فجاء فسمعه يغنى فتسمع فوقع فى سمعه شئ من قوله فخرجت لأنظر فاذا بأبى ذاهباً وجائياً فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد . قال لى: يا بنى اذا كان مثل هذا نعم .. هذا الكلام أو معناه

قال المصنف رحمه الله . وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التى فيها ذكر الآخرة . ولذلك استمع اليه أحمد . وقول من قال ينزعج فان

---

(١) فى الثانية وكان يقول أى ينشد بدل قوله ويغنى فى المكانين

الانسان قد يزعجه الطرب فيميل يميناً وشمالا . وأما رواية ابن طاهر التى فيها فرأيته وذيله تحت ابطه يتبختر على السطح كأنه يرقص فانما هو من تغيير الرواة وتغييرهم لايظنونه المعنى(١) تصحيحاً لمذهبهم فى الرقص * وقد ذكرنا القدح فى السلمى وفى ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات . وقد احتج لهم أبو طالب المكى على جواز السماع بمنامات وقسم السماع الى أنواع وهو تقسيم صوفى لا أصل له . وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس الى الهوى فهو كاذب * وقد أخبرنا أبو القاسم الحريرى عن أبى طالب الطبرى قال قال بعضهم : إنا لانسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام : قال . وهذا تجاهل منه عظيم لأمرين . أحدهما انه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهى لانه يسمعه بالطبع الذى لايشاركه فيه أحد من الناس فان لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وان استباحه فقد فسق . والثانى ان هذا المدعى لا يخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة. فان قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه اذا رجع الى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات وهذا لا يقوله عاقل وان قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة. قلنا له: فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك ، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس فى نفسك * أخبرنا ابن ناصر نا احمد بن على بن خلف ثنا ابو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول : سئل أبو على الروذبارى عمن سمع الغناء ويقول هى لى حلال لانى قد وصلت الى درجة لا تؤثر فىَّ اختلاف الاحوال فقال نعم . قد وصل لعمرى ولكن الى سقر

قال المصنف رحمه الله : فان قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به . قلنا : لا ينكر أن يسمع الانسان

(١) كذا فى النسختين وفى العبارة نقص أو تصحيف بالمعنى اهـ

بيتاً من الشعر أوحكمة فيأخذها اشارة فتزعجه بمعناها لالأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول ـ

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت الى التلحين . وانما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستمداد لسماع الابيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق الى غير ذلك . ثم ان ذلك السامع لم يقصد السماع . ولو سألنا هل يجوز لى أن اقصد سماع ذلك منعناه

قال المصنف رحمه الله : وقد احتج لهم أبوحامد الطوسى باشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم . مجموعها : أنه قال . ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس . وجواب هذا ماقد اسلفناه . وقال لاوجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً . واذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع . فان أفراد المباحات اذا اجتمعت كان المجموع مباحاً . قال : ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شيء محظور . حرم نثره ونظمه ، وحرم التصويت به .

قال المصنف رحمه الله . قلت : وانى لا تعجب من مثل هذا الكلام . فان الوتر بمفرده . أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وازعج . وكذلك ماء العنب جائز شربه واذا حدثت فيه شدة مطربة حرم . وكذلك هذا المجموع يوجب طربا يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك . وقال ابن عقيل : الاصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح . فالمحرم الزمر والناى والسريانى والطنبور والمعزفة والرباب . نص الامام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك . ويلحق به الجرافة (١) والجنك لان هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس ما يفعله المسكر ، وسواء استعمل على حزن يهيجه

(١) فى الثانية : الجراية وهذه كلها اسماء لآلات الملاهى

أو سرور. لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة، والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وانما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول. والقول مكروه. ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول (١) نفسه والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد انه قال: ارجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه واكره الطبل. وقد قال أبو حامد: من أحب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فالسماع فى حقه مؤكد لعشقه

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا قبيح ان يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى توكيد لعشقه فى قول المغنى

ذهبى اللون تحسب من وجنته النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت: وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول: ان مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادى الى الله بالاناشيد. فقال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل انما تحدى القلوب بوعد الله فى القرآن ووعيده وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه وتعالى قال: «واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا»: وما قال. واذا انشدت عليه القصائد طربت - فاما تحريك الطباع بالالحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتجدد عنه فتنة. ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون. بل ينبغى النظر الى المحال التى احالنا عليها الابل والخيل والرياح ونحو ذلك، فانها منظورات لا تهيج طبعا بل تورث استعظاما للفاعل. وانما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم. ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة. وأنتم زنادقة فى زى عباد. شرهين فى زى زهاد مشبهة تعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه. ويؤلف ويؤنس به. وبئس التوهم لان الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لان أصولها مشاكلة فهى تتوانس وتتألم بأصولها

(١) وفى نسخة كالعود

العنصرية وتراكيبها المثلية فى الاشكال الحديثة . فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضها بعضاً . وعلى قدر التقارب فى الصورة يتأكد الأنس . والواحد منا يأنس بالماء لان فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته فى أخص النوع به أو اقربه اليه ، فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل اليه والعشق والشوق . وما الذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وانما هؤلاء يصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تثبت فى القلوب . وما ذاك الله عزوجل ذاك صنم شكله الطبع والشيطان . وليس لله وصف تميل اليه الطباع ولا تشتاق اليه الأنفس وانما مباينة الالهية للمحدث أوجبت فى الانفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله فى محبة الله انما هو وهم اعترض . وصورة شكلت فى نفوس حجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق اليها فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم فى العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبعية التى يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الاصنام

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدى السماع لعلمهم بما يثير من قلبه * اخبرنا عمر بن ظفر المقرى نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على الازجى ثنا ابن جهضم ثنى ابو عبد الله المقرى ثنا عبد الله بن صالح قال قال لى جنيد : اذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت أحمد بن محمد البردعى يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه : اذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل الى الرفاهية فلا ترج خيره

قال المصنف رحمه الله : هذا قول مشايخ القوم وانما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين . أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لانهم

يظنون أن الكل كانوا هكذا . والثاني انهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامي حجة في لعبه الا أن يقول فلان يفعل كذا ويفعل كذا

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك الا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوازن وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي وقال سمعت أباحاتم محمد بن أحمد بن يحيي السجستاني قال سمعت أبا نصر السراج يقول : حكى لي بعض اخواني عن أبي الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد فلما دخلت الري سألت عن منزله وكل من اسأله عنه يقول إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت جئت الى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل اسأل عنه حتى دفعت الى مسجده وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئا فقلت نعم وقلت

رأيتك تبني دائما في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه : ثم قال يابني تلوم أهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا اقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة وقامت علي القيامة بهذا البيت * وانبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن نا ابي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول : فاخرجت الى مرو في حياة الاستاذ ابي سهل الصعلوكي وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغاني في ذلك الوقت مجلس القوال يعني المغني فتداخلني من ذلك شيء فكنت أقول

قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال. فقال لي يوما : أي شيء تقول الناس ، فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القوال. فقال : من قال لاستاذه لم لم يفلح

قال المصنف رحمه الله : هـذه عادة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا احد يسلم اليه حاله . فان الآدمي يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط

(فصل) وقد اعتقد قوم من الصوفية ان هذا الغناء الذي ذكرناه عن قوم تحريمه وعن آخرين كراهته مستحب في حق قوم* وانبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ابن هوازن القشيري قال حدثنا ابي قال سمعت أبا علي الدقاق يقـول : السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لاصحابنا لحياة قلوبهم

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا غلط من خمسة أوجه . احدها انا قد ذكرنا عن أبي حامد الغزالي أنه يباح سماعه لكل أحد . وابو حامد كان اعرف من هذا القائل . والثاني ان طباع النفوس لا تتغير وانما المجاهدة تكف عمالها . فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال . فاذا جاء ما يحرك الطباع . واندفع الذي كان يكفها عنه عادت العادة . والثالث ان العلماء اختلفوا في تحريمه واباحتـه وليس فيهم من نظر في السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال . والرابع ان الاجماع انعقد على انه ليس بمستحب وانما غايته الاباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الاجماع . والخامس انه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحا أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لانه انما حرم لانه يؤثر فى الطباع ويدعوها الى الهوى فاذا أمن ذلك فينبغي أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبي الطيب الطبري

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة

الى الله عز وجل . قال أبو طالب المكي : حدثنى بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواطن . عند الاكل لأنهم لا يأكلون الا عن فاقة . وعند المذاكرة لانهم يتجاوزون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين . وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا ان صح عن الجنيد وأحسنا به كان محمولا على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فانها توجب الرقة والبكاء . فاما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفات البارى سبحانه فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح أخذ الاشارة من ذلك كانت الاشارة مستغرقة فى جنب غلبة الطباع . ويدل على ما حملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد فى زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم الا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال * فحدثنى أبو جعفر أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السباك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال : كان أبو الوفا الفيروزبادى شيخ رباط الزوزنى صديقا لى . فكان يقول لى والله انى لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول . قال : فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت اجابة ان هذا لعظيم . وقال ابن عقيل : قد سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون انه قربة يتقرب بها الى الله تعالى . قال : وهذا كفر ، لان من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً . قال : والناس بين تحريمه وكراهيته * أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال أخبرنى على بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثنى أبو همام قال حدثنى ابراهيم بن أعين . قال قال صالح المرى : أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه الى الله قربة ، وأثبت الناس قدما يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم * أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم

ابن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندى يقول سمعت عليا السائح يقول سمعت أبا الحارث الاولاسى يقول : رأيت ابليس فى المنام على بعض سطوح أولاس . وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف . فقال لطائفة منهم : قولوا وغنوا، فاستغرقني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح . ثم قال : ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون . ثم قال لى : يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم الا هذا

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في الوجد ﴾

قال المصنف رحمه الله : هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت، وصفقت، وصاحت ، ومزقت الثياب . وقد لبس عليهم ابليس فى ذلك * وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن على الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبدالله بن على السراج الطوسي . قال وقد قيل له : انه لما نزلت : « وان جهنم لموعدهم أجمعين » : صاح سلمان الفارسى صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام . واحتجوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن على الخياط قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست قال أخبرنا الحسين بن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد القرشي قال أخبرنا على بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل . قال : خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع ابن خثيم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر الى حديدة فى النار فنظر الربيع اليها فمال ليسقط ثم ان عبد الله مضى حتى أتينا على أتون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله والنار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية : « اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً » الى قوله « ثبورا كثيرا » فصعق الربيع واحتملناه الى أهله ورابطه عبد الله حتى يصلى الظهر فلم يفق ثم رابطه الى العصر فلم يفق ثم

رابطه الى المغرب فأفاق فرجع عبد الله الى أهله . قالوا : وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا اذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ، ومنهم من يصيح . وهذا كثير في كتب الزهد والجواب : أما ما ذكره عن سلمان فمحال وكذب . ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان انما أسلم بالمدينة . ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا . وأما حكاية الربيع ابن خثيم فان راويها عيسى بن سليم وفيه مقمز * أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد بن المظفر الشامي قال أخبرنا أبو الحسن أحمد ابن محمد العتيقي قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلاني قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي . قال : قال أحمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبي وائل لا أعرفه . قال العقيلي : وحدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني ابن آدم . قال سمعت حمزة الزيات قال : لسفيان انهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق . قال : ومن يروى هذا انما كان يرويه ذاك القاص ـ يعني عيسى بن سليم ـ فلقيته فقلت : عمن تروى أنت ذا ـ منكراً عليه

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع ابن خيثم جرى له هذا لأن الرجل كان على السمت الاول ، وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا ولا التابعين . ثم نقول على تقدير الصحة : أن الانسان قد يغشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكته فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب . فأما من يدعي الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى الى تخريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع فانا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به * وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد ابن علي بن ثابت قال أخبرنا محمد بن علي بن الفتح قال أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول : كان للشبلي يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة

تشوش من حوله من الخلق وكان يجتنب حلقته حلقة أبي عمران الأشيب فخرد أبو عمران وأهل حلقته

قال المصنف رحمه الله : واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب . وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع . فجرى من بعض غرباتهم نحو ما أنكرناه فبالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانكار عليه * فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا ابن الحصين قال أنبأنا أبو علي بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قالا حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال حدثنا عبد المتعال بن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس . قال : وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فاذا رجل قد صعق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من ذا الملبس علينا ديننا . ان كان صادقا فقد شهر نفسه وان كان كاذبا فمحقه الله * قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري قال حدثنا روح بن عطاء بن أبي ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك . قال : ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس : لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنينا حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد

قال المصنف رحمه الله : وهذا حديث العرباض بن سارية . وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . قال أبو أبو بكر الآجري : ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان * أخبرنا عبد الله بن علي المقري قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار بن ابراهيم قال أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبد الله البصري قال حدثنا أبو عمر حفص بن عبد الله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد الله

الواسطي قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن . قال قلت لاسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله عند قراءة القرآن ، قالت : كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم الله عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم. فقلت لها: ان ههنا رجالا اذا قرىء على أحدهم القرآن غشي عليه . فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * اخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن علي التميمي نا ابو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحق الحابي ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة .قال: سألت اسماء بنت ابي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف. قالت: لا ولكنهم كانوا يبكون* اخبرنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن علي التميمي واخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا ابو نعيم الحافظ قالا اخبرنا ابو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن ابي حازم .قال: مر ابن عمر رضي الله عنه برجل ساقط من اهل العراق. فقال: ما شأنه .فقالوا: انه اذا قرىء عليه القرآن يصيبه هذا .قال: انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط * اخبرنا سعيد بن احمد بن البنا نا ابو سعد محمد بن علي الرستمي نا ابو الحسين بن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن ابي بردة عن ابن عباس، انه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن. فقال: انهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون * انبأنا ابن الحصين نا ابو علي بن المذهب نا ابو حفص ابن شاهين ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق نا ابراهيم بن فهد ابراهيم بن الحجاج الشامي ثنا شبيب بن مهران عن قتادة .قال قيل لأنس بن مالك : إن ناساً اذا قرىء عليهم القرآن يصعقون .فقال: ذاك فعل الخوارج * اخبرنا محمد ابن ناصر نا عبد الرحمن بن ابي الحسين بن يوسف نا عمر بن علي بن الفتح نا احمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة ثنا احمد بن سعيد الدمشقي .قال:

بلغ عبد الله بن الزبير ان ابنه عامراً صحب قوماً يتصعقون عند قراءة القرآن فقال له : يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلدا * اخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا ابو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكار ثني عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال ثني ابي عن عامر بن عبد الله بن الزبير. قال: جئت الى أبي فقال اين كنت فقلت وجدت أقواماً ما وجدت خيرا منهم يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم. قال: لا تقعد معهم بعدها فرآني كأني لم يأخذ ذلك فيّ. فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم اخشع لله من أبي بكر وعمر . فرأيت ان ذلك كذلك فتركتهم * اخبرنا محمد بن عبدالباقي نا حمد بن احمد نا ابو نعيم الحافظ نا محمد بن احمد في كتابه ثنا محمد بن ايوب ثنا حفص بن عمر النميري ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك. قال: بينا نحن عند ابي الجوزاء يحدثنا اذ خر رجل فاضطرب فوثب ابو الجوزاء يسعى قبله. فقيل: يا أبا الجوزاء انه رجل به الموتة. فقال : انما كنت أراه من هؤلاء القفازين ولو كان منهم لأمرت به فاخرج من المسجد انما ذكرهم الله تعالى فقال «تفيض اعينهم من الدمع» أو قال «تقشعر جلودهم» * اخبرنا ابو محمد بن علي المقري نا احمد بن بندار بن ابراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا ابراهيم بن عبد الله البصري ثنا ابو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيد ني عمرو بن مالك البكري. قال: قرأ قارىء عند ابي الجوزاء قال فصاح رجل من اخريات القوم أو قال من القوم. فقام اليه ابو الجوزاء فقيل له : يا أبا الجوزاء انه رجل به شيء فقال طبيب انه من هؤلاء النفارين فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه. وقال ابو عمر اخبرنا جرير بن حازم: انه شهد محمد بن سيرين وقيل له أن هٰهنا رجالا اذا قرئ على احدهم القرآن غشي عليه. فقال محمد بن سيرين: يقعد

أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن (١) من اوله الى آخره فان وقع فهو صادق قال ابو عمرو : وكان محمد بن سيرين يذهب الى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم * اخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا حمد بن احمد نا ابو نعيم الحافظ ثنا ابو محمد بن حبان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحيى عن عمران بن عبدالعزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق . فقال : ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من اوله الى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون * اخبرنا ابن ناصر نا ابو طاهر عبد الرحمن بن ابي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي المشاري نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا ابو بكر القرشي ثنا محمد بن علي عن ابراهيم بن الاشعث . قال سمعت أبا عصام الرملي عن رجل عن الحسن : انه وعظ يوما فتنفس رجل في مجلسه . فقال الحسن : ان كان لله تعالى فقد شهرت نفسك ، وان كان لغير الله فقد هلكت * اخبرنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن علي نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى ابي ثنا روح ثنا السري بن يحيي ثنا عبد الكريم بن رشيد . قال : كنت في حلقة الحسن فجعل رجل يبكي وارتفع صوته . فقال الحسن : ان الشيطان ليبكي هذا الآن * اخبرنا محمد بن ناصر نا ابو غالب عمر بن الحسين الباقلاني نا أبو العلاء الواسطي نا محمد بن الحسين الازدي ثنى ابراهيم بن رحمون ثنا اسحق بن ابراهيم البغدادي . قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضل بن عياض لابنه وقد سقط : يابني ان كنت صادقا لقد فضحت نفسك ، وان كنت كاذبا فقد اهلكت نفسك * اخبرنا ابو بكر بن حبيب نا ابو سعد بن ابي صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن احمد النجار ثنا المرتعش . قال : رأيت ابا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد انسان بين يديه . فقال له : يابني ان كنت صادقا فقد اظهرت كل مالك ، وان كنت كاذبا فقد اشركت بالله .

---

(١) في الثانية : المصحف

(فصل) قال المصنف رحمه الله. فان قال قائل انما يفرض الكلام في الصادقين لا في اهل الرياء. فما تقول فيمن ادركه الوجد ولم يقدر على دفعه. فالجواب : ان اول الوجد انزعاج في الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان ايوب السختياني . اذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال : ما أشد الزكام . وان اهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده ، أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه . كما اخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ثني ابي ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخي زينب عن امرأة عبد الله . قالت : جاء عبد الله ذات يوم وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير . قالت : فدخل فجلس الى جنبي فرأى في عنقي خيطا . فقال : ما هذا الخيط . قلت: خيط رقى لي فيه فأخذه وقطعه. ثم قال : ان آل عبد الله لأغنياء عن الشرك . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الرقي والتمائم والتولة شركا . قالت : فقلت له لم تقول هذا ، وقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف الى فلان اليهودي يرقيها فكان اذا رقاها سكنت . قال : انما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كفّ عنها ، انما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافي : لا شفاء الا شفاءك . شفاء لا يغادر سقماً

قال المصنف رحمه الله : التولة ــ ضرب من السحر يحبب المرأة الى زوجها * اخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا ابو محمد الخلال ثنا ابو عمر بن حياة ثنا ابو بكر بن ابي داود ثنا هارون بن زيد عن ابي الزرقاء ثنا ابي قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب بن ابي السني عن ابي عيسى أو عيسى . قال : ذهبت الى عبد الله بن عمر فقال ابو السوار يا أبا عبد الرحمن ان قوما عندنا اذا قرىء عليهم القرآن يركض

احدهم من خشية الله . قال : كذبت . قال بلى ورب هذه البنية . قال ويحك ان كنت صادقا فان الشيطان ليدخل جوف أحدهم ، والله ما هكذا كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

(فصل) فان قال قائل : فنفرض الكلام فيمن اجتهد فى دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان . فالجواب : انا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع الا أن علامة الصادق انه لا يقدر أن يدفع ولا يدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل : «فخر موسى صعقا» . * وقد اخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله ثنا ابراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن اسحق الثقفى ثنى حاتم بن الليث الجوهرى ثنا خالد بن خداش . قال: قرىء على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة . فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد مات خلق كثير من سماع الموعظة وغشي عليهم . قلنا : هذا التواجد الذى يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره انه متعمل والشيطان معين عليه

قال المصنف رحمه الله : فان قيل فهل فى حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه . قيل: نعم من جهتين. أحدهما انه لو قوى العلم امسك والثانى انه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصاً * اخبرنا عبد الله ابن على المقرى نا هبة الله بن عبد الرزاق السى واخبرنا سعيد بن احمد بن البنا نا ابو سعد محمد بن على الرستمى قالا نا ابو الحسين بن بشران نا ابو على اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان بن عيينة قال سمعت خلف بن خوشب يقول : كان خوات يرعد عند الذكر. فقال له ابراهيم : ان كنت تملكه فما أبالى ان لا اعتد بك وان كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك . وفى رواية فقد خالفت من هو خير منك

قال المصنف رحمه الله قلت : ابراهيم هو النخعى الفقيه ، وكان متمسكا

بالسنة شديدا لاتباع الأثر . وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع . وهذا خطاب ابراهيم له . فكيف بمن لايخفى حاله في التصنع

(فصل) فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا * اخبرنا محمد بن عبد الباقي نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي نا ابو عبد الرحمن السلمي . قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا علي بن الكاتب يقول : كان ابن بنان يتواجد وكان ابو سعيد الخراز يصفق له

قال المصنف رحمه الله قلت : والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية . وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال . « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » ـ فالمكاء الصفير ـ والتصدية ـ التصفيق * اخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا ابو الفضل بن حيرون نا ابو علي بن شاذان نا احمد ابن كامل ثنى محمد بن سعد ثنى ابي ثني عمي عن ابيه عن جده عن ابن عباس « إلا مكاء » يعني التصفير « وتصدية » يقول التصفيق

قال المصنف رحمه الله قلت : وفيه ايضاً تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار الى افعال الكفار والنسوة

(فصل) فاذا قوي طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لايوب : « اركض برجلك »

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا احتجاج بارد لانه لو كان أمر بضرب الرجل فرحا كان لهم فيه شبهة وانما أمر بضرب الرجل لينبع الماء * قال ابن عقيل اين الدلالة في مبتلي أمر عند كشف البلاء بان يضرب برجله الارض لينبع الماء اعجازاً من الرقص . ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد انحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الاسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى « اضرب بعصاك الحجر » دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع . واحتج بعض ناصريهم بان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال لعلي: أنت مني وأنا منك ـ فحجل وقال لجعفر ـ اشبهت خلقي وخلقي ـ فحجل وقال لزيد: أنت اخونا ومولانا ـ فحجل. ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليهم. فالجواب: أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فأين هو والرقص. وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب. واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمي على جواز الرقص بما أخبرنا به ابو نصر محمد بن منصور الهمداني نا اسماعيل ابن احمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح احمد بن عبدالملك وابو سعيد محمد بن عبد العزيز وابو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا ثنا ابو عبد الرحمن السلمي ثنا ابو العباس احمد بن سعيد المعداني ثنا محمد بن سعيد المروزي ثنا عباس الرقيقي ثنا عبد الله ابن عمر الوراق ثنا الحسن بن علي بن منصور ثنا ابو عتاب المصري عن ابراهيم ابن محمد الشافعي، أن سعيد بن المسيب: مر في بعض ازقة مكة فسمع الاخضر الحدي يتغني في دار العاص بن وائل بهذا:

تضوع سكا بطن نعمان ان مشت به زينب في نسوة عطرات

فلما رأت ركب النميري أعرضت وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الارض زمانا وقال هذا مما يلذ سماعه. وكانوا يروون الشعر لسعيد بن المسيب

قال المصنف قلت: هذا اسناده مقطوع مظلم لا يصح عن ابن المسيب، ولاهذا شعره، كان ابن المسيب اوقر من هذا. وهذه الابيات مشهورة لمحمد ابن عبد الله بن نمير النميري الشاعر ولم يكن نمريا وانما نسب الى اسم جده وهو ثقفي وزينب التي يشبب بها هي بنت يوسف أخت الحجاج. وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان. فقال. كانت احمرة عجافا حملت عليها قطرانا من الطائف. فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه

قال المصنف رحمه الله: ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الارض فليس في ذلك حجة على جواز الرقص. فاما الانسان قد يضرب الارض برجله اويدقها بيده لشيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصا. فما أقبح هذا التعلق

وأين ضرب الارض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذى يخرجون به عن سمت العقلاء . ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى الى المعقول أى معنى فى الرقص الا اللعب الذى يليق بالاطفال ، وما الذى فيه من تحريك القلوب الى الآخرة . هذه والله مكابرة بارده . ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى انه قال : الرقص حماقة بين الكتفين لاتزول الا بالتعب . وقال أبو الوفاء ابن عقيل : قد نص القرآن على النهي عن الرقص . فقال عزوجل : « ولا تمش فى الارض مرحا » . وذم المختال فقال تعالى « انه لايحب كل مختال فخور » . والرقص أشد المرح والبطر اولسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الاطراب والسكر . فمابالنا لانقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فى الاطراب . وهل شىء يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والادب اقبح من ذى لحية يرقص فكيف اذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الالحان والقضبان خصوصا اذاكانت أصوات نسوان ومردان . وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى احدى الدارين صائر ان يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى مابان لهم سن فى تبسم فضلا عن ضحك مع ادمان مخالطتى لهم . كالشيخ أبى القاسم بن زيدان ، وعبد الملك بن بشران ، وأبى طاهر بن العلاف ، والجنيد ، والدينورى

« فصل » فاذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه . ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب ان يقعد فاذا قام قام الباقون تبعا له . فاذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رؤسهم موافقة له . ولايخفي على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه اسقاط مروءة وترك أدب . وانما يقع فى المناسك تعبدا لله وذلاله

« فصل » فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرمي بها صحاحا ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء

في غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الالواح فكسرها ولم يدر ما صنع : والجواب . أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمي كاسر والذى ذكر في القرآن القاؤها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت . ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه . قلنا : كان في غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره ويحذرون من بئر ان كانت عندهم . ثم كيف يقاس أحوال الانبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشي في الاسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج الى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلي الجمعة فسئلت عن صلاته . فقلت . ان كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وان كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلدا لا يعمل شيئاً بل يدار له بزنبيل في كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه . فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين . ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطي على العقول من سماع مايطرب منهي عنه كالتعرض لكل ما غالبه الاذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم . فقال: خطأ وحرام قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال وعن شق الجيوب. فقال له قائل: فانهم لا يعقلون ما يفعلون . قال : ان حضروا هذه الامكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لانهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التي تفضي الى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فاذا سكروا وجرى منهم افساد الاموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وان كذبوا فنبيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب . واحتج لهم ابن طاهر في تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضي الله عنها. قالت: نصبت حجلة لي

فيها رقم فمدها النبي صلى الله عليه وسلم فشقها .

قال المصنف رحمه الله : فانظر الى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال . على مد ستر ليحط فانشق لا عن قصد . أو كان عن قصد لاجل الصور التي كانت فيه . وهذا من التشديد فى حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور . فان ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لانك لو كنت مع الحق لحفظك فان الحق لا يفسد * وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن على بن حبيش ثنا عبد الله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان . قال : سمعت أبا عمران الجونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوما فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه . أيشرح لى عن قلبه

(فصل) وقد تكلم مشايخ الصوفية فى الخرق المرمية . فقال محمد بن طاهر : الدليل على أن الخرقة اذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابى النمار فحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجاء رجل من الانصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام . قال : والدليل على أن الجماعة اذا قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم . حديث ابى موسى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغنيمة وسلب فأسهم لنا

قال المصنف رحمه الله : لقد تلاعب هذا الرجل بالشريعة واستخرج بسوء فهمه مايظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية . فانا ماعرفنا هذا فى أوائلهم وبيان فساد استخراجه ان هذا الذى خرق الثوب ورمى به ان كان حاضرا فما جاز له تخريقه وان كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعا لا هبة ولا تمليكا . وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشيء الذى يقع من الانسان ولا يدرى به فلا

يجوز لاحد أن يتملكه وان كان رماه في حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغني لم يتملكه لان التملك لا يكون الا بعقد شرعي والرمي ليس بعقد. ثم نقدر أنه ملك للمغني فما وجه تصرف الباقين فيه. ثم اذا تصرفوا فيه خرقوه خرقاً وذلك لا يجوز لوجهين: أحدهما أنه تصرف فيما لا يملكونه. والثاني انه اضاعة للمال. ثم ما وجه اسهام من لم يحضر فأما حديث ابي موسى فقال العلماء منهم الخطابي يحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اجازه عن رضى ممن شهد الوقعة أو من الخمس الذي هو حقه. وعلى مذهب الصوفيه تعطى هذه الخرقة لمن جاء. وهذا مذهب خارج عن اجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بآرائهم الفاسدة الا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. قال ابن طاهر: أجمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها ان ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ. واحتجوا بقول عمر رضي الله عنه: الغنيمة لمن شهد الوقعة وخالفهم شيخنا أبو اسماعيل الانصاري فجعل الخرقة على ضربين ما كان مجروحا قسم على الجميع وما كان سليما دفع الى القوال. واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل قالوا سلمة بن الاكوع. قال: له سلبه أجمع. فالقتل انما وجد من جهة القوال فالسلب له

قال المصنف رحمه الله: انظروا اخواني عصمنا الله واياكم من تلبيس ابليس الى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة واجماع مشايخهم الذي لا يساوي اجماعهم بعرة فان مشايخ الفقهاء أجمعوا: على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقا أو سليما ولا يجوز لغيره التصرف فيه. ثم ان سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوه ما رمى به ثم ينبغي أن يكون الامر على عكس ما قاله الانصاري لان المجروح من الثياب كان بسبب الوجد فينبغي أن يكون المجروح للمغني دون الصحيح وكل أقوالهم في هذا محال وهذيان. وقد حكى لي أبو عبد الله التكريتي الصوفي عن ابي الفتوح الاسفرايني وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر

فى جمع كثير فى رباط وهناك المخاد والقضبان ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس. قال: التكريتى انه رقص يوما فى خف له ثم ذكر أن الرقص فى الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفا كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقتسموه خرقا قال ابن طاهر: والدليل على أن الذى يطرح الخرقة لايجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لاتعودن فى صدقتك

(قال المصنف) انظر الى بعد هذا الرجل عن فهم معانى الاحاديث فان الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج الى أن يشتريها

(فصل) وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقا وتفريقها فقد بينا انه ان كان صاحب الثوب رماه الى المغنى لم يملكه بنفس الرمى حتى يملكه إياه فاذا ملكه اياه فما وجه تصرف الغير فيه. ولقد شهدت بعض فقرائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق ينتفع بها وليس هذا بتفريط. فقلت: وهل التفريط الا هذا ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقة فى بلدنا فأصاب رجل منهم خريقة فعملها كنفا فباعه بخمسة دنانير. فقلت: له ان الشرع لايجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر. واعجب من هذين الرجلين ابو حامد الطوسي فانه قال يباح لهم تمزيق الثياب اذا خرقت قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعاً ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعى فنظر الى انتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة: فان المطاولة ينتفع بها أيضا ثم لو مزق الثوب قرامل لا نتفع بها ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف غير أن الشرع يتلمح الفوائد العامة ويسمى مانقص منها للانتفاع إتلافا ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لانه يذهب منه قيمة بالاضافة الى المكسور وليس العجب من تلبيس ابليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبى حنيفة والشافعى ومالك واحمد رضوان الله عليهم اجمعين

(فصل) ولقد أغربوا فيما ابتدعوا حتى أقاموا لهم الاعذار من اهل هواهم مال ولقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال: باب السنة فى أخذ شىء من المستغفر، واحتج بحديث كعب بن مالك فى توبته يجزئك الثلث ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه اكثر منها واستدل بحديث معاوية بن حيدة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى الزكاة « من منعها فأنا آخذوها وشطر ماله »

قال المصنف رحمه الله قلت: فانظر الى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية مايلزم بعضهم بما لايلزمه غرامة وتسمية ذلك واجبا وليس لنا غرامة ولا وجوب الا بالشرع ومتى اعتقد الانسان ما ليس بواجب واجباً كفر. ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافى الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه فى الاحرام ما كان له وجه. وأما حديث كعب ابن مالك فانه قال: ان من توبتى ان انخلع من مالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجزئك الثلث » لا على سبيل الالزام، وانما تبرع بذلك فأخذه منه واين الزام الشرع تارك الزكاة مازيد عليها عقوبة من الزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فاذا امتنع ضاعفوها وليس اليهما الالزام انما ينفرد بالالزام الشرع وحده. وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج الخروج عليهم حق

﴿ ذكر تلبيس ابليس على كثير من الصوفية فى صحبة الأحداث ﴾

قال المصنف: اعلم ان اكثر الصوفية قد سدوا على انفسهم باب النظر الى النساء الاجانب لبعدهم من مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الاحداث لهم على وجه الارادة وقصد الزهادة فأمالهم ابليس اليهم. واعلم أن المتصوفة فى صحبة الاحداث على سبعة أقسام. القسم الاول اخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول اخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد بن سليمان نا ابو على الحسين بن محمد بن الفضل

الكرماني نا سهل بن علي الخشاب نا ابو نصر عبد الله بن علي السراج قال بلغني ان جماعة من الحلولية زعموا ان الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية. ومنهم من قال هو حال في المستحسنات. وذكر ابو عبد الله بن حامد من اصحابنا: ان طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل في الدنيا وأجازوا ان يكون في صفة الآدمي ولم يأبوا كونه حالا في الصورة الحسنة حتى استشهدوه في رؤيتهم الغلام الاسود * القسم الثاني: قوم يتشبهون بالصوفية في ملبسهم ويقصدون الفسق * القسم الثالث: قوم يستبيحون النظر الى المستحسن وقد صنف ابو عبد الرحمن السلمي كتابا سماه سنن الصوفية فقال في آخر الكتاب باب في جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر الى الوجه الحسن وذكر فيه ماروى عن النبي عليه السلام انه قال: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وانه قال ثلاثة تجلو البصر النظر الى الخضرة والنظر الى الماء والنظر الى الوجه الحسن

قال المصنف رحمه الله * وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الحديث الاول فاخبرنا به عبد الاول بن عيسى نا عبد الرحمن ابن محمد بن المظفر نا عبد الله بن احمد بن حمويه نا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجبر عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه. قال يحيى بن معين محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلي لا يثبت عن النبي عليه السلام في هذا شيء. وأما الحديث الآخر فانبأنا ابو منصور بن خيرون نا احمد بن علي بن ثابت نا احمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي نا ابو بكر محمد بن احمد بن هرون نا احمد بن عمر بن عبيد الريحاني قال سمعت أبا البختري وهب بن وهب يقول: كنت ادخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر اليه فقال أراك تدمن النظر الى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه اليك. قلت اعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في. وأما ادماني النظر اليه فان جعفرا الصادق ثنا عن ابيه عن

جده علي بن الحسين عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يزدن في قوة النظر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن

قال المصنف رحمه الله * هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء في ابي البختري انه لكذاب وضاع. واحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين. ثم قد كان ينبغي لابي عبد الرحمن السلمي اذ ذكر النظر الى المستحسن أن يعبره بالنظر الى وجه الزوجة أو المملوكة فاما اطلاقه فخبثه سواء ظن. وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسي قد صنف كتابا في جواز النظر الى المرد

قال المصنف رحمه الله * قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر الى المرد حرم عليه أن ينظر اليه ومتى ادعى الانسان انه لا تثور شهوته عند النظر الى الامرد المستحسن فهو كاذب وانما أبيح على الاطلاق لئلا يقع الحرج في كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الالحاح في النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى. قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح النظر الى غلام امرد فاتهموه * القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وانما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فان الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن ابناء جنسه في الطبع ادعى المحال وقد كشفنا هذا في أول كلامنا في السماع * اخبرتنا شهدة بنت احمد الابري قالت باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفي قال قال ابو حمزة الصوفي حدثني عبد الله بن الزبير الحنفي قال كنت جالسا مع ابي النضر الغنوي وكان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقفتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت عليّ اروى من النظر اليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضي فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدي المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر اليه ويصوبه ثم ذهب ليمضي فقال سألتك بالواحد الاحد الجبار الصمد الذي لم يلد ولم يولد الا وقفت ساعة فنظر اليه طويلا ثم ذهب ليمضي فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير الا وقفت فوقف فاقبل

ينظر اليه ثم اطرق الى الارض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكي فقال قد ذكرني هذا بنظري اليه وجهاً جل عن التشبيه . وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بجاهدني جميع أعدائه وموالاتي لأوليائه حتى اصير الى ما أردته من نظري الى وجهه الكريم وبهائه العظيم. ولوددت انه قد أراني وجهه وحبسني في النار مادامت السموات والارض ثم غشي عليه * وحدثنا محمد بن عبد الله الفزاري قال سمعت خير النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس الينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربا ينظر اليه نظراً انكرته . فقلت له: بعد أن قام انك محرم في شهر حرام في بلد حرام في مشعر حرام وقد رأيتك تنظر الى هذا الغلام نظراً لا ينظره الا المفتونون . فقال لي تقول هذا : ياشهواني القلب والطرف ألم تعلم انه قد منعني من الوقوع في شرك ابليس ثلاث فقلت وما هي قال سر الايمان وعفة الاسلام واعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع علي وأنا جاثم علي منكر نهاني عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا

قال المصنف رحمه الله * قلت انظروا الى جهل الاحمق الاول ورمزه الى التشبيه وان تلفظ بالتنزيه والى حماقة هذا الثاني الذي ظن أن المعصية هي الفاحشة فقط وماعلم أن نفس النظر بشهوة يحرم . ومحى عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تكذبها شهوة النظر . وقد حدثني بعض العلماء أن صبياً امرد حكى له قال قال لي فلان الصوفي وهو يحبني : يابني لله فيك اقبال والتفات . حيث جعل حاجتي اليك * وحكي ان جماعة من الصوفية دخلوا على احمد الغزالي وعنده امرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر الى الورد تارة . والي الامرد تارة . فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا . فقال : أي والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد * وحكى ابو الحسين بن يوسف انه كتب اليه في رقعة انك تحب غلامك التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة

قال المصنف رحمه الله قلت : اني لا أعجب من فعل هذا الرجل والقائه جلباب

الحياء من وجهه. وانما العجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس * واخبرنا ابو القاسم الحريري أنبأنا ابو الطيب الطبري قال: بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع انها تضيف اليه النظر الى وجه الأمرد وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم انها تقصد به الازدياد في الايمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى « وفي انفسكم أفلا تبصرون » وقال « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » وقال: « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض » فعدلوا عما امرهم الله به من الاعتبار الى ما نهاهم عنه. وانما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الالوان الطيبة والأكل الشهية فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المردان ولو انهم تطاووا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر * قال ابو الطيب وقد اخبر بعضهم في شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا — على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغاني — فاسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم الا نشاوى — سرورا والسرور هناك صاحي
اذا لبى أخو اللذات فيه — منادي اللهو حي على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئا — ارقناها لألحاظ ملاح

قال فاذا كان السماع تأثيره في قلوبهم ماذكره هذا القائل فكيف يجدي السماع نفعاً أو يفيد فائدة * قال ابن عقيل قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشئ . فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الاشخاص . وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى . قال الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم » . وقال « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت »

فلم يحل النظر الا على صور لا ميل للنفس اليها ولا حظ فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة . ولا تمتزج بها لذة فاما صور الشهوات فانه تعبر عن العبرة بالشهوة وكل نظرة ليس بعبرة لا ينبغي أن ينظر اليها لانها قد تكون سببا للفتنة. ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا اماماً ولا مؤذناً. كل ذلك لانها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه . وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه . وانما هذه خدع الشيطان للمدعين القسم الخامس قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر اليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات . وقد كان قدماؤهم على غير هذا . وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما اخبرنا احمد بن علي بن ثابت قال انشدنا ابو علي الروذباري

انزه في روض المحاسن مقلتي   وامنع نفسي أن تنال محرما

واحمل من ثقل الهوى ما لو انه   على الجبل الصلد الاصم تهدما

قال المصنف رحمه الله وسيأتي حديث يوسف بن الحسين . وقوله عاهدت ربي أن لا اصحب حدثاً مائة مرة ففسخها على قوام القدود وغنج العيون أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبي المختار الضبي قال حدثني أبي قال قلت لابي الكميت الاندلسي وكان جوالا في ارض الله حدثني بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلا منهم يقال له مهرجان وكان مجوسياً فاسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلا لا يفارقه وكان اذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام الى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما قدر له ثم يعود فينام الى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فاذا اسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم انك تعلم أن الليل قد مضى علي سليما لم اقترف فيه فاحشة ولا كتبت علي الحفظة فيه معصية وان الذي اضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالارض لتدكدكت ثم يقول يا ليل اشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام

والتعرض للآثام ثم يقول سيدي أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الاحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك في كل ليلة واسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت له سمعتك تقول اذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتني قلت نعم، قال فوالله يا أخي ان لا دارى من قلبي ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقاً بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك الى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله (١) وقال ابو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفي قال ابو حمزة الصوفي رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاماً مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلداً وعظماً من الضنا والكمد فقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن انك لا تسلو بعده أبدا فقال كيف اسلو عن رجل أجل الله عز وجل أن يصيبه معي طرفة عين أبدا وصانني عن نجاسة الفسوق في خلول صحبتي له وخلواتي معه في الليل والنهار

قال المصنف رحمه الله * هؤلاء قوم رآهم ابليس لاينجذبون معه الى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس في ضدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغي أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذى ينبغي أن يخلو فيه القلب بما ينفع به في الآخرة بمجاهدة الطبع في كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فان الله عز وجل أمر بغض البصر لانه طريق الى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء الا كمثل من أقبل الى سباع في غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحة ان لم يهلك

(فصل) وفي هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه الى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد اخبرتنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف

(١) هكذا الاصل ولعل الجواب محذوف

الباقلانى قال قال ابو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية وقد رأيته يماشى غلاما وضيئا مدة ثم فارقه . فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت أراه معك بعد ان كنت له مواصلا واليه مائلا . قال والله لقد فارقته عن غير قلا ولا ملل : قلت ولم فعلت ذلك . قال : رأيت قلبي يدعونى الى أمر اذا خلوت به وقرب منى لو اتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيها لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن

(فصل) ومنهم من تاب وأطال البكاء عن اطلاق نظره . اخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن عبيد الله . قال سمعت أخى أبا عبد الله محمد بن محمد يقول : سمعت خير النساج يقول . كنت مع أمية بن الصامت الصوفى إذ نظر الى غلام فقرأ « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » ثم قال . وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك الله فما اعظم ما امتحننى به من نظرى الى هذا الغلام ما شبهت نظري اليه الا بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال : استغفر الله من بلاء جنته عيناى على قلبي . لقد خفت أن لا أنجو من معرته ولا أتخلص من اثمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا . ثم بكى حتى كاد أن يقضى نحبه فسمعته يقول فى بكائه يا طرف لاشغلنك بالبكاء عن النظر الى البلاء

(فصل) ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة * اخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن ابى حمزة الصوفى . قال كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر الى غلام حسن فى بعض الأسواق فبلى به وكان يذهب عقله عليه صبابة وحباً وكان يقف كل يوم في طريقه حتى يراه اذا أقبل واذا انصرف فطال به البلاء واقعده عن الحركة الضنا . وكان لا يقدر أن يمشى خطوة فأتيته يوما لاعوده . فقلت : يا أبا محمد ماقصتك وما هذا الامر الذى بلغ بك ما أري فقال : أمور امتحننى الله بها فلم اصبر على البلاء فيها ولم يكن لى بها طاقة . ورب ذنب يستصغره الانسان هو عند الله اعظم من كبير . وحقيق

بعن تعرض للنظر الحرام أن تطاول به الأسقام ثم بكى قلت : مايبكيك . قال أخاف ان يطول في النار شقاى فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال . قال ابو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عباد الله الى غلام جميل فغشى عليه . فحمل الى منزله واعتاده السقم حتى اقعد من رجليه وكان لايقوم عليهما زمانا طويلا فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لايخبرنا بقصته ولا بسبب مرضه . وكان الناس يتحدثون بحديث نظره . فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائدا فهش اليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد الى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه الى منزله فأبى أن يفعل ذلك . فسألني ان اسأله ان يتحول اليه فسألته فأبى أن يفعل . فقلت للشيخ وما الذي تكره من ذلك فقال لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة . وأخاف ان يقع علي من الشيطان محنة فتجرى بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين

(فصل) وفيهم من همت نفسه الى الفاحشة فقتل نفسه * حدثني ابو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني قال : كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلى بحدث فلم يملك نفسه ان دعته الى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما اخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه الى الماء وتلى قوله تعالى « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم » فغرق في البحر

قال المصنف رحمه الله * انظر الى ابليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد والى ادمان النظر اليه الى أن مكن الفاحشة من قلبه الى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعظامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه . ولعله همّ بالفاحشة ولم يعزم . والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام : عفى لأمتي عما حدثت به نفوسها: ثم انه ندم على همته والندم توبة فأراه ابليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو اسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى

« فاقتلو انفسكم » ونحن نهينا عنه بقوله تعالى « لا تقتلوا انفسكم » فقد أتى بكبيرة عظيمة . وفى الصحيحين عن النبي عليه السلام انه قال : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالداً فيها أبداً

(فصل) وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه . بلغنى عن بعض الصوفية انه كان فى رباط عندنا ببغداد ومعه صبى فى البيت الذى هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفى الى الصبى ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكى فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه الى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكى فجلس الصوفى يبكى ويقول له بالله عليك الاما أفديتني به . فقال الآن قد عفوت عنك . فقام الصوفي الى قبر الصبي فجعل يبكى عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدى له الثواب

(فصل) ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة * والحديث باسناد عن ادريس بن ادريس قال . حضرت بمصر قوماً من الصوفية ولهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر مايصنع فقال يا هذا قل لا اله الا الله . فقال لا اله الا الله . فقال أقبل الفم الذى قال لا إله الا الله * القسم السادس . قوم لم يقصدوا صحبة المردان وانما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم على طريق الارادة فيلبس ابليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم اليه لا عن قصد فيثير فى القلب الفتنة الى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه ؛ وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم الى اقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا

قال المصنف رحمه الله * وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته * القسم السابع . قوم علموا أن صحبة المردان والنظر اليهم لا يجوز غير انهم لم يصبروا عن ذلك * والحديث باسناد عن الرازى يقول قال يوسف بن الحسين : كل ما رأيتمونى افعله فافعلوه الا صحبة الاحداث فانها أفتن الفتن . ولقد عاهدت ربي اكثر من مائة مرة

أن لا اصحب حدثا فنسخها على حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألني الله معهم عن معصية وانشد صريع الغواني في معنى ذلك شعرا

ان ورد الخدود والحدق النجل وما في الثغور من اقحوان
واعوجاج الاصداغ في ظاهر الخد وما في الصدور من رمان
تركتني بين الغواني صريعا فلهذا أدعى صريع الغواني

قال المصنف رحمه الله قلت هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره الله عليه واخبر انه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف في حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله ان المعصية هي الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم ان صحبتهم والنظر اليهم معصية . فانظر الى الجهل كيف يصنع بأربابه * والحديث باسناد عن محمد بن عمر انه قال حكى لي عن أبي مسلم الخشوعي انه نظر الى غلام جميل فأطال ثم قال سبحان الله ما اهجم طرفي على مكروه نفسه وادمنه على سخط سيده واغراه بما قد نهى عنه والهجه بالامر الذى قد حذر عنه لقد نظرت الى هذا نظرا لا احسب الا انه سيفضحني عند جميع من عرفني في عرصات القيامة ولقد تركني نظرى هذا وأنا أستحيى من الله تعالى وان غفر لى ثم صعق وباسناد عن أبي بكر محمد بن عبد يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول رأيت غلاما جميلا ببغداد فنظرت اليه ثم أردت ان أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة وتمشون في الطرقات فقال احسنت الحشر بالعلم

(فصل) وكل من فاته العلم تخبط فان حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبيطا ومن استعمل أدب الشرع في قوله عز وجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » سلم في البداية مما صعب أمره في النهاية وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك * والحديث باسناده عن انس رضى الله عنه : قال . : قال . رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا ابناء الملوك فان النفوس تشتاق اليهم ما لا تشتاق الى الجوارى العواتق * والحديث

باسناده عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لاتملئوا أعينكم من أولادالملوك فان لهم فتنةأشد من فتنة العذارى * والحديث باسناد عن الشعبي : قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فاجلسه النبي عليه السلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة داود عليه السلام النظر * وعن أبى هريرة : قال نهى رسول الله عليه السلام أن يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد * وقال عمر بن الخطاب ماأنى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد * وباسناد عن الحسن بن ذكوان انه قال لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صورا كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى * وباسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى : قال كان يقال لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد * وباسناده عن عبد العزيز بن أبى السايب عن أبيه : قال . لانا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء * وعن أبى على الروزبارى : قال . سمعت جنيدا يقول جاء رجل الى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه . فقال له من هذا : قال . ابني . فقال أحمد لا تجيء به معك مرة اخرى فلما قام : قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ وفى رواية الخطيب فقيل لهأيد الله الشيخ انه رجل مستور وابنه أفضل منه . فقال أحمد الذى قصدنا اليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هذا رأينا أشياخنا وبه خبرونا عن أسلافهم * وباسناد عن أبى بكر المروزى : قال . جاء حسن البزاز الى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف : قال . له أبو عبد الله يا أبا على لا تمش مع هذا الغلام فى طريق . فقال له انه ابن اختى : قال وان كان لا يهلك الناس فيك * وباسناد عن شجاع بن مخلد انه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الاحداث * وباسناد عن فتح الموصلى انه : قال . صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الابدال كلهم أوصونى عند فراقى لهم اتقى معاشرة الاحداث * وباسناد عن الجلي انه يقول نظر سلام

الاسود الى رجل ينظر الى حدث : فقال . له يا هذا ابق على جاهك عند الله فانك لاتزال ذا جاه ما دمت له معظما * وباسنادعن أبي منصور عبد القادر طاهر . يقول من صحب الاحداث وقع فى الاحداث * وعن أبي عبد الرحمن السلمي : قال قال مظفر القرميسيني من صحب الاحداث على شرط السلامة والنصيحة أداه ذلك الى البلاء . فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة .

(فصل) وقد كان السلف يبالغون فى الاعراض عن المرد . وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث باسناد عن عطاء بن مسلم قال كان سفيان لايدع أمرداً يجالسه * وروى ابراهيم بن هانئ عن يحيى بن معين قال : ماطمع امرد بصحبتي . ولا احمد بن حنبل قال فى طريق * وباسناد عن ابى يعقوب . قال كنا مع ابى نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية مارأينا أحسن منها فقالت : ياشيخ أين مكان باب حرب . فقال لها هذا الباب الذى يقال له باب حرب . ثم جاء بعدها غلام مارأينا احسن منه . فسأله فقال . ياشيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه . فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال أيش تريد فقال باب حرب . فقلنا له هاهو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه . فقال : نعم يروى عن سفيان الثورى انه قال : مع الجاريه شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسى من شيطانيه * وباسناد عن عبد الله بن المبارك يقول دخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه . فانى أرى مع كل امرأة شيطاناً . ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا * وباسناد عن محمد بن احمد بن أبي القسم . قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه مارفع رأسه الى السماء منذ اربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه . فقال له : قم من حذاى فاجلسه من خلفه * وباسناد عن أبي أمامة . قال وكنا عند شيخ يقرى فبقي عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبي وقال اصبر

حتى يفرغ هـذا الغلام . وكره أن يخلو مع هذا الغلام * وباسناد عن أبي الروزباري قال قال لي ابو العباس احمد المؤدب يا أبا علي من أين اخذ صوفية عصرنا هـذا الانس بالاحداث فقلت له ياسيدي انت بهم أعرف . وقد تصحبهم السلامة في كثير من الامور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيمانا منهم اذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وانما ذلك على حسب الأوقات التي تغلب الاحوال على أهلها فتأخذ عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط

(فصل) وصحبة الاحداث أقوى حبائل ابليس التي يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازي يقول قال يوسف بن الحسين نظرت الى آفات الخلق فعرفت من أين اتوا . ورأيت آفة الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضـداد وارفاق النسوان * وباسناد عن ابن الفرج الرستمي الصوفي يقول رأيت ابليس في النوم فقلت له ـ كيف رأيتنا اعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا طريق فقال كيف رأيت ما اشتملت به قلوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الاحداث* وباسناد عن ابن سعيد الخراز يقول رأيت ابليس في النوم يمر عني ناحية فقلت تعال فقال ايش أعمل بكم انتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس قلت ماهو قال الدنيا. فلما ولى التفت اليّ فقال غير أن فيكم لطيفة قلت وماهي. قال صحبة الاحداث. قال ابو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية

(فصل) في عقوبة النظر الى المردان عن ابي عبد الله بن الجلاء قال كنت انظر الى غلام نصراني حسن الوجه فمر بي أبو عبد الله البلخي . فقال ايش وقوفك. فقلت ياعم اما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار . فضرب بيده بين كتفي. وقال لتجدن غبها ولو بعد حين. قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن انسيت القرآن * وباسنادعن ابي الاديان وقال كنت مع استاذي وأبي بكر الدقاق فمر حدث فنظرت اليه فرآني أستاذي وأنا انظر اليه فقال يابني لتجدنه

عنه ولو بعد حين. فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله* وعن أبى بكر الكتانى قال رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت مافعل الله بك قال عرض على سيئاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم. ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت ان أقره فقلت انى أستحى أن أقر فقال غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مر بى غلام حسن الوجه فنظرت اليه* وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبى عبدالله الزراد انه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا الا واحد أن اقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى. فقيل له ما الذنب فقال نظرت الى شخص جميل* وقد بلغنا عن ابى يعقوب الطبرى انه قال كان معى شاب حسن الوجه يخدمنى فجاءنى انسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات الى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة فى المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنهه وأشار الى البغدادى عن النظر الى الاحداث. فوعزتى انى لا اشغل بالاحداث الا من باعدته عن قربى. قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا للبغدادى فصاح صيحة ومات فغسلناه ودفناه. واشتغل عليه قلبى فرأيته بعد شهر فى النوم فقلت له مافعل الله بك قال وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفى عنى قلت انما مددت النفس يسيرا فى هذا الباب لانه مما تعم به البلوى عند الاكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر فى كتابنا المسمى بذم الهوى. ففيه غاية المراد من جميع ذلك

(ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى ادعاء التوكل وقطع الاسباب وترك الاحتراز فى الاموال)

اخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن احمد بن ابى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لو توكلنا على الله تعالى مابنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص * وباسناد عن ذى النون المصرى

انه قال سافرت سنين وما صح لى التوكل الا وقتا واحدا ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب : فقالت لى نفسى ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسئلة فى التوكل فاخرج درهما كان عنده ثم أجابنى . فاعطى التوكل حقه ثم قال استحييت أن أجيبك وعندى شيء وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال جاء رجل الى عبد الله بن الجلاء فسأله عن مسئلة في التوكل وعنده جماعته فلم يجبه . ودخل البيت فاخرج اليهم صرة فيها أربعة دوانق فقال اشتروا بهذه شيئا . ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له فى ذلك . فقال استحييت من الله تعالى أن اتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانق * وقال سهل بن عبد الله من طعن فى الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الايمان

قال المصنف قلت قلة العلم أوجبت هذا التخليط . ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا انه ليس بينه وبين الاسباب تضاد . وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن فى التعلق بالاسباب ولا ادخار المال . فقد قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » أى قواما لابدانكم وقال صلى الله عليه وسلم . نعم المال الصالح مع الرجل الصالح . وقال صلى الله عليه وسلم انك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس . واعلم أن الذى أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر فقال « خذوا حذركم » وقال « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقال « أن أسر بعبادى ليلا » وقد ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين وشاور طبيبين واختفى فى الغار . وقال من يحرسنى الليلة . وأمر بغلق الباب * وفي الصحيحين من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أغلق بابك . وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافي الاحتراز * أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندى نا عبد الله بن يحيى الموصلى ونصر بن احمد قالا اخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا الحسين بن صفوان ثنا

أبو بكر القرشي ثني أبو جعفر الصيرفي ثنا يحيى بن سعيد ثنا المغيرة بن ابي قرة السدوسي قال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال اطلقتها وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل * اخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابراهيم بن محمد بن جعفر نا ابو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال اخبرني حرب بن اسماعيل الكرماني ثني عبد الرحمن بن محمد بن سلام ثنا الحسين بن زياد المروزي قال سمعت سفيان بن عيينة يقول تفسير التوكل ان يرضى بما يفعل به . وقال ابن عقيل يظن اقوام ان الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل . وان التوكل هو اهمال العواقب واطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز واستفراغ الوسع في التحفظ . فقال تعالى (وشاورهم في الأمر) (فاذا عزمت فتوكل على الله) فلو كان التعلق بالاحتياط قادحا في التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له (وشاورهم في الأمر) وهل المشاورة الا استفادة الرأي الذي منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع في الاحتياط بأن يكله الى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا في نفس الصلاة وهي أخص العبادات . فقال (فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم) وبين علة ذلك بقوله تعالى (ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل علته ترك ما علم لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة * قال عليه السلام «أعقلها وتوكل» ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق عليه السلام في خير الاحوال وهي حالة الصلاة . وقد ذهب الشافعي رحمه الله الى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله . (وليأخذوا اسلحتهم) فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فان موسى عليه السلام لما قيل له (ان الملأ يأتمرون بك

ليقتلوك) خرج . ونبينا عليه السلام خرج من مكة خوفه من المتآمرين عليه ووقاه ابو بكر رضى الله عنه بسد انقاب الغار . وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل في باب الاحتياط (لاتقصص رؤياك على اخوتك) وقال (لاتدخلوا من باب واحد) وقال : (فامشوا في مناكبها) وهذا لان الحركة للذب عن النفس استعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد اظهار نعمه المبدأة يريد اظهار ودائعه فلا وجه لتعطيل ما أودع اعتماداً على ما جاد به . لكن يجب استعمال ماعندك ثم اطلب ماعنده . وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والمنسر والناب وخلق للآدمي عقلا يقوده الى حمل الأسلحة ويهديه الى التحصين بالابنية والدروع ومن عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الاغذية والادوية ثم يموت جوعاً أو مرضاً. ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء . انما ينبغي أن تكون اعضاء المتوكل في الكسب وقلبه ساكن مفوض الى الحق منع أو اعطى. لانه لايرى الا أن الحق سبحانه لايتصرف الا بحكمة ومصلحة. فمنعه عطاء في المعنى . وكم زين العجزة عجزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا في غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزماً. ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع . مثل وضع الطعام سبباً للشبع والماء للري والدواء للمرض . فاذا ترك الانسان ذلك أهوانا بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سبباً فاذا لم تتناوله كان أهواناً لعطائنا فربما لاتتعافى لاهوانك بالسبب

قال المصنف رحمه الله * فان قال قائل كيف احترز مع القدر قيل له وكيف لاتحترز مع الاوامر من المقدر فالذي قدر هو الذي أمر . وقد قال تعالى (وخذوا حذركم) * انبأنا اسماعيل بن احمد نا عاصم بن الحسن نا بن بشران ثنا بن صفوان نا ابو بكر القرشي ثنى شريح بن يونس نا على بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن أبي عثمان قال : كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس

جبل فأتاه ابليس فقال انت الذى تزعم ان كل شئ بقضاء وقدر . قال نعم قال فألق نفسك من الجبل وقل قدر علىّ فقال . يالعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى

(فصل) وفي معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم فى ترك الاسباب انه قد لبس على خلق كثير منهم بان التوكل ينافى الكسب * اخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا ابو نعيم احمد بن عبد الله قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول : سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول . من طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان ومن طعن على الكسب فقد طعن فى السنة * اخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا ابو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سأل رجل أبا عبد الله بن سالم وأنا أسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والكسب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التى هي حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال الا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيح له طلب المعاش فى الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله * انبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبى قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين قال : اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجىء منه شئ

قال المصنف رحمه الله . قلت هذا كلام قوم مافهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافى حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الانبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثا ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطا وابراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً . وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع

الدروع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين
وقال نبينا عليه السلام كنت أرعى غنما لاهل مكة بالقراريط. فلما اغناه الله
عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج الى الكسب. وقد كان ابو بكر وعثمان
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين. وكذلك محمد
ابن سيرين وميمون بن مهران بزازين. وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص
وعامر بن كريز خزازين (١) وكذلك ابو حنيفة: وكان سعد بن ابي وقاص
يبرى النبل وكان عثمان بن طلحة خياطا. وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون
ويأمرون بالكسب* اخبرنا محمد بن أبي طاهر نا ابو محمد الجوهري نا ابن حياة
نا ابو الحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن ابراهيم
نا هشام الدستوائي قال حدثنا عطاء بن السائب قال: لما استخلف ابو بكر
رضى الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر
وابو عبيدة فقالا. أين تريد. فقال السوق قالا تصنع ماذا. وقد وليت أمور
المسلمين قال: فمن أين أطعم عيالي* قال ابن سعد واخبرنا احمد بن عبد الله
ابن يونس ثنا ابو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لما
استخلف ابو بكر جعلوا له الفين. فقال زيدوني فان لي عيالا وقد شغلتموني
عن التجارة فزادوه خمسمائة

قال المصنف رحمه الله: قلت لو قال رجل للصوفية من أين اطعم عيالي
لقالوا قد اشركت. ولو سئلوا عمن يخرج الى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا
موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين. ولو كان أحدهم يغلق عليه الباب
ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين امرين أما الغالب من الناس فنهم من
يسعى الى الدنيا مستجديا ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له. واما
الجلوس في الرباط في هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لايخلو من فتوح كما لا
تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء* اخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا

(١) أي يعملون الخز وهي ثياب تنسج من صوف وابريسم

ابو الحسين بن عبد الجبار نا ابو طالب العشارى نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ثنا ابو بكر بن عبيد قال حدثت عن الهيثم ابن خارجة ثنا سهل بن هشام عن ابراهيم بن ادهم قال: كان سعيد بن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف في السؤال * أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا : نا حمد بن احمد نا ابو نعيم الحافظ قال . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : كان ابو تراب يقول لاصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل

قال المصنف رحمه الله * قلت وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الاشياء ويأمرون بالكسب * اخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا ابو الحسين بن عبد الجبار نا محمد بن على بن الفتح نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى نا ابو بكر بن عبيد القرشى نا عبيد بن الجعد نا المسعودى عن خوات التيمى قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . يا معشر الفقراء ارفعوا رؤسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين * أخبرنا ابن ناصر نا ابو الحسين بن عبد الجبار نا ابو القاسم التنوخى وابو محمد الجوهرى وابو الخير القزوينى قالوا نا ابو عمر بن حياة نا محمد بن خلف ثنا ابو جعفر اليمانى نا ابو الحسن المداينى عن محمد بن عاصم قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا رأى غلاماً فاعجبه سأل عنه هل له حرفة فان قيل لا قال سقط من عينى * أخبرنا اسماعيل بن احمد نا عمر بن عبيد الله البقال نا ابو الحسين بن بشران نا عثمان ابن احمد الدقاق نا حنبل ثنى ابو عبد الله نا معاذ بن هشام ثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في تجر الشام منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا جعفر بن احمد السراج نا عبد العزيز بن الحسن بن اسماعيل

الضراب نا أبي نا احمد بن مروان المالكي نا ابو القاسم بن الختلي: سألت احمد ابن حنبل وقلت . ماتقول في رجل جلس في بيته أو في مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي . فقال احمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . جعل الله رزقي تحت ظل رمحي . وحديث الآخر في ذكر الطير تغدو خماصا فذكر انها تغدو في طلب الرزق . قال تعالى (وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله) وقال : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم . والقدوة بهم . وقد ذكرنا فيما مضى عن احمد أن رجلا قال له . أريد الحج على التوكل فقال له فاخرج في غير القافلة . قال لا . قال على جيوب الناس توكلت * أخبرنا ابن ناصر نا ابو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الازجي نا ابراهيم بن محمد بن جعفر الناجي نا ابو بكر عبد العزيز بن جعفر نا ابو بكر احمد بن محمد الخلال نا ابو بكر المروزي قال : قلت لابي عبد الله هؤلاء المتوكلة يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل . فقال هذا قول رديء . أليس قد قال الله تعالى . (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) ثم قال اذا قال لا أعمل وجيء اليه بشيء قد عمل واكتسب لأي شيء يقبله من غيره * قال الخلال : وأخبرنا عبد الله بن احمد قال : سألت أبي عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب . فقال : ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله . ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب . هذا قول انسان أحمق . قال الخلال * وأخبرني محمد ابن علي قال ثنا صالح انه سأل أباه يعني احمد بن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغني نفسه وعياله ولا يترك العمل قال . وسئل أبي وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون * قال الخلال وأخبرنا المروزي انه قال لابي عبد الله أن ابن عيينة كان يقول هم مبتدعة . فقال ابو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل

الدنيا * وقال الخلال واخبرنا المروزى قال : سألت أبا عبد الله عن رجل جلس في بيته وقال اجلس واصبر واقعد في البيت ولا أطلع على ذلك أحدا . فقال: لوخرج فاحترف كان أحب الىّ فاذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه الى غير هذا قلت الى أى شىء يخرجه . قال يخرجه الى أن يكون يتوقع أن يرسل اليه * قال الخلال وحدثنا ابو بكر المروزى . قال: سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله احمد ابن حنبل انى في كفاية قال الزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك. وقال لرجل آخر اعمل وتصدق بالفضل على قرابتك * وقال احمد بن حنبل قد أمرتهم يعنى اولاده أن يختلفوا الى السوق وأن يتعرضوا للتجارة * قال الخلال . وأخبرنى محمد بن الحسين أن الفضل بن زياد حدثهم قال : سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول . ما أحسن الاستغناء عن الناس * وقال الخلال وأخبرنى يعقوب بن يوسف المطوعى قال . سمعت أبا بكر بن جناد . يقول : الجصاص. قال : سمعت احمد بن حنبل . يقول : أحب الدراهم الىّ درهم من تجارة واكرهها عندى الذى من صلة الاخوان

قال المصنف رحمه الله *قلت وكان ابراهيم بن أدهم يحصد وسلمان الخواص يلقط وحذيفة المرعشى يضرب اللبن * وقال ابن عقيل التسبب لا يقدح فى التوكل لان تعاطى رتبة ترقى على رتبة الانبياء نقص فى الدين. ولما قيل لموسى عليه السلام (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) خرج ولما جاع واحتاج الى عفة نفسه أجر نفسه ثمانى سنين . وقال الله تعالى (فامشوا فى مناكبها) وهذا لان الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى فاستعمل ما عندك ثم اطلب ما عنده. وقد يطلب الانسان من ربه وينسى ما له عنده من الذخائر فاذا تأخر عنه ما يطلبه يسخط . فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فاذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين . فقيل له . لو بعت عقارك . قال كيف أفرط فى عقارى واسقط جاهى عند الناس وانما يفعل هذه الحماقات العادات وانما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين . إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو

التزين باسم انه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لاجلهم واعطوهم . وهذه الرذيلة لم تدخل قط الا على دنيء النفس الرذيلة والا فالرجل كل الرجل من لا يضيع جوهره الذي أودعه الله ايثارا للكسل أو لاسم يتزين به بين الجهال فان الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهرا يتسبب به الى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه

(فصل) وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة. منها انهم قالوا لابد من ان يصل الينا رزقنا وهذا في غاية القبح فان الانسان لو ترك الطاعة وقال لا اقدر بطاعتي ان اغير ماقضى الله عليّ فان كنت من أهل الجنة فانا الى الجنة او من أهل النار فانا من أهل النار. قلنا له هذا يرد الاوامر كلها ولو صح لاحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لانه كان يقول ما فعلت الا ماقضى عليّ . ومعلوم اننا مطالبون بالامر لا بالقدر . ومنها انهم يقولون أين الحلال حتى نطلب . وهذا قول جاهل لان الحلال لا ينقطع أبدا لقوله عليه الصلاة والسلام «الحلال بين والحرام بين» ومعلوم ان الحلال ما اذن الشرع في تناوله وانما فوهم هذا احتجاج للكسل . ومنها انهم قالوا اذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به محمد بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز ابن علي نا ابن جهضم نا علي بن محمد السيرواني قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال في كل شيء حتى طلبته في صيد السمك فاخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فالقيت الشص فخرجت سمكة فطرحتها على الارض والقيت الثانية فخرجت لي سمكة فانا أطرحها ثالثة اذا من ورائي لطمة لا ادري من يد من هي ولا رأيت أحداً وسمعت قائلا يقول انت لم تصب رزقا في شيء الا ان تعمد الى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت * انبانا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ثنا أبي قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمي قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ماتقدم

قال المصنف رحمه الله قلت وهذه القصة ان صحت فان في الروايتين بعض

من يتهم فان اللاطم ابليس وهو الذي هتف به لان الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمدالى من يذكرنا فتقتله وهو الذي أباح له قتله . وكسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الانعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا مايقيم قوى الابدان لانه لا يقيمها الا اللحم فالتحرج من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر الى الجهل مايصنع والى ابليس كيف يعمل * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا عبد العزيز ابن علي الازجي ثنا علي بن عبد الله الهمداني ثنا محمد بن جعفر ثنا أحمد بن عبد الله بن عبد الملك قال سمعت شيخا يكنى ابا تراب يقول قيل لفتح الموصلي انت صياد بالشبكة ولم لا تصد شيأ الا وتطعمه لعيالك فلم لا تصد وتبيع ذلك الناس فقال أخاف ان اصطاد مطيعاً لله تعالى في جوف الماء فاطعمه عاصيا لله على وجه الارض

قال المصنف رحمه الله قلت ان صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلي فهو من التملل البارد المخالف للشرع والعقل لأن الله تعالى اباح الكسب وندب اليه . فاذا قال قائل ربما خبزت خبزا فاكله عاص كان حديثا فارغا لانه لا يجوز لنا اذاً ان نبيع الخبز لليهود والنصارى

(ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في ترك التداوي)

قال المصنف رحمه الله لا يختلف العلماء ان التداوي مباح وانما رأى بعضهم ان العزيمة تركه وقد ذكرنا كلام الناس في هذا وبينا فيما اخترناه في كتابنا لقط المنافع في الطب . والمقصود ههنا انا نقول اذا ثبت ان التداوي مباح بالاجماع مندوب اليه عند العلماء فلا يلتفت الى قول قوم قد رأوا ان التداوي خارج من التوكل لان الاجماع على أنه لا يخرج من التوكل وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تداوى وأمر بالتداوي ولم يخرج بذلك من التوكل ولا اخرج من أمره ان يتداوى من التوكل . وفي الصحيح من

حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص اذا اشتكى المحرم عينه ان يضمدها بالصبر. قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذووا الغباوة من أهل التصوف والعباد من ان التوكل لا يصح لاحد عالج علة به فى جسده بدواء اذ ذلك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع. وفي اطلاق النبي عليه الصلاة والسلام للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على ان معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم. وان ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما ان من عرض له كلب الجوع لا يخرجه فزعه الى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لان الله تعالى لم ينزل داء الا أنزل له دواء الا الموت وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل الاكل سببا لدفع الجوع. وقد كان قادرا ان يحيي خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم اذى الجوع الا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى

(ذكر تلبيس ابليس على الصوفية)

(فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة)

قال المصنف كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد الا ان عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق. وانما هى عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس ابليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل فى جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة والجماعة ومخالطة أهل العلم. وعمومهم اعتزل فى الاربطة ففاتهم السعى الى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالى فى كتاب الاحياء مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك الا بالخلوة فى مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جبته أو يتدثر بكساء أو ازار ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق

ويشاهد جلال حضرة الربوبية

قال المصنف رحمه الله قلت انظر الى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له ان الذى يسمعه نداء الحق وان الذى يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه ان يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل فى المطعم فانه يغلب عليه الماليخوليا . وقد يسلم الانسان في مثل هذه الحالة من الوساوس الا انه اذا تغشى بثوبه . وغمض عينيه تخايل هذه الاشياء . لان في الدماغ ثلاث قوى قوة يكون بها التخيل وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكر البطن الاوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فاذ أطرق الانسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ماذكر من حضرة جلال الربوبية الى غير ذلك نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة* وأخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا ابو عبد الرحمن السلمى قال سمعت ابابكر البجلى يقول سمعت اباعثمان بن الآدمى قال كان أبو عبيد التسترى اذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طينى باب البيت والق الىَّ كل ليلة من الكوة رغيفا فلما كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفا في الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتهيأ للصلاة ويبقى على طهر واحد الى آخر الشهر

قال المصنف رحمه الله هذه الحكاية عندى بعيدة من الصحة من وجهين احدها بقاء الآدمى شهرا لايحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح والثانى ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهى واجبة لايحل تركها فان صحت هذه الحكاية فما أبقى ابليس لهذا فى التلبيس بقية* قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد ابن الحسين البيهقي ثنا الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وسمعت اباالحسن البوشنجى الصوفي غير مرة يعاتب فى ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول ان كانت البركة فى الجماعة فان السلامة فى العزلة وقد جاء

(فصــل) وقد جاء النهى عن الانفراد الموجب للبعد عن العـلم والجهاد للعدو * أخبرنا ابن الحصين نا أبو على ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثنى على بن يزيد عن القاسم عن أبي امامـة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيـه شيء من ماء قال فحدث نفسه بان يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه وفيه شيء من ماء ويصيب ماحوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال لو انى أتيت نبي الله صلى الله عليه وسـلم فذكرت ذلك له فان أذن لى فعلت والالم أفعل فأتاه فقال يانبي الله انى مررت بغار فيه مايقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بان أقيم فيه واتخلى من الدنيا . قال فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « انى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولـكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغـدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحـدكم في الصف خـير من صلاته ستين سنة »

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية ﴾

« في التخشع ومطاطاة الرأس واقامة الناموس »

قال المصنف رحمه الله * اذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدباً متذللا وقد كانوا يجتهدون في ستر مايظهر من ذلك. وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل. ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فان ذلك يؤذيهم. فقد روينا عن على رضى الله عنه اذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا يسمى رياء لان قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم اذا تفسح في المباح فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والأدب وأما المذموم تـكلف التخشع والتباكي ومطاطاة الرأس ليرى الانسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كانه يستنزل الاجابة . وقد ذكرنا عن ابراهيم النخعي

انه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه الى السماء وليس هذا بفضيلة لانه لا خشوع فوق خشوع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء . وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر الى السماء لاجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى (أولم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وفي هذا رد على المتصوفين فان أحدهم يبقى سنين لا ينظر الى السماء . وقد ضم هؤلاء الى ابتداعهم الرمز الى التشبيه ولو علموا ان اطراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ماشغل ابليس الا التلاعب بالجهلة . فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لانهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره * أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر احمد بن محمد نا أبو الخير احمد بن محمد البزار ثنا البخاري ثنا اسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فاذا أريد احد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون * أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن احمد نا عبد العزيز الحسن بن اسماعيل الضراب نا أبي ثنا احمد بن مروان ثنا ابراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال : نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى شاب قد نكس رأسه فقال له ياهذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق * أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا علي بن احمد الملطي ثنا احمد ابن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثني يعقوب بن اسماعيل

قال . قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين إن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر او قال لكمه * أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا اسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم بن كليب الجرمي . قال لقي أبي عبد الرحمن بن الاسود وهو يمشي وكان اذامشي يمشي الى جنب الحائط متخشعاً هكذا . وأمال أبو بكر عنقه شيئاً فقال أبي مالك اذا مشيت مشيت الى جنب الحائط . أما والله ان كان عمر اذا مشى لشديد الوطء على الارض جهوري الصوت * أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه الى سليمان ابن أبي خيثمة عن أبيه قال . قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتياناً يقصرون في المشي ويتكلمون رويداً فقالت ماهذا قالوا نساك قالت . كان والله عمر اذا تكلم أسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع وهو الناسك حقاً

قال المصنف رحمه الله * قلت وقدكان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السختياني انه كان في ثوبه بعض الطول ليستر حاله وكان سفيان الثوري يقول لا أعتد بما ظهر من عملي وقال لصاحب له ورآه يصلي ما اجرأك تصلي والناس يرونك * قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعي ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبو عبد الله يعني السلمي ثنا بقية عن محمد بن زياد قال : مرّ أبو امامة برجل ساجد فقال يالها من سجدة لو كانت في بيتك * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهري ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الانباري ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيى بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين ابن عمار . قال رجل في مجالس الحسن بن عمارة آه قال . فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا انه لوعرفه أمر به * أخبرنا اسماعيل بن احمد المقري نا احمد ابن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا عبد الله محمد بن جعفر ثنا عبدالله بن

محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول :

ودع الذين اذا أتوك تنسكوا   واذا خلوا فهم ذئاب خفاف

أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا أبو عمر الحسن بن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطى نا الحسين بن عبد الله الابزارى قال سمعت ابراهيم بن سعيد يقول : كنت واقفاً على رأس المأمون فقال لى يا ابراهيم . قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد الى الله والله منها شئ قلت . ما هي يا أمير المؤمنين فقال بكاء ابراهيم على المنبر وخشوع عبدالرحمن بن اسحاق . وتقشف بن سماعة . وصلاة بن خيمويه بالليل وصلاة عباس الضحى وصيام ابن السندي الاثنين والخميس . وحديث أبي رجاء وقصص الحاجبي وصدقة حفصويه وكتاب الشامى لعلى بن قريش

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى ترك النكاح

قال المصنف النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء . ومذهب أبى حنيفة واحمد بن حنبل انه حينئذ أفضل من جميع النوافل لانه سبب فى وجود الولد قال عليه السلام « تناكحوا تناسلوا » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » * أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا سليمان بن داود الطيالسى نا ابراهيم ابن سعد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص قال : لقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له فى ذلك لاختصينا * قال ابن سعد وأخبرنا عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ابن مالك أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبى عليه السلام عن عمله فى السر فأخبروهم فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش . وقال بعضهم

أصوم ولا أفطر فحمد الله النبي عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ثم قال : مابال اقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا ابو عوانة عن عطاء ابن السايب عن سعيد بن عبيد قال قال ابن عباس رضي الله عنه : « ان خير هذه الامة كان اكثرها نساء » قال ابن سعد وأخبرنا احمد بن عبد الله بن قيس ثنا مندل عن أبي رجاء الجزري عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس : زوجوني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني ان لا القى الله عزبا * وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا عبد الرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبي ذر قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي الهلالي فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يا عكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وانت موسر بخير قال وانا موسر قال انت من اخوان الشياطين لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم ان سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم أبالشياطين تمرسون ما للشياطين من سلاح ابلغ في الصالحين من النساء » * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد ابن جعفر نا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبي ثنا أيوب ابن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال . والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتي يقلن ذلك » * أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا أحمد بن جعفر الختلي ثنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله أحمد ابن حنبل يقول : ليس العزوبة من أمر الاسلام في شيء النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة أمرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث

تزوج كان قد تم أمره كله. لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شيء وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق. ويعقوب عليه السلام في حزنه قد تزوج وولد له. والنبي عليه الصلاة والسلام قال حبب الي النساء: قلت فان ابراهيم بن آدم يحكى عنه انه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت ان اتم الحديث حتى صاح بي وقال وقعنا في بنيات الطريق انظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قال: لبكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه خبزا أفضل من كذا وكذا الى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج

(فصل) وقد لبس ابليس على كثير من الصوفية فمنهم من النكاح فقد ماؤهم تركوا ذلك للتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وان كانت بهم حاجة الى النكاح أوبهم نوع تشوف اليه فقد خاطروا بابدانهم وأديانهم وان لم يكن بهم حاجة اليه فاتهم الفضيلة. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام اكان عليه وزر قالوا نعم قال فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر» ثم قال «أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير» ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب. وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار أنفقته في الصدقة ودينار أنفقته على عيالك أفضلهم الدينار الذي أنفقته على عيالك» ومنهم من قال النكاح يوجب الميل الى الدنيا فروينا عن أبي سليمان الداراني انه قال اذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم . وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لان أموت من سعي على رجلي اطلب كفاف وجهي أحب الي أن أموت غازيا في سبيل الله. وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول « تناكحوا » فما ارى هذه الاوضاع الا على خلاف الشرع . فاما جماعة من متأخري الصوفية فانهم تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفي اذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا قال أبو حامد ينبغي ان لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى

قال المصنف رحمه الله : واني لاتعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعي بالزوجة ينافي أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله (وجعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) * وفي الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك » وما كان بالذي ليدله على مايقطع أنسه بالله تعالى . أترى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ينبسط الى نسائه ويسابق عائشة رضي الله عنها أكان خارجاً عن الانس بالله . هذه كلها جهالات بالعلم

(فصل) واعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم الى ثلاثة أنواع : النوع الاول المرض بحبس البول فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منيه * قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : أعرف قوماً كانوا كثيري المني فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض الماليخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم . قال : ورأيت رجلا

ترك الجماع فقد شهوة الطعام . النوع الثانى الفرار الى المتروك فان منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا ورجعوا فلامسوا النساء ولابسوا من الدنيا أضعاف مافروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ماترك فى زمن الصبر . النوع الثالث الانحراف الى صحبة الصبيان فان منهم أيسوا انفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون الى صحبة المرد .

(فصل) وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا ننكح شهوة فان أرادوا ان الاغلب فى طلب النكاح ارادة السنة جاز وان زعموا انه لاشهوة لهم فى نفس النكاح فمحال ظاهر

(فصل) وقد حمل الجهل أقواما فجبوا أنفسهم وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى وهذه غاية الحماقة لان الله تعالى شرف الذكر على الانثى بهذه الآلة وخلقها لتكون سبباً للتناسل والذى يجب نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هذا ثم قطعهم الآلة لاتزيل شهوة النكاح من النفس فاحصل لهم مقصودهم

(ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في ترك طلب الاولاد)

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبدالباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا اسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا احمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة ان أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وان أراد أن يتعبد شغله . قال المصنف رحمه الله * قلت وهذا غلط عظيم وبيانه انه لما كان مراد الله تعالى من ايجاد الدنيا اتصال دوامها الى أن ينقضى أجلها وكان الآدمي غير ممتد البقاء فيها الا الى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله فحثه على سببه فى ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى (وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تناسلوا فانى أباهي بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط » وقد

طلب الانبياء عليهم السلام الاولاد . فقال تعالى حكاية عنهم (رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) الى غير ذلك من الآيات. وتسبب الصالحون الى وجودهم ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعى واحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة الف سنة . وقد جاءت الاخبار باثابة المباضعة والانفاق على الاولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الاولاد والتزوج فقد خالف المسنون والافضل وحرم أجراً جسيماً ومن فعل ذلك فانما يطلب الراحة *أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد بن السراج نا أبو القاسم الازجى ثنا ابن جهضم ثنا الخلدى قال سمعت الجنيد يقول : الاولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام

قال المصنف رحمه الله * وهذا غلط فان تسمية المباح عقوبة لا يحسن لانه لا يباح شئ ثم يكون ما تجدد منه عقوبة ولا يندب الى شئ الا وحاصله مثوبة

(ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى الاسفار والسياحة)

قد لبس على خلق كثير منهم فأخرجهم الى السياحة لا الى مكان معروف ولا الى طلب علم واكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً ويدعى بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى انه فى ذلك على طاعة وانه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما السياحة فالخروج لا الى مكان مقصود فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعي فى الارض فى غير أرب حاجة * أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا ابراهيم بن عمر البرمكى نا ابن حياة نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى قال : سمعت أبا محمد بن قتيبة يقول . ثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبى اسحاق عن سفيان عن ابن جريج عن مسلم عن طاوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لازمام

ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الاسلام» قال ابن قتيبة الزمام في الانف والخزام حلقة من شعر يجعل في أحد جانبي المنخرين . وأراد صلى الله عليه وسلم ما كان عباد بني اسرائيل يفعلونه من خزم التراقي وزم الانوف والتبتل ترك النكاح. والسياحة مفارقة الامصار والذهاب في الارض* وروى أبو داود في سننه من حديث أبي امامة ان رجلا قال :يارسول الله ائذن لي في السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله »

قال المصنف رحمه الله * وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مظعون انه قال: ان نفسي تحدثني بان أسيح في الارض . فقال النبي صلى الله عليه وسلم «مهلا ياعثمان فان سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة »*وقد روى اسحاق بن ابراهيم بن هانئ عن احمد بن حنبل انه سئل عن الرجل ليسيح يتعبد أحب اليك أو المقيم في الامصار قال : ما السياحة من الاسلام في شئ ولا من فعل النبيين ولا الصالحين

(فصل) وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده * فاخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن علي ابن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا احمد بن سليمان النجاد ثنا يحيي بن جعفر ابن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب » * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا احمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الفلاة وحده

(فصل) وقد يمشون بالليل أيضا على الوحدة . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك * وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن ابيه عن ابن عمر

رضى الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم . لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبدا * قال عبد الله وحدثني أبي ثنا محمد بن أبي عدي ثنا محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقلوا الخروج اذا هدأت الرجل فان الله تعالى يبث في خلقه ما شاء »

قال المصنف رحمه الله وفيهم من جعل دأبه السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبي عليه الصلاة والسلام « السفر قطعة من العذاب فاذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل الى أهله * فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد * انبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا ابي قال سمعت محمد بن أبي الطيب العكي يقول سمعت أبا الحسن المصري يقول سمعت أبا حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرما في عباء اسافر كل سنة الف فرسخ تطلع الشمس علي وتغرب كلما أحللت أحرمت

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في دخول الفلاة بغير زاد ﴾

قال المصنف رحمه الله قد لبس على خلق كثير منهم فاوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم الا أنه قد شاع هذا في جهلة القوم وجا . حتى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبافعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء ففسدت الاحوال وخفيت على العوام طرق الصواب . والاخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة * أنبانا محمد بن عبد الملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينوري ثنا طاهر بن عبد الله ثنا الفضل بن الفضل الكندي ثنى أبو بكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطي ثنا محمد بن السفاح عن على بن سهل المصري قال اخبرني فتح الموصلي قال خرجت حاجا فلما توسطت البادية اذا أنا بغلام صغير فقلت ياعجبا بادية بيداء وأرض

فقراء وغلام صغير فاسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يابني انك غلام صغير لم تجر عليك الاحكام قال ياعم قد مات من كان أصغر سنا مني فقلت وسع خطاك فان الطريق بعيد حتى تلحق المنزل. فقال: ياعم عليّ المشي وعلى الله البلاغ أما قرأت قوله تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا». فقلت له: مالى لاأرى معك لازادا ولا راحلة. فقال ياعم: زادى يقيني وراحلتي رجلاى. قلت: سألتك عن الخبز والماء قال ياعم: اخبرنى لو أن أخا من اخوانك أو صديقا من أصدقائك دعاك الى منزله أ كنت تستحسن أن تحمل معك طعاما فتأكله في منزله. فقلت: أزودك. فقال: اليك عني يا بطال هو يطعمنا ويسقينا قال فتح: فما رأيت صغيرا أشد توكلا منه ولا رأيت كبيراً أشد زهداً منه

قال المصنف رحمه الله: بمثل هذه الحكاية تفسد الامور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير اذا كان الصغير قد فعل هذا فأنا أحق بفعله. وليس العجب من الصبي بل من الذى لقيه كيف لم يعرّفه ان هذا الذى يفعله منكر وان الذى استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على الحافظ نا أبو نعيم الاصفهاني قال. سمعت محمد بن الحسن بن على اليقطيني يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون فيموتون في البراري. فقال: هذا فعل رجال الحق فان ماتوا فالدية على القاتل * أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن على ابن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت احمد بن علي يقول. قال رجل لابي عبد الله بن الجلاء: ما تقول في الرجل يدخل البادية بلا زاد. قال: هذا من فعل رجال الله. قال فان مات. قال الدية على القاتل

قال المصنف رحمه الله * قلت هذه فتوى جاهل بحكم الشرع اذ لاخلاف بين فقهاء الاسلام انه لايجوز دخول البادية بغير زاد وان من فعل ذلك فات

بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار . وكذلك اذا تعرض بما غالبه العطب فان الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال : (ولا تقتلوا أنفسكم) وقد تكلمنا فيما تقدم في وجوب الاحتراز من المؤذي ولو لم يكن المسافر بغير زاد الا انه خالف أمر الله في قوله « وتزودوا » * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال . سمعت أبا احمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال خرجت من شيراز في السفرة الثالثة فتهت في البادية وحدي وأصابني من الجوع ما اسقط من اسناني ثمانية وانتثر شعري كله .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا قد حكى عن نفسه ما ظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لاحق به . اخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن علي بن ثابت نا عبد الكريم بن هوازن . قال : سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ واخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له ثنا أبو الفضل يوسف بن علي البلخي ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة الصوفي . قال : اني لا ستحي من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعي زادا تزودته

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد سبق الكلام على مثل هذا وان هؤلاء القوم ظنوا ان التوكل ترك الاسباب . ولو كان هكذا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوّد لما خرج الى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتاً . وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دارهم استخفوا ما معهم وانما خفي على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد . فقال : لا يجوز دخول المفازة بغير زاد الا بشرطين أحدهما ان يكون الانسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر عن الطعام اسبوعا ونحوه والثاني ان يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من ان يلقاه آدمي بعد اسبوع أو ينتهي الى حلة أو حشيش يزجى به وقته

قال المصنف رحمه الله قلت: أقبح ما في هذا القول انه صدر من فقيه فانه قد لا يأتي احدا وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا ينصفه وتفوته الجماعة قطعاً وقد يموت ولا يلبه أحد. ثم قد ذكرنا ما جاء في الوحدة ثم ما المخرج الى هذه المحن ان كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص بالاجتزاء بحشيش وأى فضيلة في هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس. وأين أمر الانسان أن يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف. وكأن هؤلاء القوم يجزمون على الله سبحانه على رزقهم في البادية. ومن طلب الطعام في البرية فقد طلب مالم تجريه العادة ألا ترى ان قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها أوحى الله الى موسى (ان اهبطوا مصرا) وذلك لأن الذى طلبوه في الأمصار فهؤلاء القوم على غاية الخطأ في مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس

* أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الازجي نا ابراهيم بن محمد بن جعفر الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا الحسن بن أحمد الكرماني ثنا أبو بكر ثنا شبابة ثنا ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس. قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون الى مكة فيسألون الناس فانزل الله عز وجل (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) أخبرنا أبو المعمر الانصاري نا يحيى بن عبد الوهاب بن منده نا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحيم نا محمد بن حسان ثنا أبو بكر أحمد بن هارون المردنجي ثنا عبدالله بن الأزهر ثنا اسباط ثنا محمد بن موسى الجرجاني. قال: سألت محمد ابن كثير الصنعاني عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا يتنعلون ولا يلبسون الخفاف. فقال سألتني عن أولاد الشياطين ولم تسألني عن الزهاد. فقلت له: فأى شيء الزهد. قال التمسك بالسنة والتشبيه باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار ناعبد العزيز بن على الازجي

نا ابراهيم بن محمد الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد ابن محمد الخلال نا أحمد بن الحسين بن حسان . ان أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فانكره انكارا شديدا وقال أف أف لا لا ومد بها صوته إلا بزاد ورفقاء قافلة. قال الخلال: وقال أبو بكر المروزي وجاء رجل الى أبي عبد الله فقال رجل يريد سفرا ايما أحب اليك يحمل معه زادا أو يتوكل . فقال له أبو عبد الله : يحمل معه زادا ويتوكل حتى لا يتشرف للناس * قال الخلال : وأخبرني ابراهيم بن الخليل أن أحمد بن نصر حدثهم ان رجلا سأل أبا عبد الله ايخرج الرجل الى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئا قال لا يعجبني : فمن أين يأكل قال فيتوكل فيعطيه الناس قال فاذا لم يعطوه أليس يستشرف لهم حتى يعطونه . لا يعجبني هذا . لم يبلغني ان أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين فعل هذا * قال الخلال وأخبرنا محمد بن علي السمسار ان محمد بن موسى بن مشيش حدثهم ان أبا عبد الله سأله رجل فقال أحج بلا زاد فقال لا . اعمل واحترف واخرج . النبي صلى الله عليه وسلم زود أصحابه . فقال : فهؤلاء الذين يرفون ويحجون بلا زاد هم على الخطأ. قال نعم هم على الخطأ * قال الخلال وأخبرني محمد بن أحمد بن جامع الرازي قال سمعت الحسين بن الحسن الرازي. قال: شهدت أحمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان فقال له يا أبا عبد الله معي درهم احج بهذا الدرهم . فقال أحمد اذهب الى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبا واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثماية درهم فحج . قال يا أبا عبد الله : ما ترى مكاسب الناس قال أحمد لا تنظر الى هذا فانه من رغب في هذا يريد ان يفسد على الناس معايشهم قال يا أبا عبد الله انا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس قال كذبت اذن لست بمتوكل فادخل وحدك والا انك متوكل على جرب الناس

﴿سياق ما جرى للصوفية في أسفارهم وسياحاتهم﴾
(من الافعال المخالفة للشرع)

أخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت نا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا ابو نعيم الحافظ ثنا احمد بن محمد ابن مقسم ثنى ابو بكر الخياط الصوفي قال سمعت أبا حمزة يقول : سافرت سفرة على التوكل فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم في عيني إذ وقعت في بئر فرأيتني قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينما أنا جالس اذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه نجوز و نترك هذه في طريق المسلمين السابلة والمارة. فقال الآخر فما نصنع قال فبدرت نفسي أن أناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا الى سوانا . فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شيء فجعلاه على رأسها غطوها به . فقالت لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجونا . فمكثت يومي وليلتي فلما كان الغد ناداني شيء يهتف بي ولا أراه تمسك بي شديداً فمددت يدي فوقعت على شيء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحني فوق الارض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله. فهتف بي هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف * أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبي نصر الحميدى نا أبو بكر محمد بن احمد الاردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن الحسن الحرمي سمعت ابن المالكي يقول : قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشي في الطريق وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن استغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان . فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر في هذا الطريق فأتوا بقصب وبارية فهممت فقلت الى من هو أقرب اليك منهما وسكت حتى طموا رأس البئر فاذا بشيء قد جاء يكشف عن رأس البئر ودلى رجليه وكان يقول في همهمة له تعلق بي فتعلقت به فاخرجني فنظرت فاذا هو سبع

فهتف بى هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف *أخبرنا ابو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا أبو القاسم رضوان ابن محمد بن الحسن الدينورى قال . سمعت احمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول . سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكى عن أبى حمزة الصوفى الدمشقى انه لما خرج من البئر انشد يقول :

نهانى حيائى منك أن اكشف الهوى فاغنيتنى بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لى بالغيب حتى كأننى تبشرنى بالغيب انك فى الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتحيى محبا أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المصنف رحمه الله . قلت : اختلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى البئر . فقال أبو عبد الرحمن السلمى : هو أبو حمزة الخراسانى وكان من أقران الجنيد . وقد ذكرنا فى رواية أخرى انه دمشقى . وقال أبو نعيم الحافظ : هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن ابراهيم . وذكره الخطيب فى تاريخه وذكر له هذه الحكاية . وأيهم كان فأنه مخطئ فى فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله . وقوله لا أستغيث كقول القائل لا آكل الطعام ولا أشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا فان الله تعالى وضع الاشياء على حكمة فجعل للآدمى يداً يدفع بها ولساناً ينطق به وعقلا يهديه الى دفع المضار واجتلاب المصالح . وجعل الأغذية والادوية لمصلحة الآدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد اليه فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع . فان قال جاهل فكيف احترز مع أمر القدر قلنا وكيف لا يحترز مع أمر القدر وقد قال الله تعالى « خذوا حذركم » وقد اختفى النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار وقال « لسراقة أخف عنا واستأجر دليلا الى المدينة » ولم يقل أخرج على التوكل وما زال ببدنه مع الاسباب وبقلبه مع

المسبب . وقد أحكمنا هذا الاصل فيما تقدم . وقول أبي حمزة فنودي من باطني هذا من حديث النفس الجاهلة التي قد استقر عندها بالجهل ان التوكل ترك التمسك بالاسباب لان الشرع لا يطلب من الانسان ما نهاه عنه وهلا نافره باطنه في مد يده وتعلقه بذلك المتدلي اليه وتمسكه به فان ذلك أيضا نقض لما ادعاه من ترك الاسباب الذي يسميه التوكل لانه أي فرق بين قوله أنا في البئر وبين تمسكه بما تدلى عليه لا بل هذا آكد لان الفعل آكد من القول فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب . فان قال : هذا بعثه الله لي . قلنا : والذي جاز على البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فانه لو استغاث كان مستعملا للاسباب التي خلقها الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يستعملها وانما بسكوته عطل الاسباب التي خلقها الله تعالى له ودافع الحكمة فصح لومه على ترك السبب . وأما تخليصه بالاسد فان صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وانما ينكر فعله المخالف للشرع * أخبرنا ابو منصور القزاز نا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز بن أبي الحسن قال سمعت علي بن عبد الله بن جهضم بمكة يقول ثنا الخلدي قال . قال الجنيد قال لي محمد السمين : كنت في طريق الكوفة بقرب الصحراء التي بين قبا والصخرة التي تفريقنا منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسي اضطربت وكانوا على قارعة الطريق فقالت لي نفسي تميل يمينا أو شمالا فأبيت عليها الا أن آخذ على قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ثم رجعت الى نفسي لأنظر كيف هي فاذا الروع معي قائم . فأبيت أن أبرح وهذه صفتي ثم نظرت بعد قعودي فاذا الروع معي فأبيت أن أبرح وهذه صفتي فوضعت جنبي فنمت مضطجعاً فتغاشاني النوم فنمت وأنا على تلك الهيئة والسباع في المكان الذي كانوا عليه فمضى بي وقت وأنا نائم فاستيقظت فاذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شيء واذا الذي كنت أجده قد زال فقمت وأنا على

تلك الهيئة فانصرفت

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا الرجل قد خالف الشرع في تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه * وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه » وقال صلى الله عليه وسلم « فر من المجذوم فرارك من الأسد » ومرّ عليه الصلاة والسلام بحائط مايل فاسرع : وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج . وهذا شئ ما سلم منه موسى عليه السلام فانه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً فان صح ما ذكره وهو بعيد الصحة لان طباع الآدميين تتساوى فمن قال لا أخاف السبع بطبعي كذبناه كما لو قال أنا لا أشتهي النظر الى المستحسن وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاما للهلاك لظنه ان هذا هو التوكل . وهذا الظن خطأ لانه لو كان هذا هو التوكل مانهي عن مقاربة مايخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع اذا شبع لا يفترس . ولقد كان أبو تراب النخشبي من كبار القوم فلقيته السباع في البرية فنهشته فمات . ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير انا نبين خطأ فعله للعامي الذي اذا سمع هذه الحكاية ظن انها عزيمة عظيمة ويقين قوي ، وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام اذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ مرّ بجدار مائل فهرول . وعلى لبسه صلى الله عليه وسلم الدرع في غزواته كلها وقت الحرب حتى قال عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق « ليس لنبي أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال» وعلى حالة أبي بكر رضى الله عنه إذ سد خروق الغار إتقاء ذي الحيات : وهيهات أن تماو مرتبة هذا المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل * وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا اسماعيل بن احمد الحيرى ثنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن الحسين البغدادي

يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني قال سمعت مؤملا المغابي يقول . كنت اصحب محمد بن السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل فبينا نحن في بريه اذ زأر السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهي وهممت أن أبادر فأفر فضبطني وقال يا مؤمل التوكل ههنا ليس في المسجد الجامع

قال المصنف رحمه الله قلت : لا أشك في ان التوكل يظهر أثره عند الشدائد ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فانه لا يجوز * اخبرنا عمر ابن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن على الازجي نا ابن جهضم ثنا ابراهيم ابن احمد بن على العطار . قال له الخواص : حدثني بعض المشايخ انه قيل لعلى الرازى ما لنا لا نراك مع أبي طالب الجرجاني قال خرجنا في سياحة فنمنا في موضع فيه سباع فلما نظر الىّ رآني لم أنم طردني . وقال : لا تصحبني بعد هذا اليوم

قال المصنف رحمه الله قلت : لقد تعدى هذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه وليس ذلك في قدرته ولا في وسعه ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل * أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الازجي ثنا أبن جهضم قال سمعت الخلدى يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول سمعت حسنا أخا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل في رجلي الشوكة فيمنعني ما أعتقده من التوكل أن اخرجها من رجلي فأدلك رجلي على الارض وامشي * أخبرنا محمد ابن عبد الباقي بن احمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن على الخشاب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت احمد بن على الوجهي يقول : حج الدينوري اثنتي عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان اذا دخل في رجله شوك يمسح رجله بالارض ويمشي ولا يتطاطى الى الارض من صحة توكله

قال المصنف رحمه الله قلت : أنظروا الى ما يصنع الجهل بأهله وليس من

طاعة الله تعالى أن يقطع تلك البادية حافيا لانه يؤذي نفسه غاية الأذى . ولا مكشوف الرأس وأى قربة تحصل بهذا ولولا وجوب كشف الرأس في مدة الاحرام لم يكن لكشفه معنى. ومن ذا الذي أمره أن لايخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل دلك الرجل بالارض الا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقي بالاخراج . وأين التوكل من هذه الافعال المخالفة للعقل والشرع لانهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها . ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر في احرامه أن يخرق حرمة الاحرام ويلبس ويغطي رأسه ويفدي. ولقد سمعت أبا عبيد يقول : انى لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشي في الظل * أخبرنا ابو منصور القزاز نا ابو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن أبي الحسن القرميسيني قال سمعت على بن عبد الله بن جهضم قال سمعت أبا بكر الرقي يقول حدثنى أبو بكر الدقاق قال : خرجت في وسط السنة الى مكة وأنا حدث السن في وسطي نصف جل وعلى كتفي نصف جل فرمدت عيني في الطريق وكنت أمسح دموعي بالجل فأقرح الجل الموضع فكان يخرج الدم مع الدموع فمن شدة الارادة وقوة سروري بحالي لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عيني في تلك الحجة. وكانت الشمس اذا أثرت في بدني قبلت يدي ووضعتها على عيني سروراً مني بالبلاء * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقي يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول: كان سبب ذهاب بصري أني خرجت في وسط السنة أريد مكة وفي وسطي نصف جل وعلى كتفي نصف جل فرمدت احدى عيني فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عيني * أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنا أبو محمد التميمي انا عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبابكر الرازي يقول قلت لابي بكر الدقاق : وكان بفرد عين ما سبب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على

التوكل فجعلت على نفسى ان لا آكل لاهل المنازل شيئاً تورعا فسالت احدى عينى على خدى من الجوع

قال المصنف رحمه الله اذا سمع مبتدىء حالة هذا الرجل ظن ان هذه مجاهدات وقد جمعت هـذه السفرة التى افتخر فيها فنونا من المعاصى والمخالفات. منها خروجه فى تنصيف السنة على الوحدة، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولباسه الجل، ومسح عينيه به وظنه ان ذلك يقربه الي الله تعالى وانما يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه. فلو ان انسانا قال اريد ان أضرب نفسى بعصا لانها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عاصياً . وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لانه انما يفرح بالبلاء اذا كان بغير تسبب منه لنفسه . فلو ان انسانا كسر رجـل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية فى الحماقة ثم تركه السؤال وقت الاضطرار وحمله على النفس فى شـدة المجاعة حتى سالت عينه ثم يسمى هـذا تورعا حماقات زهاد أكبرها الجهل والبعد عن العلم * وقد أخبرنا محمد ابن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبونعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد ابن العباس بن أيوب الاصفهاني ثنا عبد الرحمن بن يوسف الرقى ثنا مطرف ابن مازن عن سفيان الثورى. قال : من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار

قال المصنف رحمه الله: فانظر الى كلام الفقهاء ما أحسنه . ووجهه ان الله تعالى قد جعل للجائع مكنة التسبب فاذا عدم الاسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التى هى كسب مثله في تلك الحال فاذا تركه فقـد فرط فى حق نفسه التى هى وديعة عنده فاستحق العقاب * وقد روى لنا فى ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا فاخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد ثنا حمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبا أحمد القلانسى يقول قال أبوعلى الروزبارى يحكى عن أبى بكر الدقاق. قال: استضفت حيا من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت اليها فقلعت عينى التى نظرت بها اليها . وقلت مثلك من نظر لله .

قال المصنف رحمه الله قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشريعة

والبعد عنها لانه ان كان نظر اليها عن غير تعمد فلااثم عليه وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم. فضم اليها كبيرة وهى قلع عينه ولم يتب عنها لانه اعتقد قلعها قربة الى الله سبحانه ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطأوه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بنى اسرائيل انه نظر الى امرأة فقلع عينه وتلك مع بعد صحتها ربما جازت فى شريعتهم . فاما شريعتنا فقد حرمت هذا . وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من تلبيس ابليس . وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا * أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو الحسن على بن أحمد البصرى غلام شعوانه قال أخبرتنى شعوانه انه كان فى جيرانها امرأة صالحة خرجت ذات يوم الى السوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها . فقالت له المرأة : أى شىء تريد منى قال فتنت بك . فقالت : ما الذى استحسنت منى قال عيناك . فدخلت الى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك

قال المصنف رحمه الله : فانظروا اخوانى كيف يتلاعب ابليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر واتت هى بكبيرة ثم ظنت انها فعلت طاعة وكان ينبغى أنها لا تكلم رجلا أجنبياً . وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال لقيت امرأة فى البرية فقلت لها وقالت لى وهذا لا يحل له . وقد انكرت عليه امراءة متيقظة * فاخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروخى نا محمد بن على بن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى نا أبو سعيد محمد بن أحمد بن يوسف ثنى سكر ثنى محمد بن يعقوب الفرجى قال سمعت ذا النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض البجة فناديتها فقالت وما للرجال ان يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشىء * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز الازجى ثنا على بن عبد الله الهمدانى ثنى

على بن اسماعيل الطلائى محمد بن الهيثم قال قال لى أبو جعفر الحداد : دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوما لا آكل فيها شيئا وضعفت عن المشى فبقيت أياما أخر لم اذق فيها شيئا فسقطت على وجهى وغشى على وغلب على من القمل شىء ما رأيت مثله ولا سمعت به فبينا انا كذلك اذ مر بى ركب فرأونى على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركنى فى الرمضاء وسار فمر بى ركب آخر فحملونى الى حيهم وأنا مغلوب فطرحونى ناحية فجاءتنى امرأة فجلست على رأسى وصبت اللبن فى حلقى ففتحت عينى قليلا وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين . قالوا: جبل الشراة فحملونى الى الشراة .

قال المصنف رحمه الله قلت : لو يحكى أن رجلا من المجانين انحل من السلسلة فاخذ سكينا وجعل يشرح لحم نفسه ويقول انا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا . والا فانظروا الى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافية * أخبرنا أحمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الدارى يقول سمعت أبا الحسين الريحانى يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول : رأيت شيخا من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوما على سبب فى البرية فنهاه شيخ كان معه فأبى ان يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الاسباب . قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر الى هذا الحد وان اطيق بفضيلة * أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين . قال سمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : دخل ابراهيم الهروى مع شبة (١) البرية . فقال ياشبة اطرح ما معك من العلائق قال فطرحتها كلها وأبقيت دينارا فخطا خطوات ثم . قال : اطرح كل ما معك لا تشغل سرى . قال : فاخرجت الدينار ودفعته

---

(١) فى نسخة مع سبتية

اليه فطرحه ثم خطا خطوات . وقال اطرح ما معك . قلت ليس معى شىء . قال بعد سرى مشتغل ثم ذكرت ان معى دستجة شسوع فقلت ليس معى الا هذه : قال فاخذها فطرحها ثم قال امشى فمشينا فما احتجت الى شىء فى البادية الا وجدته مطروحا بين يدى فقال لى كذا من عامل الله بالصدق

قال المصنف رحمه الله قلت : كل هذه الافعال خطأ ورمى المال حرام والعجب يرمى ما يملكه ويأخذ ما لا يدرى من أين هو وهل يحل له أخذه أم لا *
أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه . قال سمعت نصر بن أبى نصر العطار يقول سمعت على بن محمد المصرى قال سمعت أبا سعيد الخراز . يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولى ثم فكرت فى نفسى انى شكيت وانى توكلت على غيره فآليت ان لا أدخل المرحلة الا ان حملت اليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها الى صدرى فسمعت صوتاً فى نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى الى المرحلة

قال المصنف رحمه الله قلت : لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فاراد منه مالم يوضع عليه لان طبع ابن آدم ان يهش الى ما يحب ولا لوم على العطشان اذا هش الى الماء ولا على الجائع اذا هش الى الطعام . فكذلك كل من هش الى محبوب له . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم : اذا قدم من سفر فلاحت له المدينة اسرع السير . حبا للوطن . ولما خرج من مكة تلفت اليها شوقا . وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة اذ أخرجونا من مكة ويقول :

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة بواد وحولى اذخر وجليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل . ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح . وأى شىء فى هذا من التقرب الى الله سبحانه انما هو محض

جهل * انبأنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد السراج نا عبد العزيز بن على ابن احمد ثنا ابو الحسن على بن جهضم ثنا بكر بن محمد . قال : كنت عند أبي الخير النيسابوري فبسطني بمحادثته لي بذكر بدايته الى أن سألته عن سبب قطع يده . فقال : يد جنت فقطعت . ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك . فقال : سافرت حتى بلغت اسكندرية فأقمت بها اثنتي عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخا فكنت اجيء اليه من ليل الى ليل وافطر على ما ينفضه المرابطون واذاحم الكلاب على قمامة السفر وآكل من البراري في الشتاء فنوديت في سري يا أبا الخير تزعم انك لا تشارك الخلق في اقواتهم وتشير الى التوكل وأنت في وسط المعلوم جالس . فقلت : الهي وسيدي وعزتك لا مددت يدي الى شيء مما تنبته الارض حتى تكون الموصل الى رزقي من حيث لا أكون انا فيه فاقمت اثني عشر يوما اصلي الفرض واتنفل ثم عجزت عن النافلة فاقمت اثني عشر يوما اصلي الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فاقمت اثني عشر يوما اصلي الفرض لا غير ثم عجزت عن القيام فاقمت اثني عشر يوما اصلي جالسا لا غير ثم عن الجلوس فرأيت ان طرحت نفسي ذهب فرضي فلجأت الى الله بسري وقلت إلهي وسيدي افترضت على فرضا تسألني عنه وقسمت لي رزقا وضمنته لي فتفضل عليّ برزقي ولا تؤاخذني بما عقدته معك فوعزتك لاجتهدن ان لاحللت عقدا عقدته معك فاذا بين يدي قرصان بينهما شيء فكنت آخذه على الدوام من الليل الى الليل ثم طولبت بالمسير الى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت في الجامع قاصا يذكر قصة زكرياء و المنشار وان الله تعالى أوحى اليه حين نشر فقال ان صعدت الى منك انة لامحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين . فقلت لقد كان زكريا صبارا الهي وسيدي لئن ابتليتني لاصبرن . وسرت حتى دخلت انطاكية فرآني بعض اخواني وعلم انى أريد الثغر فدفع الى سيفا وترسا وحربة فدخلت الثغر وكنت حينئذ احتشم

من الله تعالى أن اتوارى وراء السور خيفة من العدو فجعلت مقامي في غابة اكون فيها بالنهار وأخرج بالليل الى شاطئ البحر فاغرز الحربة على الساحل واسند الترس اليها محرابا واتقلد سيفي وأصلي الى الغداة فاذا صليت الصبح غدوت الى الغابة فكنت فيها نهاري أجمع فبدوت في بعض الايام فعثرت بشجرة فاستحسنت ثمرها ونسيت عقدي مع الله وقسمي به اني لا أمد يدي الى شئ مما تنبت الارض فددت يدي فاخذت بعض الثمرة فبينا انا امضغها ذكرت العقد فرميت بها من فيّ وجلست ويدي على رأسي فدار بي فرسان وقالوا لي قم فاخرجوني الى الساحل فاذا أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد اخذهم وافترقت الخيل في طلب من هرب منهم فوجدوني اسود معي سيف وترس وحربة فلما قدمت الى الامير قال ايش انت قلت عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا . قال بلى هو رئيسكم وانما تفدونه بانفسكم لاقطعن أيديكم وأرجلكم وقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله حتى انتهى الي فقال تقدم مد يدك فددتها فقطعت ثم قال مد رجلك فددتها ورفعت رأسي الى السماء وقلت الهي وسيدي يدي جنت ورجلي ايش عملت . فاذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه الى الارض وصاح ايش تعملون تريدون ان تنطبق الخضراء على الغبرا. هذا رجل صالح يعرف بابي الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدي المقطوعة من الارض وقبلها وتعلق بي يقبل صدري ويبكي ويقول سألتك بالله أن تجعلني في حل، فقلت قد جعلتك : في حل من أول ما قطعتها هذه يد قد جنت فقطعت

قال المصنف رحمه الله: فانظروا رحمكم الله الى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم ان ما فعله حرام عليه وليس لابليس عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل * أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسي قال سمعت محمد بن داود الدينوري يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الاصم فعقد انه لا يأكل فيها شيئا الا حتى

يفتح فمه ويوضع في فيه والا ما يأكل فقال لأصحابه: تفرقوا وجلس. فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئاً فلما كان في اليوم العاشر جاء اليه انسان فوضع بين يديه شيئاً يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثا فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها الى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فاخرج مفتاحا كان معه فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة في فمه فأكل ثم قال له ان احببت ان ينفعك الله به فاطعم أولئك وأشار الى أصحابه * أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا علي ابن المحسن التنوخي عن أبيه ثنى محمد بن هلال بن عبد الله ثنى القاضي أحمد ابن سيار. قال حدثني رجل من الصوفية قال صحبت شيخا من الصوفية انا وجماعة في سفر فجرى حديث التوكل والارزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ علي "علي" وحلف ايمانا عظيمة لاذقت مأكولا أو يبعث لي بجام فالوذج حار لا آكله الا بعد ان يحلف علي. قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة الا انك غير جاهد ومشي ومشينا فانتهينا الى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء ففارقته الجماعة غيري فطرح نفسه في مسجد القرية مستسلما للموت ضعفا. فاقمت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف. اذا بباب المسجد قد فتح واذا بجارية سوداء معها طبق مغطى. فلما رأتنا قالت انتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق واذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لاصفعنك الى ان تأكل: فقال كل معي فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ماخبرك وخبر هذا الجام. فقالت: أنا جارية لرئيس هذه القرية وهو رجل حاد طلب منا منذ ساعة جام فالوذج فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم. فعاد فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو في داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله الا رجل غريب فخرجنا نطلب في المساجد رجلاً غريبا فلم نجد الى ان انتهينا اليكم

ولو لم يأ كل هـذا الشيخ لقتلته ضربا الى ان يأكل لئلا تطلق سـيدتى من زوجها . قال فقال الشيخ : كيف تراه اذا أراد ان يرزق

قال المصنف رحمه الله ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة وما فعله الرجل من أقبح القبيـح فانه يجرب على الله ويتأبى عليه ويحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له وهذا لا يجوز له ولا ينـكر أن يكون لطف به الا انه فعـل ضد الصواب وربما كان انفاذ ذلك رديئا لانه يعتقد انه قد أكرم وان ذلك منزلة. وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فانها ان صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لا يجوز لأنه ظن ان التوكل انما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعام ولم يبلعه فانه تسبب وهل هذا الامن تلاعب ابليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أى قربة فى هـذا الفعل البارد وما أظن فاعلـه الا من المـاليخوليا * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن المحسن قال حدثنى أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبرى قال قال لى جعفر الخلدى : وقفت بعرفة ستا وخمسين وقفة منها احدى وعشرون على المـذهب . فقلت لابى اسحق : وأى شىء أراد بقوله ــ على المذهب ــ فقال يصعد الى قنطرة الناشرية فينفض كمه حتى يعلم انه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسير

قال المصنف رحمه الله وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول «وتزودوا» ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزود . ولا يمكن ان يقال ان هذا الآدمي لا يحتاج الى شىء فى مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب أثم وان سأل الناس او تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل. وان ادعى انه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره الى انه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال * وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرنى أبى عن بعض الصوفية : انه قدم عليـه مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتم فقالوا حاج اليمن فقال اوّه التصوف قد صار الى هذا أوالتوكل قد ذهب . انتم ماجئتم على الطريقة والتصوف وانما جئتم من مائدة اليمن الى مائدة

الحرم . ثم قال : وحق الاحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هذه الطريق نخرج الى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم على التجريد ونتعاهد بيننا ان لا نلتفت الى مخلوق ولا نستند الى معلوم . فجئنا الى النبي صلى الله عليه وسلم ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشيء فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحذائنا نفر من الاعراب فبعثوا الينا بسويق فاخذ بعضنا ينظر الى بعض ويقول : لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة

قلت : اسمعوا اخواني الى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فاحوجهم الى أخذ صدقات الناس . ثم ظنهم ان ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب * ومن أعجب ما بلغني عنهم في أسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبي القاسم البغدادي نا أبو محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : بلغني ان أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم في كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان في حجته الاخيرة رأى كلبا في البادية يلهث عطشا . فقال : من يشتري سبعين حجة بشربة ماء . قال فدفع اليه انسان شربة ماء فسقي الكلب ثم قال هذا خير لي من حجي لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « في كل ذات كبد حراء أجر » * أخبرنا عبد الاول بن عيسى نا ابن ابي الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن موري الجبوساني نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بابن السراج قال سمعت الوجهي يقول سمعت أبا علي الروزباري يقول : كان في البادية جماعة ومعنا أبو الحسين المطرفي فربما كان تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق . وكان أبو الحسين يصعد تلا فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحي فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل الينا من عندهم معونة . قلت : وانما ذكرت مثل هذه الاشياء ليتنزه العاقل في مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لاوامر الشرع وليت شعري كيف يصنع

من يخرج منهم ولا شيء معه بالوضوء والصلاة وان تخرق ثوبه ولا ابرة معه فكيف يفعل . وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر * فاخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغاني يقول : كان ابراهيم الخواص مجردا في التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه ابرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا اسحاق لم تحمل هذا وانت تمنع من كل شيء . فقال : مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يتخرق ثوبه وان لم يكن معه ابرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وان لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا ابرة ولا خيوط فاتهمه في صلاته

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية اذا قدموا من السفر ﴾

قال المصنف رحمه الله قلت : من مذهب القوم أن المسافر اذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فاذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سلم على الجماعة . وهذا ما ابتدعه متأخروهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الاسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن الا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الاطفال فانه اذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال : ماغسلت وجهي . أو لعل الاطفال علموه هؤلاء المبتدعين * أخبرنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » أخرجاه في الصحيحين ومن مذهب القوم تعميز القادم من السفر مساء * انبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه . قال باب السنة في تعميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه واحتج

بحديث عمر رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يغمز ظهره، فقلت : ما شأنك يارسول الله قال ان الناقة قد اقتحمتني

قال المصنف رحمه الله : انظروا اخواني الى فقه هذا المحتج فانه كان ينبغي أن يقول باب السنة في تغميز من رمت به ناقته . وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم ومن أين له انه كان في سفر وانه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبي صلى الله عليه وسلم كما اتفق لاجل ألم ظهره سنة لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره . ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم . قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة (١) للقادم واحتج بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سافر سفراً فنذرت جارية من قريش ان الله تعالى رده أن تضرب في بيت عائشة رضي الله عنها بدف فلما رجع فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نذرت فاضربي

قال المصنف رحمه الله : قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفي فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية اذا مات لهم ميت ﴾

له في ذلك تلبيسان الاول: أنهم يقولون لا يبكى على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف . قال ابن عقيل : وهذه دعوى تزيد على الشرع فهي حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع فهي انحراف عن المزاج المعتدل فينبغي أن يطالب لها بالعلاج بالادوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبي كريم فقال : (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) . وقال . (يا أسفى على يوسف) . وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موت ولده وقال ان العين لتدمع « وقال واكرباه » وقالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمما يندب أخاه ويقول:

---

(١) العتيره بوزن الذبيحة شاة وكانت الجاهلية تذبح للاصنام فيصب دمها على رأسها وقد نهى الشرع عن ذلك ففيه تشبيه بالمشركين ايضا

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر رضى الله عنه ليتنى كنت أقول الشعر فأندب أخى زيدا فقال متمم لو مات أخى كما مات أخوك مارثيته. وكان مالك مات على الكفر وزيد قتل شهيداً. فقال: عمر ماعزانى أحد فى أخى كمثل تعزيتك. ثم لا تزال الابل الفاقدة الأكباد تحن الى ما ألفها من الاعطان والاشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير. ترجع وكل مأخوذ من البلاء فلا بد ان يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو الى الجماد به أقرب. وقد أبان النبى عليه الصلاة والسلام عن العيب فى الخروج عن سمت الطبع. فقال الذى قال: لم أقبل أحدا من ولدى ـ وكان له عشرة من الولد ـ فقال «أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك» وجعل يلتفت الى مكة لما خرج. فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبوا عن الطباع جاهل يطالب بجهل. وقد قنع الشرع منا ان لا نلطم خدا ولا نشق جيبا فاما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب فى ذلك.

التلبيس الثانى: انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا يغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت اذ وصل الى ربه. والتلبيس فى هذا عليهم من ثلاثة أوجه احدها ان المسنون ان يتخذ لاهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لانفسهم وليس من السنة ان يتخذه أهل الميت ويطعمونه الى غيرهم والاصل فى اتخاذ الطعام لاجل الميت * ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخى نا أبو عامر الازدى وأبو بكر الغورجى قالا أخبرنا الجراحي ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا أحمد بن منيع وعلى بن حجر قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر. قال: لما جاء نعى جعفر فقال النبى صلى الله عليه وسلم «اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم» قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. والثانى انهم يفرحون للميت ويقولون وصل الى ربه ولا وجه للفرح لأنا لا نتيقن انه غفر له وما يؤمنا أن نفرح له وهو فى المعذبين. وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه

لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك * أخبرنا عبد الاول نا ابن المظفر نا ابن عين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهري ثني خارجة بن زيد الانصاري عن أم العلاء . قالت : لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السايب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ان الله أكرمه » . والثالث انهم يرقصون ويلعبون في تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التي يؤثر عندها الفراق . ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وان كان معذبا فأين أثر الحزن

(ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في ترك التشاغل بالعلم)

قال المصنف رحمه الله : اعلم ان أول تلبيس ابليس على الناس صدهم عن العلم لان العلم نور فاذا اطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء . وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب . أحدها انه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج الى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة * أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهاني ثنا أبو حامد بن حيان ثنا أبو الحسن البغدادي ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : اسس التصوف على الكسل . وبيان ماقاله الشافعي ان مقصود النفس اما الولايات واما استجلاب الدنيا . والولايات واستجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل . والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد . واستجلاب الدنيا فانها اليهم سريعة * أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطناجيري ثنا أبو حفص بن شاهين قال : ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا ان علومنا بلا واسطة وانما رأوا بعد الطريق في طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد * والثاني انه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير في كثرته فاقتنعوا

باطراف الاحاديث وأوهمهم ان علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس في ذلك لذة . وكشف هذا تلبيس التلبيس انه مامن مقام عال الاوله فضيلة وفيه مخاطرة فان الامارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك في جوار الورد فينبغي ان تطلب الفضائل ويتقي مافي ضمنها من الآفات . فامامافي الطبع من حب الرياسة فانه انما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد . وبالعلم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون . طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا لله * ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع مافي طبعه لم يمكنه . والثالث انه أوهم قوما منهم ان المقصود العمل وما فهموا ان التشاغل بالعلم من أوفى الاعمال ثم ان العالم وان قصر سير عمله فانه على الجادة والعابد بغير علم على غير الطريق . والرابع انه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى ان أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي . وكان الشبلي يقول :

اذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا بما * أخبرنا بعبد الحق بن عبد الخالق نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين ثنا على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عنبسة العسكرى ثني دارم بن قبيصة بن نهشل الصنعاني قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن على قال سمعت يحيي بن عبد الله بن حسين عن يحيى بن زيد بن على عن أبيه عن جده عن الحسن بن على عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه »

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا حديث لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفي اسناده مجاهيل لا يعرفون *أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على السهلكي نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن

علي بن عبد الله بن جهضم ثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن ثنا علي بن جعفر عن أبي موسى، قال: كان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكى لي عنك عجايب. فقال له أبو يزيد: وما لم تسمع من عجايبي أكثر. فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومن من. فقال أبو يزيد علمي من عطاء الله تعالى. ومن حيث قال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم» ومن حيث قال صلى الله عليه وسلم «العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم ما كان وهو العلم النافع» وعلمك ياشيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمي من الله إلهام من عنده. فقال له الشيخ علمي عن الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه عز وجل. فقال له أبو يزيد: ياشيخ كان للنبي صلى الله عليه وسلم علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم. ولكن أريد ان يصح لي علمك الذي تقول هو من عند الله. قال: نعم أبينه لك قدر ما يستقر في قلبك معرفته. ثم قال: ياشيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما وكلم محمداً صلى الله عليه وسلم ورآه كفاحا. وان حلم الانبياء وحي. قال: نعم قال اما علمت ان كلام الصديقين والاولياء بالهام منه وفوائده من قلوبهم حتى انطقهم بالحكمة ونفع بهم الامة. ومما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى في التابوت فالقته والهم الخضر في السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمري) وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما: ان ابنة خارجة حاملة ببنت. وألهم عمر رضي الله عنه فنادى ياسارية الجبل * أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكي قال سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ابراهيم سبتيه يقول حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلان لقي فلانا وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقي فلانا. فقال أبو يزيد: مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت

قال المصنف رحمه الله: هذا الفقه في الحكاية الاولى من قلة العلم إذ لو كان عالما لعلم ان الالهام للشيء لا ينافي العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر ان الله عز وجل يلهم الانسان الشيء كما قال صلى الله عليه وسلم « ان في الامم محدثين وان يكن في أمتي فعمر » والمراد بالتحديث الهام الخير الا ان هذا الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجزله ان يعمل عليه . واما الخضر فقد قيل انه نبي ولا ينكر للانبياء الاطلاع بالوحي على العواقب وليس الالهام من العلم في شيء انما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبها للخير ويلهم الرشد. فاما ان يترك العلم ويقول انه يعتمد على الالهام والخواطر فليس هذا بشيء اذ لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس امن الالهام للخير أو الوسوسة من الشيطان . واعلم ان العلم الالهامي الملقي في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما ان العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية فان العقلية كالأغذية والشرعية كالادوية ولا ينوب هذا عن هذا . وأما قوله أخذوا علمهم ميتا عن ميت . أصلح ما ينسب اليه هذا القائل انه مايدري ما في ضمن هذا القول والا فهذا طعن على الشريعة * أنبأنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين. قال: من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة . قال وما كان المتقدمون في التصوف الا رؤسا في القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة . وقال أبو حامد الطوسي اعلم . ان ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون: بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بان يقطع الانسان همه عن الاهل والمال والولد والعلم ويخلو بنفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسيره ولا يكتب حديثا ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله الى أن ينتهي الى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ

قال المصنف رحمه الله قلت عزيز على أن يصدر هذا الكلام من فقيه فانه لايخفى قبحه فانه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التى حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم . وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فانهم ما سلكوا هذه الطريق وانما تشاغلوا بالعلم أولا . وعلى ماقد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم مايطرد ذلك فيلعب بها ابليس أى ملعب فيريها الوسوسة محادثة ، ومناجاة ولا ننكر انه اذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله الا انه ينبغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فان الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان فى التخيلات أمور نهي الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شئ ينسب (١) الى ما نهى عنه كما لا تستباح الرخص فى سفر قد نهى عنه . ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها . وانما تلاعب الشيطان باقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه . وتارة يؤثرون ماغيره أولى وانما كان يفتي فى هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان * انبأنا ابن ناصر عن أبى على بن البنا قال : كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب ، والرسول حجاب ليس الا عبد ورب فأفتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل * انبأنا محمد بن عبد الملك نا احمد بن على بن ثابت نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الجبائى ثنا احمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله ابن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربى عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال : ان قوماً تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذى لا اله غيره ماعمل عامل قط على جهل إلا كان مايفسد اكثر مما يصلح

(فصل) وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل

(١) فى النسخة الثانية بسبب قد نهي عنه الخ

من قائله لأن الشريعة كلها حقائق. فان كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة. وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع * عن أبي الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول. سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل الى سهل بن عبد الله وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل احببت أن اكتب شيئاً ينفعني الله به. فقال اكتب، ان استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل. فقال. يا أبا محمد أفدني فائدة. فقال: الدنيا كلها جهل الا ما كان علماً، والعلم كله حجة الا ما كان عملا، والعمل كله موقوف الا ما كان منه على الكتاب والسنة * وعن سهل بن عبد الله انه قال ما من طريق الى الله أفضل من العلم فان عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلمات اربعين صباحا * وعن أبي بكر الدقاق قال. سمعت أبا سعيد الخراز يقول: كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل * وعن أبي بكر الدقاق انه قال: كنت ماراً فى تيه بنى اسرائيل فخطر ببالي ان علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر

قال المصنف رحمه الله: وقد نبه الامام أبو حامد الغزالى فى كتاب الاحياء فقال: من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر أقرب منه الى الايمان * وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة أنه وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شئ واقع فى النفس من القاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع

(ذكر تلبيس ابليس على جماعة من القوم في دفنهم كتب العلم والقائها في الماء)

قال المصنف رحمه الله: قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم ابليس وقال ما المقصود الا العمل ودفنوا كتبهم. فقد روى ان احمد بن أبي الحوارى رمى كتبه فى البحر. وقال: نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال. ولقد طلب احمد بن أبي الحوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ

منه الغاية حمل كتبه الى البحر فغرقها. وقال: يا علم لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافا بحقك ولكني كنت أطلبك لأهتدى بك الى ربي فلما اهتديت بك استغنيت * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعرانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أحمد بن محمد بن اسماعيل: أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وانه كان يتصوف ويرمي بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب. ولقد أخبرت انه رمى بجملة من سماعاته القديمة في دجلة. فأول ما سمع على أبي العباس الاصم وطبقته وكتب الكثير * انبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقي قال: سمعت أبا عمرو بن أبي جعفر يقول سمعت أبا طاهر الجنابذي يقول: لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فاذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة ويقول قد أديته أخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سمعت جماعة مشايخ الري يقولون. ورث أبو عبد الله المقرى عن أبيه خمسين الف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال. فسألت أبا عبد الله عن ذلك فقال. أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت الى مكة على الوحدة حين لم يبق لي شيء ارجع اليه. وكان اجتهادى أن ازهد في الكتب وما جمعت من العلم والحديث أشد على من الخروج الى مكة والتقطع في الاسفار والخروج عن ملكي * أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن علي بن ثابت نا اسماعيل الحيرى ثنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادي يقول سمعت الشبلي يقول: أعرف من لم يدخل في هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق في هذه الدجلة سبعين قطرا مكتوبا بخطه وحفظ وقرأ بكذا وبكذا رواية يعني بذلك نفسه

قال المصنف رحمه الله: قد سبق القول بان العلم نور وان ابليس يحسن

للانسان اطفاء النور ليتمكن منه فى الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل. ولما خاف ابليس ان يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب واتلافها وهذا فعل قبيح محظور وجهل بالمقصود بالكتب وبيان هذا ان العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع ان حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث . فأما القرآن : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فاثبتها وكانوا يكتبونها فى العسب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده فى المصحف أبو بكر صونا عليه ثم انسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء . وأما السنة : فان النبي صلى الله عليه وسلم قصر الناس فى بداية الاسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عنى سوى القرآن فلما كثرت الاحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم فى الكتابة * فروى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة الحفظ فقال : ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبي عليه الصلاة السلام وقال ضمه اليك . فقال أبو هريرة فلم انس بعد ذلك شيئا مما حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى رواية انه قال استعن على حفظك بيمينك يعنى بالكتابة * وروى عنه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو انه قال « قيدوا العلم فقلت يارسول الله وما تقييده . قال الكتابة » * وروى عنه أيضاً رافع بن خديج . قال : قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها . قال : اكتبوا ولا حرج

قال المصنف رحمه الله : ولعلم ان الصحابة ضبطت الفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا . وقد قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى . وقال نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها . وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل الامن الكتابة لأن الحفظ خوان ؛ وقد كان أحمد بن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث . فيقال له : امله علينا . فيقول : لا بل من الكتاب . وقد قال

علي بن المديني: أمرني سيدي أحمد بن حنبل ان لا أحدث الا من الكتاب فاذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الارض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من هنا وصححوا ما صح وزيفوا ما لم يصح وجرحوا الرواة وعدّلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله في حادثة فما عهدت الشريعة بمثل هذا. فهل لشريعة من الشرائع قبلنا اسناد الى نبيهم وانما هذه خصيصة لهذه الامة * وقد روينا عن الامام أحمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب في طلب الحديث انه قال لابنه ما كتبت عن فلان فذكر له ان النبي عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى» فقال أحمد : الله سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبلغني. وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب واذا كتب غسل أفترى اذا غسلت الكتب ودفنت على م يعتمد في الفتاوى والمعول على فلان الزاهد أو فلان الصوفي أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى

(فصل) قال المصنف رحمه الله : ولا تخلو هذه الكتب التي دفنوها ان يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل. فان كان فيها باطل فلا لوم من دفنها وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذرا في اتلافها فان اقواما كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم. وعلى هذا يحمل ما يروى عن دفن الكتب عن سفيان الثوري وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل اتلافها بوجه لكونها ضابطة للعلم وأموالا وليسأل من يقصد اتلافها عن مقصوده فان قال تشغلني عن العبادة. قيل له جوابك من ثلاثة أوجه. أحدها أنك لو فهمت لعلمت ان التشاغل بالعلم أوفى العبادات. والثاني ان اليقظة التي وقعت لك لا تدوم فكأني بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات. وان القلوب لا علم اتبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج الى جلاء وجلاؤها النظر في كتب العلم. وقد كان يوسف بن

أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر عن التحديث فحدث من حفظه فخلط . والثالث انا نقدر تمام يقطعك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدىء من الطلاب ممن لم يصل الى مقامك أو وقفتها على المنتفعين بها أو بعتها وتصدقت بثمنها أما اتلافها فلا يجوز بحال * وقد روى المروزي عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن رجل أوصى ان تدفن كتبه . فقال . ما يعجبني ان يدفن العلم * وأنبأنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن علي قالا أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت نا عبيد الله بن عبد العزيز البرادعي نا محمد بن عبد الله السعيدي ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن النحاس قال سمعت المروزي يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في انكارهم على من تشاغل بالعلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن العلم وبين ظان أن العلم هو ما يقع في النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم العلم الباطن نهوا عن التشاغل بالعلم الظاهر * اخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن علي نا علي بن ابي علي البصري ثنا أبو سحاق ابراهيم بن أحمد ابن محمد الطبري قال سمعت جعفراً الخلدي يقول : لو تركني الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا لقد مضيت الى عباس الدوري وأنا حدث فكتبت عنه مجلسا واحدا وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال : ايش هذا معك . فأريته اياه فقال : ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق . ثم خرق الأوراق فدخل كلامه في قلبي فلم أعد الى عباس

قال المصنف رحمه الله : وبلغني عن أبي سعيد الكندي قال : كنت انزل رباط الصوفية واطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون . فسقطت الدواة يوما من كمي فقال لي بعض الصوفية استر عورتك * أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطي نا أبو بكر الخطيب نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا الحسين بن أحمد الصفار . قال : كان بيدي محبرة فقال لي الشبلي

غيب سوادك عني يكفيني سواد قلبي * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبدالله الغزال المذكر قال سمعت علي ابن مهدي يقول: وقفت ببغداد على حلقة الشبلي فنظر الي ومعي محبرة فأنشأ يقول:

تسربلت للحرب ثوب الغرق وهمت البلاد لوجد القلق

ففيك هتكت قناع الغوى(١) وعنك نطقت لدى من نطق

اذا خاطبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله قلت: من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لانه دليل على الله وبيان لاحكام الله وشرعه وايضاح لما يحبه ويكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا * أخبرنا ابن حبيب قال أنا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية فاني كنت أخبأ محبرتي في جيب مرقعتي والكاغد في حزة سراويلي وكنت أذهب خفية الى أهل العلم فاذا علموا بي خاصموني. وقالوا: لا تفلح ثم احتاجوا الي بعد ذلك. وقد كان الامام أحمد بن حنبل يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول: هذه سرج الاسلام. وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل الى متى يا أباعبد الله. فقال: المحبرة الى المقبرة وقال في قوله عليه الصلاة والسلام «لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» فقال أحمد ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم. وقال أيضاً ان لم يكن أصحاب الحديث الابدال فمن يكون. وقيل له ان رجلا قال في أصحاب الحديث انهم قوم سوء فقال أحمد: هو زنديق زنديق وقد قال الامام الشافعي رحمه الله: اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال يوسف ابن أسباط: بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الارض * أخبرنا أبو

(١) في النسخة الثانية. ففيك قناع العزاء

منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن علي ثنا ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن محمد بن مسروق قال : رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون اذ نادى مناد الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فأتانى ملك فتأملته فاذا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله . فقلت أين النبي صلى الله عليه وسلم فقال مشغول بنصب الموائد لاخوانه الصوفية . فقلت : وأنا من الصوفية . فقيل نعم . ولكن شغلك كثرة الحديث .

قال المصنف رحمه الله : معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم ، وفى اسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذابا ولعلها عمله . وأما ابن مسروق فأخبرنى القزاز نا أبو بكر الخطيب حدثنى علي بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة ابن يوسف قال سمعت الدارقطني يقول أبو العباس بن مسروق ليس بالقوى يأتى بالمعضلات

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى كلامهم فى العلم

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام فى العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الاغاليط القبيحة منهم فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن وتارة فى الحديث وتارة فى الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم الى مقتضى علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين

ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن* أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عثمان البجلي قال سمعت جعفر بن محمد الخلدى قال : حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله ابن كيسان عن قوله عز وجل : (سنقرئك فلا تنسى) . فقال الجنيد لا تنس العمل به . قال وسأله عن قوله تعالى : (ودرسوا ما فيه) . فقال له الجنيد تركوا العمل به . فقال لا يفضض الله فاك قلت : أما قوله ــ لا تنس العمل به ــ فتفسير

لا وجه له والغلط فيه ظاهر . لأنه فسره على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لا نهى وتقديره ـ فما تنسى ـ إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله (ودرسوا مافيه) انما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل (وبما كنتم تدرسون) . لامن دروس الشيء الذى هو أهلاكه * أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن أحمد ثنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلى . وسئل عن قوله عز وجل : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) . فقال : لمن كان الله قلبه * وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله :(فنجيناك من الغم) . قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا

قال المصنف رحمه الله : وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكليم الى الافتتان بمحبة الله سبحانه . وجعل محبته تمتن غاية فى القباحة * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على الحافظ نا أبو حازم عمر بن ابراهيم العبدرى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا العباس ابن عطاء يقول فى قوله عز وجل : (واما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فقال الروح النظر الى وجه الله عز وجل . والريحان الاستماع لكلامه . وجنة نعيم) . هو ان لا يحجب فيها عن الله عز وجل . قلت : هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين . وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير . فقال في فاتحة الكتاب عنهم انهم قالوا أنما سميت فاتحة الكتاب لانها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فان تأدبت بذلك والا حرمت لطائف مابعد

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح لانه لا يختلف المفسرون ان الفاتحة ليست من أول ما نزل : وقال فى قول الانسان (آمين) أى قاصدون نحوك

قال المصنف رحمه الله وهذا قبيح لانه ليس من أم لانه لو كان كذلك

لكانت الميم مشددة . وقال في قوله : (وان يأتوكم أسارى) . قال قال أبو عثمان : غرقى في الذنوب . وقال الواسطى : غرقى في رؤية أفعالهم . وقال الجنيد : أسارى في أسباب الدنيا تفدوهم الى قطع العلائق . قلت : وانما الآية على وجه الانكار ومعناها اذا أسرتموهم فديتموهم واذا حاربتموهم قتلتموهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح . وقال محمد بن على : (يحب التوابين) . من توبتهم . وقال النورى : (يقبض ويبسط) . أى يقبضك باياه ويبسطك لاياه . وقال في قوله : (ومن دخله كان آمنا) أي من هواجس نفسه ووساوس الشيطان . وهذا غاية في القبح لان لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمر . وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه . وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لانه كم من داخل الى الحرم ما أمن الهواجس ولا الوساوس . وذكر في قوله :(ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه). قال أبو تراب هي الدعاوى الفاسدة.(والجار ذي القربى) . قال سهل هو القلب (والجار الجنب) النفس (وابن السبيل) الجوارح . وقال في قوله : (وهمّ بها) . قال أبو بكر الوراق الهمان لها ويوسف ما هم بها . قلت : هذا خلاف لصريح القرآن وقوله : (ما هذا بشرا). قال محمد بن على ما هذا باهل ان يدعى الى المباشرة . وقال الزنجاني الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم . وقال في قوله :(ولله المكر جميعاً)قال الحسين لا مكر ابين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم ان لهم سبيلا اليه بحال . أو للحدث اقتران مع القدم

قال المصنف رحمه الله : ومن تأمل معنى هذا علم انه كفر محض لانه يشير الى أنه كالهزء واللعب . ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذلك . وقال في قوله (لعمرك) أى بعمارتك سرك بمشاهدتنا . قلت : وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت ان أثبت منه هاهنا كثيرا فرأيت ان الزمان يضيع في كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهذيان . وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية فمن أراد ان يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه .

ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب . وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال : للصوفية استنباط منها قوله : (ادعوا الى الله على بصيرة) . قال الواسطى : معناه لا أرى نفسى . وقال الشبلى : لو اطلعت على الكل ما سوانا لوليت منهم فرارا الينا . قلت هذا لا يحل لأن الله تعالى انما أراد أهل الكهف . وهذا السراج يسمى هذه الاقوال فى كتابه مستنبطات . وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب ذم المال فى قوله عز وجل : (واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام) . قال انما عنى الذهب والفضة اذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والاصنام . وانما عنى بعبادته حبه والاغترار به

قال المصنف رحمه الله: وهذا شىء لم يقله أحد من المفسرين. وقد قال شعيب (وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) ومعلوم ان ميل الانبياء الى الشرك أمر ممتنع لاجل العصمة لا انه مستحيل . ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور فى حقه الاشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم . فقال (واجنبنى وبنى) ومعلوم ان العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الاصنام * أخبرنا عبد الحق ابن عبد الخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين .قال : وقد تكلمت طائفة من الصوفية فى نفس القرآن بما لا يجوز فقالت فى قوله : (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) فقال هم لآيات لى . فاضافوا الى الله تعالى ما جعله لأولى الالباب وهذا تبديل للقرآن وقالوا : (ولسليمان الريح) قالوا . ولى سليمان * وأخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال قال أبو حمزة الخراسانى : قد يقطع باقوام فى الجنة فيقال (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه

قال المصنف رحمه الله : انظروا وفقكم الله الى هذه الحماقة وتسمية المنعم به مكرا . واضافة المكر بهذا الى الله سبحانه وتعالى . وعلى مقتضى قول هذا

أن الانبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل . فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الالفاظ القباح . وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نقله من معنى المكر . وانما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين . وانى لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى تفسير القرآن الى ماهذا حده * وقد أخبرنا على بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن محمد قالوا حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الحربى ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ثنا بشر بن الوليد ثنا سهيل أخو حزم ثنا أبو عمران الجونى عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال فى القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ » * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا وكيع عن الثورى عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »

قال المصنف رحمه الله : وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر انى لاقشعر من ذكرها لكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال * أخبرنا أبو عبد الله بن خفيف قال سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه الليلة وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا . فقالوا : نتكلم فى المحبة فانها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان فى القوم عمرو بن عثمان المكى فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج الى صحن الدار فاذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب فاخذه وحمله اليهم وقال : ياقوم اسكتوا فان هذا جوابكم . انظروا ما فى هذه الرسالة فاذا فيها مكار مكار وكلكم تدعون حبه . واحرم البعض وافترقوا فاجمعهم الا الموسم

قال المصنف رحمه الله قلت : هذه بعيدة الصحة . وابن خفيف لا يوثق به وان صحت فان شيطاناً ألقى ذلك الرق . وان كانوا قد ظنوا أنها رسالة من الله بظنونهم الفاسدة . وقد بينا ان معنى المكر منه المجازاة على المكر . فاما ان يقال عنه مكار فهو فوق الجهل وفوق الحماقة * وقد أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجي ثنا ابن جهضم ثنا الخلدي قال سمعت رويما يقول : ان الله غيب أشياء في أشياء . غيب مكره في حلمه . وغيب خداعه في لطفه . وغيب عقوباته في باب كراماته . قلت : وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة * أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكي قال سمعت محمد بن ابراهيم يقول سمعت خالي يقول قال الحسن بن علويه . خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل الى نهر جيحون التقى له حافتا النهر . فقال سيدي . ايش هذا المكر الخفي . وعزتك ما عبدتك لهذا. ثم رجع ولم يعبر . قال السهلكي . وسمعت محمد بن احمد المذكور يذكر ان أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا

قلت : وهذه جرأة عظيمة في اضافة المكر الى الله عز وجل وجعل الجنة التي هي نهاية المطالب وبالا واذا كانت وبالا للعارفين فكيف تكون لغيرهم . وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو الفرج الورثاني ثنا أحمد بن الحسن بن محمد ثني محمد بن جعفر الوراق ثنا أحمد بن العباس المهلبي قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول . العارفون في زيارة الله تعالى في الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وانى شاءت . وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها أبداً . فقيل له كيف ذلك قال . اذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقا ما فيه شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق . لم يرجع الى زيارة الله أبداً قال وقال أبو يزيد . في الدنيا يخدعك بالسوق وفي الآخرة يخدعك بالسوق فانت أبدا عبد السوق

قال المصنف رحمه الله . تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله

عز وجل جهل قبيح وانما يجعل لهم السوق ثوابا لا خديعة فاذا أذن لهم في أخذ ما في السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة ، ومن أين له ان من اختار شيئا من ذلك السوق لم يعد الى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبداً نعوذ بالله من هذا التخليط والتحكم في العلم والاخبار عن هذه المغيبات التي لا يعلمها الا نبي . فمن أين له علمها وكيف يكون كما قال أبو هريرة راوي الحديث لسعيد بن المسيب جمعني الله واياك في سوق الجنة . أفتراه طلب العقوبة بالبعد من الله عز وجل لكن بعد هؤلاء من العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط وليعلم ان الخواطر والواقعات انما هي ثمرات علمه فمن كان عالما كانت خواطره صحيحة لانها ثمرات علمه ومن كان جاهلا فثمرات الجهل كلها حظه . ورأيت بخط ابن عقيل . جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال : ما هؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم

قال المصنف رحمه الله . وهذا قلة علم وهوان قوله ـ كف عظام ـ احتقار للآدمي فان المؤمن اذا مات كان كف عظام . وقوله ـ جرت عليهم القضايا ـ فكذلك جرى على فرعون . وقوله ـ أعف عنهم ـ جهل بالشريعة لأن الله عز وجل اخبر أنه لا يغفر ان يشرك به لمن مات كافرا فلو قبلت شفاعته في كافر لقبل سؤال ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه . ومحمد صلى الله عليه وسلم في أمه . فنعوذ بالله من قلة العلم * أنبأنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى نا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن فوري الجوبائي نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود . فقال : معذورين . ومر بمقبرة المسلمين . فقال : مغرورين . قال المصنف رحمه الله : وفسره السراج . فقال كانه لما نظر الى ماسبق لهم من الشقاوة من غير فعل كان موجوداً في الازل وان الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر

قال المصنف رحمه الله : وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب

فرعون ولا غيره

ومن كلامهم في الحديث وغيره * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الازهرى نا أحمد بن ابراهيم بن الحسن ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل . قال جاء أبو تراب النخشبي الى أبى فجعل أبى يقول : فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب : يا شيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبى اليه وقال له : ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة * أنبأنا يحيى بن على المدبر نا أحمد بن على ابن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد البخارى يقول سمعت محمد بن الفضل العباسى يقول : كنا عند عبد الرحمن بن أبى حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة . فقال له يوسف بن الحسين : استحييت اليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم فى الجنة منذ مائة سنة ومائتى سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الارض . فبكى عبد الرحمن وقال : ياأبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفى هذا الكتاب لم أصنفه . قلت عفى الله عن ابن أبى حاتم فانه لو كان فقيها لرد عليه كما رد الامام أحمد على أبى تراب . ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل . ثم كون القوم فى الجنة لا يمنع ان نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء . ثم من لا يدرى الجرح والتعديل كيف هو كيف يزكي كلامه . وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عنه عن مثل هذا * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن يزيد الاردبيلى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه اليه لما علم انه العالم بأحواله . قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم * أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرىء على محمد بن الحسن الاهوازى وأنا أسمع سمعت أبابكر الديف الصوفى وقال سمعت الشبلى .

وقد سأله شاب يا أبا بكر . لم تقول الله ولا تقول لا إله الا الله . فقال الشبلى أستحيي أن أوجه اثبات بعد نفي . فقال الشاب . أريد حجة أقوى من هذه . فقال أخشى أن اؤخذ فى كلمة الجحود ولا أصل الى كلمة الاقرار

قال المصنف رحمه الله . انظروا الى هذا العلم الدقيق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقول لا اله الا الله ويحث عليها * وفى الصحيحين عنه انه كان يقول فى كل دبر صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له وكان يقول اذا قام لصلاة الليل لا اله الا أنت وذكر الثواب العظيم لمن يقول لا اله الا الله فانظروا الى هذه التعاطى على الشريعة واختيار مالم يختره رسول الله صلى الله عليه وسلم * أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل بن على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال بلغنى ان أبا الحسن النورى شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال ان الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الاجرة ولولا هاما أذن فلذلك قلت طعنه والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال (وان من شىء الا يسبح بحمده)

قال المصنف رحمه الله : انظروا اخوانى عصمنا الله واياكم من الذلل الى هذا الفقه الدقيق واستنباط الطريقة * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النورى : انه رأى رجلا قابضاً على لحية نفسه قال فقلت له نحي يدك عن لحية الله فرفع ذلك الى الخليفة فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه فقال بلغنى انه نبح كلب فقلت لبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل (وان من شىء الا يسبح بحمده) فقلت لبيك لانه ذكر الله . فاما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى غافل عن الله تعالى قال وقولك : للرجل نح يدك عن لحية الله . قلت نعم أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخرة له . قلت عدم العلم اوقع هؤلاء فى هذا التخبيط وما الذى أحوجه الى أن يوهم ان صفة الملك صفة الذات *

أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أحمد بن محمد ابن عبد العزيز قال سمعت الشبلي يقول : وقد سئل عن المعرفة . فقال : ويحك ماعرف الله من قال الله . والله لو عرفوه ما قالوه . قال ابن باكويه : وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البردانى يقول سمعت الشبلي يقول — يوماً لرجل يسأله : ما اسمك ؟ قال : آدم . قال : ويلك أتدرى ما صنع آدم ، باع ربه بلقمة . ثم كان يقول : سبحان من عذرنى بالسوداء . قال ابن باكويه وسمعت بكران بن أحمد الجيلي يقول : كان للشبلي جليس فاعلمه أنه يريد التوبة . فقال : بع مالك ، واقض دينك ، وطلق امرأتك . ففعل . فقال : أيتم أولادك بأن تؤيسهم من التعلق بك . فقال قد فعلت ، فجاء بكسر قد جمعها . فقال : اطرحها بين يدى الفقراء وكل معهم * انبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي قال : سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الحرفانى يقول: لا إله الا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا أحمد بن محمد الحلفاى قال : رأى الشبلي في الحمام غلاماً شاباً بلا مئزر . فقال له : يا غلام الا تغطى عورتك . فقال له : اسكت يا بطال ، ان كنت على الحق فلا تشهد الا الحق ، وان كنت على الباطل فلا تشهد الا الباطل . لأن الحق مشتغل بالحق . والباطل مشتغل بالباطل * أنبأنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر نا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافى الفقيه . قال : حضرت بشيراز عند قاضيها أبي سعيد بشر بن الحسن الداودى — وقد ارتفع اليه صوفي وصوفية — قال وأمر الصوفية هناك مفرط جدا حتى يقال ان عددهم الوف . فاستعدت الصوفية على زوجها الى القاضي فلما حضرا . قالت له : ايها القاضي ان هذا زوجي ويريد ان يطلقنى وليس له ذلك فان رأيت ان تمنعه . قال فأخذ القاضي أبو سعيد يتعجب — وحنق على مذاهب الصوفية — ثم قال لها : وكيف ليس له ذلك

. قالت : لانه تزوج بي ومعناه قائم بي والآن هو يذكر ان معناه قد انقضى مني وأنا معناي قائم فيه ما أنقضى فيجب عليه ان يصبر حتى ينقضى معناى منه كما انقضى معناه مني . فقال لى أبو سعيد : كيف ترى هذا الفقه ؟ ثم اصلح بينهما وخرجا من غير طلاق * وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب الاحياء ان بعضهم قال : للربوبية سر لو أظهر بطلت النبوة . وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم . وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الاحكام .

قلت : فانظروا اخوانى الى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة أن ظاهرها يخالف باطنها . قال أبو حامد : ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له : لو سألت الله ان يرده عليك . فقال : اعتراضى عليه فيما يقضى . اشد على من ذهاب ولدى

قلت : لقد طال تعجبى من أبي حامد كيف يحكى هذه الأشياء فى معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدرى ان الدعاء والسؤال ليس باعتراض وقال أحمد الغزالى : دخل يهودى الى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفى فقال له أريد أن اسلم على يديك . فقال : لا ترد . فاجتمع الناس وقالوا : ياشيخ تمنعه من الاسلام . فقال له : تريد بلا بد . قال : نعم . قال له : برئت من نفسك وما لك . قال : نعم . قال : هذا الاسلام عندى احملوه الآن الى الشيخ أبي حامد يعلمه لا لا المنافقين . يعنى لا اله الا الله . قلت : وهذا الكلام أظهر عيباً من أن يعاب فانه فى غاية القبيح * ومما يقارب هذه الحكاية فى دفع من أراد الاسلام * ما أخبرنا به أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت أخبرنى محمد بن أحمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا على الحسين بن محمد بن أحمد الماسرخسي يحكى عن جده وغيره من أهل بيته . قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ما سرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما . فاتفقا على ان يسلما فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده . فقال لهما حفص : أنتما من أجل النصارى وعبد الله بن المبارك

خارج فى هذه السنة الحج واذا اسلمنا على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فانه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك . فلما قدم أسلم الحسن . قلت : وهذه المحنة انما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لانه لوكان عنده حظ من علم لقال اسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة . واعجب من هذا أبو سعيد الذى قال لليهودى ما قال لانه يريد الاسلام وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع لمع المتصوفة . قال : كان سهل بن عبد الله اذا مرض أحد من أصحابه يقول له : اذا أردت أن تشتكى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل افرج فانه اسم من أسماء الشيطان . فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم نبهت على قلة علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم . وقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن على المقرى يقول سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء الهروى يقول سمعت عبد الرحمن بن محمد بن المظفر يقول سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين السلامى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت أيوب بن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد بن أدريس الشافعى يقول سمعت أبى يقول : صحبت الصوفية عشر سنين ما استفدت منهم الا هذين الحرفين . الوقت سيف . وأفضل العصمة أن لا تقدر

﴿ ذكر تلبيس ابليس فى الشطح والدعاوى ﴾

قال المصنف رحمه الله . اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت واذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر: ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن . وقال عمر عند موته الويل لعمر ان لم يغفر له . وقال ابن مسعود: ليتنى اذا مت لا أبعث . وقالت عائشة رضى الله عنها : ليتنى كنت نسياً منسياً . وقال سفيان الثورى لحماد بن سلمة عند الموت :أترجو أن يغفر لمثلى

قال المصنف رحمه الله : وانما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم

بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية قال الله عز وجل: (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال صلى الله عليه وسلم «أنا اعرفكم بالله واشدكم له خشية» ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى * أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى قال سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى يقول ثنا أبو بكر عمر بن يحيى ثنا أبو عمر الرهاوى ثنا احمد بن محمد الجزرى . قال سمعت أبا موسى الديلى يقول . سمعت أبا يزيد البسطامى يقول وددت انى قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال انى اعلم ان جهنم اذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق * أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه ني ابراهيم ابن محمد ني الحسن بن علويه ني طيفور بن عيسى ني أبو موسى الشبلى قال سمعت أبا يزيد يقول . اذا كان يوم القيامة وأدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فاسأله أن يدخلني النار . فقيل له: لم . قال: حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع اوليائه

قال المصنف رحمه الله : هذا الكلام من اقبح الاقوال لانه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ في وصفها فقال : (واتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) وقال : (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً) الى غير ذلك من الآيات * وقد أخبرنا عبد الاول نا ابن المظفر نا بن اعين ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا اسماعيل ثنا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة . قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه مايوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم . قالوا له الصحابة والله ان كانت لكافية يارسول الله . قال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل جزئها أخرجاه فى الصحيحين . وفى أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال . يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون

الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها » * أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا أبو علي التيمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن زيد عن مطرف عن كعب قال . قال عمر بن الخطاب : يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدرأت عملك مما ترى فاطرق عمر رضي الله عنه ملياً ثم أفاق قال : زدنا يا كعب . قلت : يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها . فاطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب قلت : يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مصطفى الا خر جاثياً على ركبتيه ويقول رب نفسي نفسي لا اسألك اليوم غير نفسي * أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا حمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا أبي ثنا احمد بن محمد بن الحسن البغدادي ثنا ابراهيم بن عبد الله الجنيد ثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان قال . سمعت كعب الاحبار يقول : اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول ياجبرائيل : ائتني بجهنم فيأتي بها جبريل فتقاد بسبعين الف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها افئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرئ الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتي لا اسألك الا نفسي . ويقول موسى بمناجاتي لا اسألك الا نفسي . وان عيسى ليقول بما اكرمتني لا اسألك الا نفسي لا اسألك مريم التي ولدتني : قلت وقد روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ياجبرائيل مالي أرى ميكائيل لا يضحك . فقال . ماضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لي عين مذ خلقت جهنم مخافة أن اعصي الله فيجعلني فيها .

وبكى عبد الله بن رواحة يوما فقالت: امرأته مالك تبكي فقال أنبئت اني وارد ولم انبأ اني صادر

قال المصنف رحمه الله: فاذا كانت هذه حالة الملائكة والانبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لاجل النار فكيف هانت عند هذا المدعي ثم أنه يقطع لنفسه بما لايدري به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة. وقد قال صلى الله عليه وسلم « من قال اني في الجنة فهو في النار » وهذا محمد بن واسع يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون أين يذهب بي يذهب بي والله الذي لا إله الا هو الى النار أو يعفو عني. قلت وهذا ان صح عن هذا المدعي فهذا غاية من تلبيس ابليس. وقد كان ابن عقيل يقول: قد حكي عن أبي يزيد انه قال: وما النار والله لئن رأيتها لاطفأتها بطرف مرقعتي أو نحو هذا قال. ومن قال هـذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فان الاهوان للشيء ثمرة الجحد لأن من يؤمن بالجن يقشعر في الظلمة ومن لا يؤمن لا ينزعج وربما قال ياجن خذوني. ومثل هذا القائل ينبغي أن يقرب الى وجهه شمعة فاذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار * انبأنا محمـد ابن ناصر نا أبو الفضـل السهلكي سمعت أبا عبـد الله الشيرازي يقول ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمـد قال سمعت الحسن بن علويه يقول: سمعت طيفور الصغير يقول سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول سمعت أبا يزيد يقول سبحاني سبحاني ما اعظم شأني. ثم قال: حسبي من نفسي حسبي. قلت هذا ان صح عنه فربما يكون الراوي لم يفهم لانه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه. فقال فيه: (سبحاني). حكاية عن الله لا عن نفسه. وقد تأوله له الجنيد بشيء ان لم يرجع الى ماقلته فليس بشيء * فانبأنا ابن ناصر نا السهلكي نا محمد بن القاسم الفارسي سمعت الحسن بن علي المذكر سمعت جعفرا الخلدي يقول: قيل للجنيد ان أبايزيد يقول سبحاني سبحاني أنا ربي الأعلى. فقال الجنيد. ان الرجل مستهلك في شهود الجلال فنطق بما استهلكه ، اذهله الحق

عن رؤيته اياه فلم يشهد الا الحق فنعته . قلت وهذا من الخرافات *
انبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الخشاب وانبأنا
ابو الوقت عبد الأول نا احمد بن أبي نصر الكوفاني نا الحسن بن محمد بن
فورى نا عبد الله بن علي السراج قال سمعت احمد بن سالم البصري بالبصرة
يقول في مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون قال (أنا ربكم
الأعلى) والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدار . وقال أبو يزيد سبحاني سبحاني .
لا يجوز الا لله . فقلت قد صح عندك هذا عن أبي يزيد فقال قد قال ذلك .
فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكي بان الله يقول سبحاني
لانا لو سمعنا رجلا يقول (لا إله الا أنا) علمنا انه يقرأ . وقد سألت جماعة من
اهل بسطام من بيت أبي يزيد عن هذا فقالوا لا نعرف هذا * انبأنا ابن ناصر
أنا ابو الفضل السهلكي قال سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت عامر
ابن احمد قال سمعت الكتاني يقول حدثني أبو موسى الديلي قال سمعت أبا
يزيد يقول . كنت أطوف حول البيت اطلبه فلما وصلت اليه رأيت البيت
يطوف حولي . قال الشيرازي . وحدثنا ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن
علوية يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول
حجة فرأيت البيت . وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت .
وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت . قال الشيرازي وسمعت
محمد بن داوديه يقول سمعت عبدالله بن سهل يقول . سمعت أبا موسى الديلي
يقول سمعت أبا يزيد « وسئل عن اللوح المحفوظ » — قال : أنا اللوح
المحفوظ . قال الشيرازي وسمعت المظفر بن عيسى المراغي . يقول سمعت
ميرين يقول سمعت أبا موسى الديلي . يقول قلت لأبي يزيد بلغني ان ثلاثة
قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت كيف . قال قلبي واحد
وهمي واحد . وروحي واحد . قلت وبلغني ان واحداً قلبه على قلب اسرافيل
قال وأنا ذلك الواحد ومثلي مثل بحر مصطلم لا أول له ولا آخر . قال السهلكي

وقرأ رجل عند أبي يزيد « ان بطش ربك لشديد » فقال : أبو يزيد وحياته ان بطشي أشد من بطشه . وقيل لابي يزيد : بلغنا انك من السبعة . قال : انا كل السبعة . وقيل له : ان الخلق كلهم تحت لواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : والله ان لوائي أعظم من لواء محمد . لوائي من نور تحته الجن والانس كلهم مع النبيين . وقال أبو يزيد : سبحاني سبحاني ما أعظم سلطاني ليس مثلي في السماء يوجد ولا مثلي صفة في الارض تعرف، أنا هو وهو أنا وهو هو * أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد بن أبي عمران ثنا منصور بن عبد الله . قال سمعت أبي يقول قيل لابي يزيد : انك من الابدال السبعة الذينهم أوتاد الارض . فقال : انا كل السبعة * أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكي قال سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسي قال سمعت أبا نصر بن محمد بن اسماعيل البخاري يقول سمعت أبا الحسين علي بن محمد الجرجاني يقول سمعت الحسن بن علي بن سلام يقول : دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم. فقال « اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدوني » . فقالوا : جن أبو يزيد فتركوه . قال : الفارسي وسمعت أبا بكر أحمد بن محمد النيسابوري قال سمعت أبا بكر أحمد ابن اسرائيل قال سمعت خالي علي بن الحسين يقول سمعت الحسن بن علي ابن حياة يقول سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد قال سمعت أبي يقول قال أبو يزيد : رفع بي مرة حتى قمت بين يديه. فقال لي : يا أبا يزيد ان خلقي يحبون ان يروك. قلت ياعزيزي وأنا أحب أن يروني. فقال يا أبا يزيد اني أريد أن أريكهم . فقلت : ياعزيزي ان كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك . فزيني بوحدانيتك، والبسني ربانيتك، وارفعني الى أحديتك .حتى اذا رآني خلقك . قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك . ففعل بي ذلك وأقامني وزينني ورفعني .ثم قال اخرج الى خلقي فخطوت من عنده خطوة الى الخلق خارجا فلما كان من الخطوة الثانية

غشي عليّ فنادى رد واحبيبي فانه لا يصبر عني ساعة * أنبأنا ابن ناصر نا السهلكي . قال سمعت محمد بن ابراهيم الواعظ . يقول سمعت محمد بن محمد الفقيه يقول سمعت أحمد بن محمد الصوفي يقول سمعت أباموسى يقول : حكى عن أبي يزيد انه قال أراد موسى عليه الصلاة والسلام ان يرى الله تعالى . وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يراني * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق الحيرى ثنا أبو عبد الله بن باكويه ثنا أبو الطيب بن الفرغاني قال سمعت الجنيد بن محمد يقول : دخل عليّ أمس رجل من أهل بسطام فذكر انه سمع أبا يزيد البسطامي يقول : اللهم ان كان في سابق علمك انك تعذب أحدا من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري .

قال المصنف رحمه الله : اما ماتقدم من دعاويه فلايخفى قبحها . وأما هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه . أحدها انه قال ان كان في سابق علمك وقد علمنا قطعا انه لابد من تعذيب خلق بالنار وقد سمى الله عز وجل منهم خلقا . كفرعون وأبي لهب فكيف يجوز ان يقال بعد القطع واليقين ان كان . والثاني قوله تعظم خلقي فلو قال لادفع عن المؤمنين ولكنه قال حتى لا تسع غيري فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل . والثالث أن يكون جاهلا بقدر هذه النار واثقا من نفسه بالصبر وكلا الامرين معدوم عنده قلت : ثم قال والله لقد تكلمت أمس مع الخضر في هذه المسألة . وكانت الملائكة يستحسنون قولي . والله عز وجل يسمع كلامي فلم يعب عليّ ولو عاب عليّ لأخرسني . قلت : لولا أن هذا الرجل قد نسب الي التغير لكان ينبغي ان يرد عليه . واين الخضر ومن أين له ان الملائكة تستحسن قوله . وكم من قول معيب لم يعاجل صاحبه بالعقوبة وقد بلغني عن ميمون عبده وقال بلغني عن سمنون انه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب أبياته التي قال فيها

وليس لي في سواك حظ   فكيفما ما شئت فامتحني

فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب وبيده قارورة يقطر منها بوله ويقول

للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب

قال المصنف رحمه الله : انه ليقشعر جلدى من هذه اتراه على ما يتقاوى وانما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأل الا العافية. وقد قال من عرف الله كلّ لسانه * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت محمد بن داود الجوزجانى يقول سمعت أبا العباس ابن عطاء يقول : كنت أردهذه الكرامات حتى حدثنى الثقة عن أبى الحسين النورى وسألته فقال كذا كان . قال : كنا فى سميرية فى دجلة فقالوا لابى الحسين اخرج لنا من دجلة سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقٍ . فحرك شفتيه . فاذا سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواق ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميرية . فقيل لابى الحسين : سألناك بالله الا أخبرتنا بماذا دعوت . فقال : قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتا فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى لاغرقن نفسى فى دجلة * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد بن محمد الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمدانى قال سمعت جعفرا الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت النورى يقول : كنت بالرقة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها . وقالوا : نخرج ونصطاد السمك . فقالوا لى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما انت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص. فقلت لمولاى : ان لم تخرج الىّ الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لارمين بنفسى فى الفرات . فاخرجت سمكة فوزنتها فاذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان . قال الجنيد : فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك قال: نعم * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد ابن ابى صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط . قال قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لاتزيد ولا تنقص لا آكل شيئاً . قال فبلغ ذلك الجنيد فقال : كان حكمه أن

تخرج له أفعى تلدغه * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول سمعت الرقي يقول سمعت على بن محمد ابن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : أكبر ذنبي اليه معرفتى اياه

قال المصنف رحمه الله: هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبي كما يعظم جرم من علم وعصى والا فهو قبيح * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى أحمد الحلفاى قال سمعت الشبلى يقول : احبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك * أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب . وأخبرنا أبو الوقت نا أحمد بن أبى نصر نا الحسن بن محمد بن فورى قالا نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد الهمدانى يقول : دخلت على الشبلى فلما قمت لاخرج كان يقول لى ولمن معى الى أن خرجنا من الدار : مروا انا معكم حيث ما كنتم وانتم فى رعايتى وكلاءتى * نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستانى نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول: دخل قوم على الشبلى فى مرض موته الذى مات فيه. فقالوا له كيف تجدك يا أبا بكر فانشأ يقول :

ان سلطان حبه * قال لا أقبل الرشا فسلوه فديته * لم يقتلنى تحرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلى انه قال : ان الله سبحانه وتعالى : قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) . والله لا رضى محمد صلى الله عليه وسلم وفي النار من أمته أحد . ثم قال : ان محمدا يشفع فى أمته وأنا أشفع بعده حتى لا يبقى فيها أحد . قال ابن عقيل والدعوى الاولى على النبى صلى الله عليه وسلم كاذبة فان النبى صلى الله عليه وسلم يرضى بعذاب الفجار كيف وقد لعن فى الخمر عشرة . فدعوى انه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة واقدام على جهل بحكم الشرع . ودعواه بانه من أهل الشفاعة فى الكل وانه يزيد على محمد صلى الله عليه وسلم كفر لان الانسان متى قطع لنفسه بانه من أهل الجنة كان

من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بانه على مقام يزيد على مقام النبوة بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى . قال ابن عقيل : والذى يمكنني فى حق أهل البدع لسانى وقلبي ولو اتسعت قدرتى فى السيف لرويت الثرى من دماء خلق * أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن أحمد ثنا أبو طاهر محمد بن على العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد الله الملقى صاحب أبى العباس بن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبدا فأثنى عليه حتى ابتلاه . فسألت الله تعالى أن يبتليني فما مضت الايام والليالى حتى خرج من دارى نيف وعشرون ميتاً ما رجع منهم أحد . قال : وذهب ماله ، وذهب عقله ، وذهب ولده وأهله . فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها . وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته :

حقا أقول لقد كلفتني شططا حمل هواك وصبرى ان ذا عجب

قلت : قلة علم هذا الرجل أمر أن سأل البلاء . وفى سؤال البلاء معنى التقاوى . وذاك من أقبح القبيح . و ـ الشطط ـ الجور ولا يجوز ان ينسب الى الله تعالى . واحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت فى زمان التغير * أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا محمد بن الحسين السلمى سمعت أبا الحسن على بن ابراهيم الحصرى . يقول : دعونى وبلائى ألستم أولاد آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، واسجد له ملائكته ، وأمره بأمره فخالفه ، اذا كان أول الدن دردى كيف يكون آخره . قال وقال الحصرى : كنت زمانا اذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول مَن الشيطان حتى يحضر كلام الحق .

قال المصنف رحمه الله قلت : اما القول الاول بأنه يتسلط على الانبياء . جرأة قبيحة وسوء أدب . واما الثانى فمخالف لما أمر الله عز وجل به فانه قال : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » * أخبرنا أبو بكر بن ابى طاهر نا عباد بن ابراهيم النسفي ثنا محمد بن الحسين السلمى قال وجدت فى كتاب أبى بخطه سمعت أبا العباس

أحمد بن محمد الدينورى يقول : قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها. باسامى أحدثوها سموا الطمع زيادة ، وسوء الادب اخلاصا ، والخروج عن الحق شطحا ، والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة ، والبخل جلادة . واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع الى الدنيا وصولا والسؤال عملا . وبذاءة اللسان ملامة وما هذا طريق القوم وقال ابن عقيل عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الاسماء مع حصول المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة ، أوقات وقالوا فى المردان شهود . وفى المعشوقة اخت . وفى المحبة مريد وفى الرقص والطرب وجد ، وفى مناخ اللعب والبطالة رباط . وهذا التغيير للاسماء لا يباح

بيان جملة مروية عن الصوفية من الافعال المنكرة

قلت : قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة وانما نذكر ههنا من أمهات الافعال وعجائبها * أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا أبو الحسن سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبدالله بن على السراج . قال ذكر عن ابن أبي الكريتى — وكان استاذ الجنيد — انه أصابته جنابة وكان عليه مرقعة ثخينة . فجاء الى شاطىء الدجلة والبرد شديد فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج . وقال : عقدت ان لا أنزعها عن بدنى حتى تجف على فلم تجف عليه شهراً * أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز بن على ثنا على بن عبد الله الهمدانى ثنا الخلدى ثني جنيد قال سمعت أبا جعفر بن الكريتى يقول : أصبت ليلة جنابة فاحتجت ان أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت فى نفسى تأخراً وتقصيراً وحدثتني نفسى لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء . أو تدخل حماما . والا أعيأ على نفسك . فقلت : واعجبا أنا أعامل الله تعالى فى طول عمرى . يجب له علىّ حق لا أجد المسارعة اليه . وأجد الوقوف والتباطى والتأخر . آليت لا أغتسل الا فى نهر . وآليت

لا اغتسلت الا في نهر . وآليت لا أغتسلت الا في مرقعتي هذه . وآليت لا عصرتها . وآليت لاجففتها في شمس . أو كما قال . قلت قد سبق في ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة التي لابن الكريتي وانه وزن أحد كميها فكان فيه أحد عشر رطلا . وانما ذكر هذا للناس ليبين اني فعلت الحسن الجميل . وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض . لان هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل . وانما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء . ولا يجوز لاحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنونا من التعذيب . القاؤها في الماء البارد ، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد . ولعله قد بقي من مغابنه مالم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعة ، وبقاءها عليه مبتلة شهرا وذلك يمنعه لذة النوم . وكل هذا الفعل خطأ وإثم وربما كان ذلك سببا لمرضه أو قتله

* أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا أخبرنا حمد بن أحمد ابن عبد الله الاصبهاني . قال : كانت أم علي زوجة أحمد بن حضرويه قد أحلت زوجها أحمد من صداقها على أن يزوربها أبا يزيد البسطامي فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها . فلما قال لها أحمد : رأيت منك عجبا . اسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد . قالت : لاني لما نظرت اليه فقدت حظوظ نفسي . وكلما نظرت اليك رجعت الي حظوظ نفسي . فلما أراد أحمد الخروج من عند أبي يزيد قال له : اوصني . قال : تعلم الفتوة من زوجتك

* أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه سمعت أبا بكر الفازي (وفازقرية بطرسوس) سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف بن الحسين يقول . كان بين أحمد بن أبي الحواري وبين أبي سليمان عقد ان لا يخالفه في شيء يأمره به فجاءه يوما وهو يتكلم في المجلس فقال ان التنور قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فاعاد مرة أو مرتين فقال له في الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك . فقال أبو سليمان الحقوه فان بيني وبينه عقدا أن لا يخالفني في شيء آمره به فقام وقاموا معه فجاؤا الى التنور فوجدوه قاعدا في وسطه فاخذ

بيده واقامه فما أصابه خدش

قال المصنف رحمه الله هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله النار معصية . وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها رجلا من الانصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطبا فجمعوا ثم دعا بنار فاضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم ان يدخلوها فقال لهم شاب انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي صلى الله عليه وسلم فان أمركم ان تدخلوها فادخلوا فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا انما الطاعة في المعروف » * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرني الحسن بن جعفر بن علي أخبرني عبد الله بن ابراهيم الجزري قال . قال أبو الخير الديلمي قال كنت جالسا عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطني المنديل الذي دفعته اليك قال نعم فدفعه اليها . فقالت كم الاجرة فقال درهمان فقالت ما معي الساعة شيء وأنا قد ترددت اليك مراراً فلم أرك . آتيك به غدا ان شاء الله فقال لها خير ان أتيتني بهما ولم تجديني فارمي بهما في دجلة فاني اذا جئت أخذتهما . فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لها خير هذا التفتيش فضول منك افعلي ما أمرتك . قالت ان شاء الله فمرت المرأة قال أبو الحسين فجئت من الغد وكان خير غائبا واذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة في دجلة واذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصت وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ واذا بالسرطان قد خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها . فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح به في حياتي فاجبته الى ذلك

قال المصنف رحمه الله : صحة مثل هذا يبعد . ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا اضاعة . وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن اضاعة المال » ولا تلتفت الى قول من يزعم ان هذا كرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفا لشرعه * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أبا الفرج الورثاني سمعت علي بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النوري ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره . فقال : طالبتني نفسي بأكل التمر فجعلت أدافعها فتأبى علي فخرجت فاشتريت . فلما ان أكلت قلت لها قومي فصلي فأبت علي فقلت : لله علي أن قعدت الى الارض أربعين يوما الا في التشهد فما قعدت . قلت : من سمع هذا من الجهال يقول ما أحسن هذه المجاهدة . ولا يدري ان هذا الفعل لا يحل لأنه حمل على النفس مالا يجوز ومنعها حقها من الراحة * وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الاحياء قال : كان بعض الشيوخ في بداية ارادته يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع . قال : وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل . قال : وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملاء من الناس ليعود نفسه الحلم . قال : وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعا

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد كيف حكى هذه الاشياء ولم ينكرها . وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم وقال قبل ان يورد هذه الحكايات : ينبغي للشيخ أن ينظر الى حالة المبتدئ فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه في الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه . وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج الى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك . وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة

المطبخ ومواضع الدخان . وان رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم . وان رآه عزبا ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً

قلت : واني لأتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم الى وجهه ويورثه ذلك مرضا شديدا وكيف يحل رمي المال في البحر . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال . وهل يحل سب مسلم بلا سبب . وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك . وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب باداء الحج . وكيف يحل السؤال لمن يقدر ان يكتسب . فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف

* أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكي نا أبو علي عبد الله بن ابراهيم النيسابوري ثنا أبو الحسن علي بن جهضم ثنا أبو صالح الدامغاني عن الحسن ابن علي الدامغاني . قال : كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد لا يفارقه . فقال له ذات يوم : يا أستاذ انا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات وليس أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئا البتة . فقال له أبو يزيد : لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وانت على ما أراك لا تجد من هذا العلم ذرة . قال ولم يا أستاذ . قال : لأنك محجوب بنفسك فقال له افلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال : نعم ولكنك لم تقبل قال بلى أقبل واعمل ماتقول . قال أبو يزيد اذهب الساعة الى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وابرز بعباءة وعلق في عنقك مخلاة واملأها جوزا واجمع حولك صبيانا وقل باعلا صوتك ياصبيان : من يصفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل الى سوقك الذي تعظم فيه . فقال يا أبا يزيد سبحان الله تقول لي مثل هذا ويحسن ان افعل هذا . فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك . قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها .

فقال : يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلني على غيره حتى أفعله . فقال أبو يزيد : ابتدر هـذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك اعرفك ما يصلح لك. قال: لا أطيق هذا . قال : انك لا تقبل

قال المصنف رحمه الله : قلت . ليس في شرعنا بحمد الله من هذا شيء بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام « ليس المؤمن أن يذل نفسه » ولقد فاتت الجمعة حذيفة فلقي الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين النقص في قصد الصلاة . وهل طالب الشرع أحدا بمحو أثر النفس وقد قال صلى الله عليه وسلم «من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » كل هـذا الابقاء على جاه النفس . ولو أمر بهلول الصبيان ان يصفعوه لكان قبيحاً فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التي تطالب المبتدئ بما لا يرضاه الشرع فينفر *وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الاحياء عن يحيى بن معاذ انه قال قلت لابي يزيد : هل سألت الله تعالى المعرفة فقال : عزت عليه ان يعرفه سواه . قلت : هذا اقرار بالجهل فان كان يشير الى معرفة الله تعالى في الجملة وانه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسع أحدا من المسلمين جهله وان تخايل له ان معرفته هي اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به . وحكى أبو حامد : ان أبا تراب النخشبي قال لمريد له . لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة . قلت : وهذا فوق الجنون بدرجات * وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني انه قال : نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فدخلت الحمام وغيبت على ثيابا فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت فجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخـذوا الثياب وصفعوني فصرت بعـد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي . قال أبو حامد : فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس وأرباب الاحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط

منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام قلت : سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لايحل . والعجب انه يحكيه ويستحسنه ويسمي اصحابه ارباب أحوال وأي حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في النهي عنه . وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي . وقد عدم في الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل مالايحل فيها . وهذا من جنس ماتفعله الامراء الجهلة من قطع من لايجب قطعه وقتل من لايجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك أن الشريعة ما تفي بالسياسة . وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله في الارض . ولو أن رجلا وقف مع امرأته في طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لايعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك . ثم كيف يجوز التصرف في مال الغير بغير اذنه . ثم في نص مذهب احمد والشافعي ان من سرق من الحمام ثيابا عليها حافظ وجب قطع يده ثم من ارباب الاحوال حتى يعملون بواقعاتهم كلا والله ان لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها الى العمل برأيه لم يقبل منه . فعجبي من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف اكثر من تعجبي من هذا المستلب الثياب * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن احمد النجار يقول : كان علي بن بابويه من الصوفية فاشترى يوما من الايام قطعة لحم فأحب أن يحمله الى البيت فاستحيي من أهل السوق فعلق اللحم في عنقه وحمله الى بيته .

قلت : واعجباً من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع . وقد ركز في الطباع ان الانسان لايحب أن يرى الا متجملا في ثيابه . وانه يستحيي من العري وكشف الرأس . والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الاهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح في الشرع والعقل فهو اسقاط مروءة لا رياضة كما لو حمل نعليه على رأسه .

وقد جاء في الحديث « الأكل في السوق دناءة » فان الله قد أكرم الآدمي وجعل لكثير من الناس من يخدمه . فليس من الدين اذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين . وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فاحبلها . فقيل له : لم لا تعزل . فقال : بلغني أن العزل مكروه . فقيل له : وما بلغك أن الزنا حرام . وهؤلاء الجهلة قد اسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله في الارض * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن المديني . يقول : خرجت مرة من بغداد الى نهر الناشرية وكان في احدى قرى ذلك النهر رجل يميل الى اصحابنا . فبينا أنا امشي على شاطئ النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة فجمعتها وقلت هذه لفقير . ومشيت قليلا فسمعت همهمة وتخبيطا في الماء . فنظرت فاذا بأبي الحسن النوري قد القى نفسه في الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء . فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت اليه فنظر اليّ . وقال يا أبا الحسن : أما ترى ما يعمل بي . قد أماتني موتات . وقال لي مالك منا الا الذكر الذي لسائر الناس . وأخذ يبكي ويقول . ترى ما يفعل بي . فازلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته الى دار ذلك الرجل . فأقمنا عنده الى العصر ثم خرجنا الى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الابواب ويصعدون السطوح فسألناهم . فقالوا : السباع تدخل القرية بالليل . وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النوري هذا الحديث قام فرمي بنفسه في الاجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول . أين أنت يا سبع . فما شككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك في أصول القصب . فلما كان قريب الصبح . جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ما قدرنا عليه

فبقي أربعين يوماً لا يمشي على رجليه . فسألته أي شيء كان ذلك الحال . قال : لما ذكروا السبع وجدت في نفسي فزعاً فقلت لأطرحنك الى ما تفزعين منه .

قلت : لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع في الماء والطين . وكيف يجوز للانسان أن يلقي نفسه في ماء وطين وهل هذا الا فعل المجانين ؟ وأين الهيبة والتعظيم من قوله : ترى ما يفعل بي وما وجه هـذا الانبساط وينبغي أن تجف الالسن في أفواهها هيبة . ثم ما الذي يريد غير الذكر . ولقد خرج عن الشريعة بخروجه الى السبع ومشيه على القصب المقطوع . وهل يجوز في الشرع أن يلقي الانسان نفسه الى سبع . أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هذا في طوقها ولا طلبه الشرع منها . ولقد سمع هـذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هـذا القول فأجابه بأجود جواب * أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا علي بن أبي صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الحواط نا أبو أحمد المغازي قال : رأيت النوري وقد جعل نفسه الى أسفل ورجليه الى فوق وهو يقول . من الخلق أوحشتني ، ومن النفس والمال والدنيا أفقرتني . ويقول : ما معك الا علم وذكر . قال فقلت له ان رضيت والا فانطح برأسك الحائط * أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الخشاب نا عبد الله بن علي السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول حمل أبو الحسين النوري ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له : وجلس على قنطرة وجعل يرمي واحداً واحداً منها الى الماء ويقول . حبتي ـ تريدي أن تخدعيني منك بمثل هـذا . قال السراج . فقال بعض الناس لو أنفقها في سبيل الله كان خيراً له . فقلت . ان كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب أن يرميها في الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنتها كما قال الله عز وجل (فطفق مسحاً بالسوق والاعناق) . قلت . لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل . وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لا يسلم الا الى

رشيد ، وجعله قواماً للآدمي والعقل يشهد بأنه انما خلق للمصالح . فاذا رمى به الانسان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع . واعتذار السراج له أقبح من فعله . لأنه ان كان خاف فتنته فينبغي أن يرميه الى فقير ويتخلص ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لانه يحتج بمسح السوق والاعناق . ويظن بذلك جواز الفساد والفساد لا يجوز في شريعة . وانما مسح بيده عليها وقال أنت في سبيل الله وقد سبق بيان هذا . وقال أبو نصر السراج في كتاب اللمع قال أبو جعفر الدراج . خرج أستاذي يوماً يتطهر فأخذت كنفه ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلا وبات لم يأ كل شيئاً . فلما رجع قلت له . في كنفك كذا وكذا درهماً ونحن جياع . فقال أخذته ؟ رده . ثم قال لي بعد ذلك . خذه واشتر به شيئاً . فقلت له ، بحق معبودك ما أمر هذه القطع . فقال . لم يرزقني الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصي أن تدفن معي فاذا كان يوم القيامة رددتها الى الله وأقول هذا الذي أعطيتني من الدنيا * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبدالله الحصري يقول ، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين المشائين فيتصدق من الابواب ما يفطر عليه

قال المصنف رحمه الله قلت . لو علم هذا الرجل أن المسئلة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل . ولو قدرنا جوازها . فأين أنفة النفس من ذل الطلب * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل ثني أبي ثنا اسماعيل ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخي الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا تزال المسئلة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم . قال أحمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير بن العوام قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ الرجل حبلا فيحتطب ثم يجيء فيضعه في السوق فيبيعه ثم يستغني به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه

قلت : انفرد به البخاري واتفقا على الذي قبله . وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي – والمرة – القوة . وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل اذا احكمت فتله . فمعنى المرة في الحديث شدة أسر الخلق وصحة البدن التي يكون معها احتمال الكل والتعب . قال الشافعي رضي الله عنه : لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر بن ثابت أنبأنا أبو سعد الماليني قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمي سمعت أبا الحسن يونس بن أبي بكر الشبلي يقول : قام أبي ليلة فترك فرد رجل على السطح والاخرى على الدار . فسمعته يقول لئن أطرفت لأرمين بك الى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لي : يا بني ما سمعت الليلة ذاكرا لله عز وجل الا ديكا يساوي دانقين

قال المصنف رحمه الله : هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان : احدهما : مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معينا على نفسه ولا شك انه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية . والثاني : انه منع عينه حظها من النوم . وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجسدك عليك حقا وان لزوجتك عليك حقا . وان لعينك حقا . وقال : اذا نعس أحدكم فليرقد : ومر بحبل قد مدته زينب فاذا فترت أمسكت به فامر بحله . وقال : ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد وقد تقدمت هذه الاحاديث في كتابنا هذا * أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدي نا أبو بكر الاردستاني ثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا العباس البغدادي يقول : كنا نصحب أبا الحسن ابن أبي بكر الشبلي ونحن أحداث . فاضافنا ليلة فقلنا بشرط ان لا تدخل علينا

أباك . فقال لا يدخل . فدخلنا داره فلما أكلنا اذا نحن بالشبلي وبين كل أصبعين من أصابعه شمعة ـ ثمان شموع ـ فجاء وقعد وسطنا فاحتشمناه . فقال :ياسادة عدوني فيما بينكم طشت شموع . ثم قال : أين غلامي أبو العباس . فتقدم اليه فقال غنني الصوت الذي كنت تغني :

ولما بلغ الحيرة حادي (١) . . . . جملي حارا
فقلت احطط بها رحلي ولا تحفل بمن سارا

فغنيته فتغير والقى الشموع من يده وخرج * أخبرنا ابن ناصر ثنا هبة الله بن عبد الله الواسطي نا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ نا محمد بن أحمد بن أبي الفوارس نا الحسين بن أحمد بن عبد الرحمن الصفار قال : خرج الشبلي يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول :

للناس فطر وعيد اني فريد وحيد

* أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت نا التنوخي ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي صابر الدلال . قال : وقفت على الشبلي في قبة الشعراء في جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه في الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجها منه يعرف بابن مسلم . فقال له : تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح ياشيطان عنا فلم يبرح فقال له في الثالثة تنح والا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب في غاية الحسن تساوي جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلي :

طرحوا اللحم للبزا ة على ذروتي عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل : من قال هذا فقد اخطأ طريق الشرع . لانه يقول: ماخلق الله عز وجل هذا الانسان إلا للافتتان به . وليس كذلك وانما خلقه للاعتبار

---

(١) كذا في النسخة وسقطت هذه الحكاية وما بعدها من النسخة الثانية

والامتحان . فان الشمس خلقت لتضيء لا لتعبد * وباسناد عن أحمد بن محمد النهاوندي . يقول : مات للشبلي ابن ولد كان اسمه عليا فجزت أمه شعرها عليه . وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها . فقيل له : يا أستاذ ماحملك على هذا . فقال : جزت هذه شعرها على مفقود . ألا احلق انا لحيتي على موجود * وباسناد عن عبد الله بن علي السراج . قال : ربما كان الشبلي يلبس ثيابا مثمنة ثم ينزعها ويضعها فوق النار . قال : وذكر عنه انه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار . وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار . قال السراج : انما أحرقه بالنار لانه كان يشغله عن ذكر الله . قلت : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله . قال السراج : وحكى عنه انه باع عقارا ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئا . وسمع قارئا يقرأ «اخسئوا فيها» . فقال : ليتني كنت واحداً منهم . قلت : وهذا الرجل ظن ان الذي يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهم كلام اهانة فأي شيء هذا حتى يطلب . قال السراج : وقال الشبلي يوما في مجلسه ان لله عباداً لو بزقوا على جهنم لاطفؤها . قلت : وهذا من جنس ماذكرناه عن أبي يزيد وكلاهما من إناء واحد * وباسناد عن أبي علي الدقاق يقول : بلغني ان الشبلي اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم

قال المصنف رحمه الله: وهذا فعل قبيح لايحل لمسلم أن يؤذي نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز ادامة السهر لان فيه اسقاط حق النفس والظاهر ان دوام السهر والتقلل من الطعام اخرجه الى هذه الاحوال والافعال * وباسناد عن أبي عبد الله الرازي قال : كساني رجل صوفا فرأيت على رأس الشبلي قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيتها في نفسي . فلما قام الشبلي من مجلسه التفت اليّ فتبعته . وكان عادته اذا أراد أن أتبعه يلتفت اليّ فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فاحرقهما . قلت : وقد حكى أبو حامد الغزالي ان الشبلي أخذ خمسين دينارا فرماها في

دجلة وقال : ما أعزك أحد الا أذله الله . وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لانه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الانكار فاين أثر الفقه * وباسناد عن حسين بن عبد الله القزويني قال * حدثني من كان مجالسا لبنان انه قال تعذر على قوتي يوما ولحقني ضرورة فرأيت قطعة ذهب مطروحة في الطريق فاردت أخذها فقلت لقطة فتركتها . ثم ذكرت الحديث الذي يروى «لو ان الدنيا كانت دما عبيطا لكان قوت المسلم منها حلالا» فاخذتها وتركتها في في ومشيت غير بعيد فاذا انا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم . فقال له واحد : متى يجد العبد حقيقة الصدق ؟ فقال اذا رمي القطعة من الشدق فاخرجتها من في ورميتها

قال المصنف رحمه الله : لا تختلف الفقهاء ان رميه اياها لا يجوز . والعجب انه رماها بقول صبي لايدري ما قال . وقد حكى أبو حامد الغزالي : ان شقيقا البلخي جاء الى أبي القاسم الزاهد وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له أي شيء معك قال لوزات دفعها الي أخ لي وقال أحب أن تفطر عليها . فقال : ياشقيق وأنت تحدث نفسك ان تبقى الى الليل لا كلمتك أبدا فاغلق الباب في وجهي ودخل

قال المصنف رحمه الله انظروا الى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلما على فعل جائز بل مندوب لان الانسان مأمور ان يستعد لنفسه ما يفطر عليه واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل . (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) . وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لازواجه قوت سنة . وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله وادخر الباقي ولم ينكر عليه . فالجهل بالعلم افسد هؤلاء الزهاد * وباسناد عن أحمد بن اسحاق العماني . قال : رأيت بالهند شيخا وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض احدى عينيه فقلت له : ياصابر مابلغ من صبرك قال اني هويت النظر الى زينة الدنيا فلم أحب ان اشتفي منها فغمضت عيني منذ ثمانين سنة فلم أفتحها . وقد حكى لنا عن

آخر : انه قبر أحد عينيه وقال : النظر الى الدنيا بعينين اسراف . قلت : كان قصده أن ينظر الى الدنيا بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول . وقد حكى يوسف بن أيوب الهمداني عن شيخه عبد الله الجوني . انه كان يقول : هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء . وقال : كنت اخدم في الخلاء فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه قالت لي نفسي اذهبت عمرك في هذا . فقلت : انت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس البئر ورميت نفسي فيها وجعلت أدخل النجاسة في فمي . فجاؤا فاخرجوني وغسلوني . قلت : انظروا الى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الاصحاب خلفه دولة . واعتقد ان تلك الدولة انما حصلت بالقاء نفسه في النجاسة وادخالها في فيه . وقد نال بذلك فضيلة اثيب عليها بكثرة الاصحاب . وهذا الذى فعله معصية توجب العقوبة . وفي الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم * وباسناد عن محمد بن علي الكتاني . يقول : دخل الحسين بن منصور مكة في ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته . قال السوسي : أخذنا منها قملة فوزناها فاذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته . قلت : انظروا الى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع واباح حلق الشعر المحظور على المحرم لاجل تأذيه من القمل وجبر الحظر بالفدية . وأجهل من هذا من اعتقد هذا رياضته

* وباسناد عن أبي عبد الله بن مفلح يقول : كان عندنا فقير صوفي في الجامع فجاع مرة جوعا شديدا . فقال : يارب إما ان تطعمني واما ان ترميني بشرف المسجد . فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم . ويقول : ايش تبالي بقتل العالم . قلت : قتل الله هذا ولا أحياه في مقابلته هذا الاستنباط . هلا قام الى الكسب أو الى الكدية * وباسناد عن غلام خليل . قال : رأيت فقيرا يعدو ويلتفت ويقول : أشهدكم على الله هوذا يقتلني . وسقط ميتا

(فصل) وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا

مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه . وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله بمخالفة الشرع . قال : وفى القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الاشياء ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . وقال فى حق ما عز هلا سترته بثوبك ياهـذا . واجتاز على رسول الله صلى عليه وسلم بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته . فقال له . انها صفية : فقد علم الناس التجافى عما يوجب سوء الظن فان المؤمنين شهداء الله فى الارض . وخرج حذيفة الى الجمعة ففاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن الناس به . وقد قدمناهذه وقال أبو بكر الصديق . لرجل قال له انى لمست امرأة وقبلتها فقال تب الى الله ولا تحدث أحدا بذلك . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انى أتيت من أجنبية ما دون الزنا يارسول الله . قال الم تصل معنا قال بلى يارسول الله قال الم تعلم ان الصلاتين تكفر ما بينهما . وقال رجل لبعض الصحابة : انى فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك . فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس

(فصل) وقد اندس في الصوفية أهل الاباحة فتشبهوا بهم حفظا لدمائهم وهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام . القسم الاول كفار فنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى ان ما جاء به الانبياء محال وهؤلاء لما أرادوا امراح انفسهم فى شهواتها لم يجدوا شيئاً يحقنون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهرا وهم فى الباطن كفرة وليس لهؤلاء الا السيف لعنهم الله . والقسم الثانى : قوم يقرون بالاسلام الا انهم ينقسمون قسمين القسم الاول مقلدون فى أفعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه . والقسم الثالث . قوم عرضت لهم شبهات

فعملوا بمقتضاها * والاصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر فى مذاهب الناس لبس عليهم ابليس فأراهم ان الشبهة تعارض الحجج وان التمييز يعسر وان المقصود أجل من أن ينال بالعلم وانما الظفر به رزق يساق الى العبد لا بالطلب فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العلم فصاروا يبغضون اسم العلم كما يبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمر ويقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فان أنكر عليهم عالم قالوا: لانه معنا موافق لنا فى الباطن وانما يظهر ضد ماهو فيه للعوام الضعاف العقول . فان جد فى خلافهم قالوا: هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود . ثم عملوا على شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم علم . فقد بطل انكارهم العلم وأنا اذكر شبهاتهم واكشفها ان شاء الله تعالى وهى ست شبهات

الشبهة الاولى : أنهم قالوا اذا كانت الامور مقدرة فى القدم وان أقواما خصوا بالسعادة وأقواما بالشقاوة ، والسعيد لايشقى والشقى لايسعد ، والاعمال لاتراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة وقد سبقنا وجود الاعمال فلا وجه لاتعاب النفس فى عمل ولا نكفها عن ملذوذ لان المكتوب فى القدر واقع لا محالة

والجواب عن هذه الشبهة : أن يقال لهم هذا رد لجميع الشرائع وابطال لجميع أحكام الكتب وتبكيت للانبياء كلهم فيما جاؤا به لانه اذا قال فى القرآن أن أقيموا الصلاة . قال القائل لماذا ؟ ان كنت سعيدا فصيرى الى السعادة وان كنت شقياً فصيرى الى الشقاوة فما تنفعنى اقامة الصلاة . وكذلك اذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنع نفسى ملذوذها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما . وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له (هل لك الى أن تزكى) مثل هذا الكلام ، ثم يترقى الى الخالق . فيقول : ما فائدة ارسالك الرسل وسيجرى ما قدرته . وما يفضى الى رد الكتب وتجهيل الرسل محال

باطل . ولهذا كان رد الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه حين قالوا الاتكال . فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . واعلم ان للآدمى كسباهو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب فاذا خالف تبين لنا ان الله عزوجل قضى في السابق بان يخالفه وانما يعاقبه على خلافه لا على قضائه . ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر . وانما ردهم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمل لأن الامر والنهى حال ظاهر والمقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا ان نترك ما عرفناه من تكليف ما لا نعلمه من المقضي وقوله « فكل ميسر لما خلق له » اشارة الى أسباب القدر . فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه . ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قلبه وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح ومن لم يقض له بولد لم ييسر له

الشبهة الثانية انهم قالوا ان الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغى ان نتعب أنفسنا في غير فائدة

وجواب هذه الشبهة ان نجيب أولا بالجواب الاول ونقول هذا رد على الشرع فيما أمر به فكأنا قلنا للرسول والمرسل لا فائدة فيما أمرتنا به ثم نتكلم على الشبهة فنقول من يتوهم ان الله جل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضا فما عرف الله جل جلاله لانه مقدس عن الاعراض والاغراض ومن انتفاع أو ضرر وانما نفع الاعمال تعود على أنفسنا كما قال عزوجل : (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه) وانما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما ان للبدن مصالح من الاغذية ومضار فللنفس مصالح ومضار من العلم والجهل والاعتقاد والعمل فالشرع كالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح هذا مذهب من علل وأكثر العلماء قالوا افعاله لا تعلل . وجواب آخر : وهو انه اذا كان غنياً عن أعمالنا كان غنياً عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته فكذلك أوجب طاعته فينبغى ان ننظر الى أمره لا الى الغرض بأمره (١)

(١) الجواب الاخير لم يرد فى النسخة الثانية

الشبهة الثالثة : قالوا قد ثبت سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وهي لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها

فالجواب كالجواب الاول ؛ لان هذا القول يتضمن اطراح ماجاء به الرسل من الوعيد وتهوين ما شددت في التحذير منه في ذلك وبالغت في ذكر عقابه ومما يكشف التلبيس في هذا ان الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الاولياء والانبياء يبتلون بالامراض والجوع ويؤاخذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة . فالخليل يقول يوم القيامة نفسي نفسي ، والكليم يقول نفسي نفسي . وهذا عمر رضي الله عنه يقول الويل لعمران لم يغفر له واعلم ان من رجا الرحمة تعرض لاسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما ان من رجا ان يحصد زرع . وقد قال الله عز وجل : (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) يعني ان الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد وقد قال عليه الصلاة والسلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني » وقد قال معروف الكرخي : رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق . واعلم انه ليس في الافعال التي تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب ان يؤمن عقابه انما في أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه في خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من اخذانه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع دينار لا يؤمن ان يكون عقابه غدا هكذا

الشبهة الرابعة : ان قوماً منهم وقع لهم ان المراد رياضة النفوس لتخلص من اكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا مالنا نتعب أنفسنا في أمر لا يحصل لبشر فتركوا العمل . وكشف هذا التلبيس أنهم ظنوا أن المراد قمع ما في البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك . وليس هذا مراد الشرع ولا يتصور ازالة ما في الطبع بالرياضة وانما

خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان ، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل . ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مركوز في الطباع لانه يوصل الى الشهوات . وانما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذي من جميع ذلك وردها الى الاعتدال فيه . وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وانما تنتهي عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان الى نهيها . وقد قال : الله عز وجل (والكاظمين الغيظ) وما قال والفاقدين الغيظ . والكظم رد الغيظ يقال كظم البعير على جرته اذا ردها في حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال وانما المقصود بالرياضة كسر شرة شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهي ولا يبالي بما جنى .

الشبهة الخامسة ان قوماً منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا : لا نبالي الآن ما عملنا وانما الأوامر والنواهي رسوم للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم . قالوا : وحاصل النبوة ترجع الى الحكمة والمصلحة والمراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل في حجر التكليف لانا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة . وهؤلاء قد رأوا أن من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتى انهم قالوا أن رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبي فلم يقشعر جلده فان اقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ نفسه ولم يكمل بعد اذ لو كمل لماتت نفسه فسموا الغيرة نفسا وسموا ذهاب الحمية الذي هو وصف المخانيث كمال الايمان . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن الريوندية كانوا يستحلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته

وكشف هذه الشبهة أنه مادامت الاشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس . وقد يغلب صفاء

القلب على كدر الطبع الا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شيء يحركه كالمدرة تقع في الماء الذي تحته حمأة وما مثل هذا الطبع الا كالماء يجري بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر . ومن ادعي تغير طبعه كذب ومن قال انى لا أنظر الى المستحسنات بشهوة لم يصدق . كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم . وقد رأينا أقواماً منهم يصافحون النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم لا يصافح المرأة وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون السلامة وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه وأين الخلاص من جولان الفكر الرديء . وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو خلا عظمان نخران لهم أحدهما بالآخر . يشير الى الشيخ والعجوز * وباسناد عن ابن شاهين قال : ومن الصوفية قوم أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحدهم للمرأة تؤاخيني على ترك الاعتراض فيما بيننا . قلت : وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن علي المروزي كان يقول : لامرأة أخيه وهي معه في الدار استتري مني زماناً . ثم قال لها : كوني كيف شئت . قال الترمذي : وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت : أما موت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الآدمي وانما يضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهي اللمس والنظر . ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قيل لأبي نصر النصراباذي ان بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم في رؤيتهن . فقال ما دامت الاشباح قائمة فان الأمر والنهي باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترئ على الشبهات الا من يتعرض للمحرمات وقد قال أبو علي الروذباري وسئل عمن يقول وصلت الى درجة لا تؤثر في اختلاف

الاحوال فقال: قد وصل ولكن الى سقر * وباسناد عن الجريري يقول سمعت أبا القسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله عز وجل. فقال الجنيد: ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا. وأن العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها. ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بي دونها لانه أوكد في معرفتي به وأقوى في حالي * وباسناد عن أبي محمد المرتعش يقول سمعت أبا الحسين النوري يقول من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعي فلا تقربنه ومن رأيته يدعي حالة باطنة لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه *

الشبهة السادسة ان أقواماً بالغوا في الرياضة فرأوا مايشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا أنهم قد وصلوا الى المقصود فرفضوا الأوامر والنواهي وقالوا انما هي أدوات الوصول الى المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شيء ومن وصل الى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الاعمال الا أنهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية في المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعدوا عن وضع الشرع الى أوضاعهم المخترعة. فنهم من عبد سواه تعظيما له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم. ومنهم من وحد الا أنه أسقط العبادات وقال هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك فان الله عز وجل لما علم أن معرفته ذات قهر بعيد وجوّ عال وبعيد أن يتقي من لم يعرف خوف النار لان الخلق قد عرفوا قدر لذعها وقال لاهل المعرفة «ويحذركم الله نفسه» وعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضي الانس بالامثال ووضع الجهات والامكنة

والابنية والحجارة للانسان ، والاستقبال غافلا عن حقائق الإيمان به فقال : (وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله) وقال: (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) فعلم ان المعول على المقاصد ولا يكفي مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية

* وباسناد عن أبي القاسم بن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه . قال أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجلا يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون اليه فيتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق . فاستغوى الضعفاء من الناس الى هذا المذهب . قال : فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمهن غيرهن . فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير الى الدار وأخذ يعزي المرأة بكلام الصوفية الى أن قالت : قد تعزيت . فقال لها : هاهنا غير . فقالت : لا غير قال : فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم . ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الأنوار ، وتصفو الارواح ، ويقع الاخلافات وتنزل البركات . قال فقلن النساء اذا شئت . قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم . فلما كان سحر خرجوا . قال المحسن : قوله ـ ها هنا غير أي ها هنا غير موافق المذهب . فقالت : لا غير أي ليس مخالف وقوله ـ نترك الامتزاج ـ كناية عن الممازجة في الوطء . وقوله ـ لتلتقي الأنوار ـ عندهم أن في كل جسم نورا إلهيا . وقوله ـ الاخلافات ـ أي يكون لكن خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن . قال المحسن : وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة يخبروني يبعدون عن الكذب ما حكيته لعظمه عندي واستبعاد مثله أن يجري في دار الاسلام . قال : وبلغني أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا

(فصل) ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والاقوال ما لا يحل مثل ما قد ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر منهم مثل ماقد حكينا . وكان الصالح منهم نادرا . ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشائخهم * وباسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبي . قال : كنا عند مالك فذكرت له صوفيين في بلادنا . فقلت له : يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا . قال : ويحك ومسلمين هم . قال فضحك حتى استلقى . قال فقال لي بعض جلسائه : ياهذا : ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط * وباسناد عن يونس بن عبد الاعلى قال سمعت الشافعي يقول :لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق . وعنه أيضاً أنه قال: مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله اليه أبداً وأنشد الشافعي

ودعوا الذين اذا أتوك تنسكوا   واذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وباسناد عن أبي حاتم قال حدثنا أحمد بن أبي الحوارى . قال قال : أبو سليمان ما رأيت صوفياً فيه خير الا واحدا عبد الله بن مرزوق . قال : وأنا أرق لهم * وباسناد عن يونس بن عبد الاعلى يقول : ما رأيت صوفياً عاقلا إلا إدريس الخولاني . قال السلمي : هو مصري من قدماء مشايخهم قبل ذي النون * وباسناد عن يونس بن عبد الاعلى يقول : صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلا إلا مسلم الخواص * وباسناد عن أحمد بن أبي الحوارى يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصما يقول : مازلنا نعرف الصوفية بالحمق إلا أنهم يستترون بالحديث * وباسناد عن سفيان عن عاصم يقول : قال لي وكيع لم تركت حديث هشام . قلت : صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجبا . فقالوا . ان لم تمح حديث هشام قاطعناك . فأطعتهم . قال ان فيهم حمقاً * وباسناد عن يحيى بن يحيى قال : الخوارج أحب إلي من الصوفية * وباسناده عن يحيى بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين . وقد ذكرنا

في أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب. ان الفقهاء بعصر أنكروا على ذي النون ما كان يتكلم به ، و ببسطام على أبي يزيد وأخرجوه ، وأخرجوا أبا سليمان الداراني ، وهرب من أيديهم احمد ابن أبي الحواري وسهل التستري . وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ولقد حدثني أبو الفتح ابن المساحري . قال : جلس الفقهاء في بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فاقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذاني الفقيه متوكئا على يدي حتى وقف بباب الرباط وقال : يعز علي لو رآني بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط . قلت : على هذا كان أشياخنا

فاما في زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم . قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم من فعلها . منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة فانقطعوا اليها عن الجماعات في المساجد فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء ، وعولوا على الترقيع المتعمد به التحسين تلميعاً والمناوذ بالوان مخصوصة أوقع في نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون بألوان الحرير ، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا الا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال كالعداد والأجناد وأرباب المكوس ، ويستصحبون المردان في السماعات يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع ، ويخالطون النسوة الاجانب ينصبون لذلك حجة الباسهن الخرقة ، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه ، ويسمون الطرب وجداً . والدعوة وقتاً . والغناء قولا . واقتسام ثياب الناس حكما . ولا يخرجون من بيت دعوا اليه الا عن الزام دعوة أخرى يقولون انها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق . ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجاب اعتقاداً منهم انه

قربة وهذا كفر أيضا لأن من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه وكراهيته ويسلمون أنفسهم الى شيوخهم (١) فان عولوا الى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه . فلا بد من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه في سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحا وفي الافعال المعلومة كونها في الشريعة فسقاً. فان قبل امرداً قيل رحمة ، وان خلا باجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة، وان قسم ثوبا على غير أربابه من غير رضا مالكه قيل حكم الخرقة . وليس لنا شيخ نسلم اليه حاله اذ ليس لنا شيخ غير داخل في التكليف وان المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم والضرب بدل من الخطاب ولو كان لنا شيخ يسلم اليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضي الله عنه . وقد قال ان أعوججت فقوموني ولم يقل فساموا الي . ثم انظر الى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه . فهذا عمر يقول : ما بالنا نقصر وقد امنا . وآخر يقول : تنهانا عن الوصال وتواصل . وآخر يقول : أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ . ثم ان الله تعالى تقول له الملائكة : (اتجعل فيها) . ويقول موسى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) . وانما هذه الكلمة جعلها الصوفيــة ترفيها لقلوب المتقدمين ، وسلسلة سلكوها الاتباع والمريدين . كما قال تعالى : « فاستخف قومه فاطاعوه » . ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بان العبد اذا عرف لم يضره ما فعل . وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء اجمعوا على انه لا حالة ينتهي اليها العارف الا ويضيق عليه التكليف كاحوال الانبياء يضايقون في الصغائر . فالله الله في الاصغاء الى هؤلاء الفرغ الخالين من الاثبات . وانما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف ، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع واهمال لاحكام الشرع . ولم تتجاسر الزنادقة ان ترفض الشريعة حتى جاءت

---

(١) قوله فان عولوا الى قوله في الشريعة فسقاً غير منتظم والمعنى غير خفي على المتأمل وهذه الجمل غير موجودة في النسختين

المتصوفة تجاوزوا بوضع أهل الخلاعة

فأول ما وضعوا أسماء . وقالوا : حقيقة وشريعة . وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق . فالحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من القاء الشياطين . وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع . وان سمعوا أحداً يروي حديثاً قالوا : مساكين . أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . فمن قال حدثني أبي عن جدي قلت حدثني قلبي عن ربي فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الاغمار وانفقت عليهم لاجلها النفقات . لأن الفقهاء كالاطباء والنفقة في ثمن الدواء صعبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات . وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة لان الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم . والحق يثقل كما تثقل الزكاة . وما أخف البذل على المغنيات واعطاء الشعراء على المدائح . وكذلك بغضهم لاصحاب الحديث وقد أبدلوا ازالة العقل بالخمر (بشيء سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم) سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة مثل هذه الطائفة الجامعة بين دهشة في اللبس وطيبة في العيش وخداع بالفاظ معسولة ليس تحتها سوى اهمال التكليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على انهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع أرباب الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات

قال ابن عقيل فان قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق قال فقلت لهم لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش والذي وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع وهل يخدع الناس الا بطريقة أو لسان فاذا لم يكن للقوم قدم في العلم ولا طريقة فبم ذا يجتذبون به قلوب أرباب الاموال واعلم ان حمل التكليف صعب ولا أسهل على اهل الخلاعة من مفارقة الجماعة ولا أصعب

عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهمات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الاعمال ويهدمون قوانين الاديان يحبون البطالات وسماع الاصوات وما كان السلف كذلك بل كانوا في باب العقائد عبيد تسليم وفي الباب الآخر ارباب جد . قال : ونصيحتي الى اخواني ان لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغي مسامعهم الي خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولي من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندى خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فاكثر كلامهم يشير الى اسقاط السفارة والنبوات . فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتا عن ميت . فقد طعنوا فى النبوات وعولوا على الواقع . ومتى ازرى على طريق سقط الأخذ به . ومن قال حدثنى قلبي عن ربى فقد صرح انه غني عن الرسول . ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزري على النقل علمنا انه قد عطل امر الشرع . ومايؤمن هذا القائل : حدثنى قلبى عن ربى أن يكون ذلك من القاء الشياطين فقد قال الله عز وجل : (وأن الشياطين ليوحون الى اوليائهم): وهذا الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقي فى قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطرا : قال والخوارج على الشريعة كثير الا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن الشريعة حفظاً لأصلها ،وبالفقهاء حفظاً لمعانيها . وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع

قال ابن عقيل : والناس يقولون اذا احب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وانا اقول وخراب دينه لان الصوفية قد اجازوا لبس النساء

الخرقة من الرجال الاجانب فاذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك منازلات واستخلاء ببعض الاشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج الا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع الى طبع وتتغير المرأة على زوجها فان طابت نفس الزوج سمى بالديوث وان حبسها طلبت الفرقة الى من تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع . ويقال : تابت فلانة والبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته . ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون وبرد حكم الكتاب والسنة فى القلوب . هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقدا مجيدا متاهجا فقيها .

انشدنا ابو على عبيد الله الزاغونى قال انشدنا ابو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى وابو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز المكرى قالا انشدنا ابو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية :

تأملت اختبر المدعين ... بين الموالى وبين العبيد
فألفيت اكثرهم كالسراب ... يروقك منظره من بعيد
فناديت ياقوم من تعبدون ... فكل اشار بقدر الوجود
فبعض اشار الى نفسه ... واقسم ما فوقها من مزيد
وبعض الى خرقة رقعت ... وبعض الى ركوة من جلود
وآخر يعبد أهواءه ... وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهد وقته زيه ... فان فات بات بليل عنيد
وذوكلف باستماع السما ... ع بين البسيط وبين النشيد
يئن اذا او مضت رنة ... ويزأر منها زئير الاسود
يخرق خلقانه عامدا ... ليعتاض منها بثوب جديد
ويرمى بهيكله فى السعير ... لقلع الثريد وبلع العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان اخواننا ذا المزيد

يخبطهم بفنون الجنون ... وما للمجانين غير القيود
واقسم ما عرفوا ذا الجلال ... وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لأهل الوفاء ... سلقتهم بلسان حديد
فمالى يطالبنى بالوصا ... ل من ليس يعلم ما فى الصدود
اضن بودى ويسخو به ... وقد كنت اسخو به للودود
ولـكن اذا لم اجد صاحبا ... يسر صديقى ويشجى حسودى
عطفت بودى منى اليه ... فغاب نحوسي وآب سعود
فما بال قومى على جهلهم ... بعز الفريد وانس الوحيد
اذا ابصرونى بكوا رحمة ... ونيران احقادهم فى وقود
لأنى بعدت عن المدعين ... ولو صدقوا كنت غير البعيد

اخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا ابو الحسين بن عبد الجبار الصيرفى نا ابو عبدالله محمد بن على الصورى قال انشدنا ابو محمد عبدالرحمن بن عمر التجيبى قال انشدنا الحسن بن على بن سيار :

رأيت قوما عليهم سمة الخير بحمل الركاء مبتهله
اعتزلوا الناس فى جوامعهم ... سألت عنهم فقيل متكله
صوفيـة للقضاء صابرة ... ساكنة تحت حكمه بزله
فقلت إذ ذاك هؤلاء هم النـ ... اس ومن دون هؤلا رزله
فلم أزل خادماً لهم زمنا ... حتى تبينت أنهم سفله
ان أكلوا كان أكلهم سرفا ... أو لبسوا كان شهرة مثله
سل شيخهم والكبير مختبرا ... عن فرضه لا تخاله عقله
واسأله عن وصف شاذن غنج ... مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم اذا جلسوا ... كعلم راعي الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة والـ ... برهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كي يروا صلحا ... وهم شرار الذباب والحفله

وجانبوا الكسب والمعاش لكي يستأصلوا الناس شرها أكله
وليس من عفة ولا دعة لكن تعجيل راحة البطله
فقل لمن مال باختداعهم اليوم تب فإنهم بطله
واستغفر الله من كلامهم ولا تعاود لعشرة الجهله

قال الصورى وانشدنى بعض شيوخنا :

اهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقه
صار التصوف صيحة وتواجداً ومطبقه
كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق الملحقه
حتى تكون بعين من منه العيون الحدقه
تجرى عليك صروفه وهموم سرك مطرقه

انشدنا محمد بن ناصر قال انشدنا ابو زكريا التبريزى لابى العلاء المعرى :

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم كذبوك ماصافوا ولكن صاف
شجر الخلاف قلوبهم ويح لها غرضي خلاف الحق لا الصفاف

انشدنا ابن ناصر انشدنا ابو بكر قال انشدنا ابو اسحاق الشيرازي الفقيه لبعضهم :

ارى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لى

الباب الحادي عشر

في ذكر تلبيس ابليس على المتدينين بما يشبه الكرامات

قد بينا فيما تقدم أن ابليس انما يتمكن من الانسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الانسان كثر تمكن ابليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه. ومن العباد من يرى ضوءا أو نوراً في السماء فان كان في رمضان قال: رأيت ليلة القدر وان كان في غيره قال قد فتحت لي أبواب السماء. وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقا وربما كان اختباراً وربما كان من خدع ابليس. والعاقل لايساكن شيئا من هذا ولو كان كرامة. وقد ذكرنا في باب الزهاد عن مالك بن دينار وحبيب العجمي انهما قالا: ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز. ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بان أراه مايشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي قال: ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان. قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبي الجلاس وكان له أب بالغوطة فعرض له ابليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان اذا أخذ في التحميد لم يسمع السامعون الى كلام أحسن من كلامه قال: فكتب الى أبيه يا أبتاه اعجل علي فاني قد رأيت اشياء أتخوف منها أن تكون من الشيطان قال: فزاده أبوه غياً وكتب اليه. يا بني: اقبل على ما أمرت به ان الله يقول: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم): ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به. وكان يجيء الى أهل المساجد رجلا رجلا فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى مايرضى قبل والا كتم عليه. وكان يريهم الاعاجيب. كان يأتي الى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح. وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء

ويقول : اخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم الى دير المران فيريهم رجالا على خيل . فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر اصحابه حتى وصل خبره الى القاسم بن مخيمرة فقال له اني نبي فقال له القاسم . كذبت ياعدو الله : فقال له أبو ادريس : بئس ما صنعت اذ لم تلن له حتى تأخذه الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فاعلمه بأمره فبعث عبد الملك فى طلبه فلم يقدر عليه وخرج عبد الملك حتى نزل الصنبيرة (١) فاتهم عامة عسكره بالحارث ان يكونوا يرون رأيه . وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه . وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ فى التحميد وأخبره بأمره وانه نبي مبعوث مرسل . فقال : ان كلامك لحسن ولكن لى فى هذا نظر قال فانظر : فخرج البصري ثم عاد اليه فرد عليه كلامه فقال ان كلامك لحسن وقد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم. فأمر ان لايحجب عنه متى أراد الدخول عليه فأقبل البصري يتردد اليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له :أئذن لى فقال الى أين قال الى البصرة . فأكون أول داع لك بها. قال فأذن له فخرج مسرعاً الى عبد الملك وهو بالصنبيرة فلما دنا من سرادقه صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر : وما نصيحتك قال نصيحة لامير المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده اصحابه قال فصاح النصيحة قال وما نصيحتك قال : أخلني لايكن عندك أحد فأخرج من في البيت وقال له ادنني قال ادن فدنا وعبد الملك على السرير قال ماعندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير الى الارض ثم قال أين هو

---

(١) هكذا فى نسخة وفى نسخة اخرى الصنبرة بصاد مهملة وقد ضبطت بالتشديد والضم والله أعلم

قال : يا أمير المؤمنين هو بيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وامير نا ههنا فرني بما شئت . قال : يا أمير المؤمنين ابعث معي قوماً لا يفهمون الكلام فأمر اربعين رجلا من فرغانة فقال انطلقوا مع هذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه . قال : وكتب الى صاحب بيت المقدس ان فلانا هو الامير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به . فلما قدم بيت المقدس اعطاه الكتاب فقال مرني بما شئت . فقال : اجمع لي كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وادفع كل شمعة الى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياها . فاذا قلت أسرجوا أسرجوا جميعا فرتبهم في أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصري الى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب استأذن لي على نبي الله قال في هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى . يصبح قال اعلمه اني ما رجعت الا شوقا اليه قبل أن أصل فدخل عليه فاعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال : ثم صاح البصري أسرجوا الشموع فاسرجت حتى كانت كأنها النهار ثم قال من مر بكم فاضبطوه كائناً من كان ودخل هو الى الموضع الذي يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث هيهات تريدون أن تقتلون نبي الله قد رفع الى السماء . قال : فطلبه في شق قد هيأه سربا فادخل البصري يده في ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه الى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه . فبينما هم يسيرون به على البريد اذ قال أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك انت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار الى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون الانبياء لا يجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فانفذها فقتله . قال الوليد . بلغني ان خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن

مروان فقال لو حضرتك ما امرتك بقتله . قال . ولم . قال انما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه . وروى ابو الربيع عن شيخ ادرك القدماء قال لما حمل الحارث على البريد وجعلت في عنقه جامعة من حديد وجمعت يده الى عنقه فاشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية . (قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الىّ ربي) . فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته الى الارض فوثب الحرس الذين كانوا معه فاعادوها عليه ثم ساروا به فلما اشرفوا على عقبة اخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الارض فاعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وامر رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هـذا من الشيطان فابى أن يقبل منهم فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت فتكلم الناس وقالوا . اما ينبغي لمثل هذا أن يقتل ثم اتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من اضلاعه ثم هزه وانفـذه . وسمعت من قال قال عبد الملك الذي ضربه بالحربة لما انثنت اذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه فذكر الله ثم طعنه فانفذها

(فصل) وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن ابي عمران قال قال لي فرقد : يااباعمران قد أصبحت اليوم وانا مهتم بضريبتي وهي ستة دراهم وقد اهل الهلال وليست عندي فدعوت فبينما انا امشي على شط الفرات اذا انا بستة دراهم فاخذتها فوزنتها فاذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص . فقال تصـدق بها فانها ليست لك . قلت : ابو عمران ـ هو ابراهيم النخعي فقيـه اهل الكوفة . فانظروا الى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم وكيف اخبره انها لقطة ولم يلتفت الى مايشبه الكرامة . وانما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لايجب التعريف لمـا دون الدينار . وكأنه انما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد اكرم باخذها وانفاقها *وباسناد عن ابراهيم الخراساني أنه قال : احتجت يوما الى الوضوء فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك

من فضة رأسه الين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت . قلت : في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولكن قل علمه فاستعمله . وان ظن انه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا الا ان أظهر له ذلك على سبيل الامتحان * وذكر محمد بن ابي الفضل الهمداني المؤرخ قال حدثني ابي قال كان السرمقاني المقرى يقرأ على ابن العلاف وكان يأوى الى المسجد بدرب الزعفراني واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم في وقت مجاعة وقد نزل الى دجلة واخذ منه اوراق الخس مما يرمى به اصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى الى رئيس الرؤساء فاخبره بحاله فتقدم الى غلام بالقرب الى المسجد الذي يأوى اليه السرمقاني أن يعمل لبابه مفتاحا من غير أن يعلمه ففعل وتقدم اليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكراً ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام . فأتى السرمقاني في أول يوم فرأى ذلك مطروحاً في القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب . وقال في نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لا أتحدث به فان من شرط الكرامة كتمانها وأنشدني :

من اطلعوه على سر فباح به   لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

فلما استوت حالته واخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه . فأخذ يورى ولا يصرح ، ويكني ولا يفصح . ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره ان الذي يجده في المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه . فقال له ابن العلاف : يجب أن تدعو لابن المسلمة فانه هو الذي فعل ذلك . فنغص عيشه باخباره وبانت عليه شواهد الانكسار

(فصل) ولما علم العقلاء شدة تلبيس ابليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبيسه * روينا باسناد عن أبي الطيب يقول : سمعت زهرون يقول : كلمني الطير وذلك اني كنت في البادية فتهت فرأيت

طائراً أبيض فقال لي يازهرون انت تائه . فقلت : ياشيطان غر غيرى فقال لى : أنت تائه . فقلت : يا شيطان غر غيرى . فوثب فى الثالثة وصار على كتفى . وقال : ما أنا بشيطان انت تائه أرسلت اليك ثم غاب عنى * وباسناد عن محمد بن عبد الله القرشى قال حدثنى محمد بن يحيى بن أبى حاتم ثنى محمد بن عمرو قال حدثتنى زلفى قالت : قلت لرابعة ياعمة لم لا تأذنين للناس يدخلون عليك . قالت : وما أرجو من الناس ان أتونى حكوا عنى مالم أفعل . قال القرشى : وزادنى غير أبى حاتم . انها قالت : يبلغنى انهم يقولون انى أجد الدراهم تحت مصلاى ، ويطبخ لى القدر بغير نار . ولو رأيت مثل هذا فزعت منه . قالت فقلت لها : ان الناس يكثرون فيك القول . يقولون ان رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب . فهل تجدين شيئا فيه قالت : يا بنت أخى لو وجدت فى منزلى شيئا ما مسسته ولا وضعت يدى عليه قال القرشى وحدثنى محمد بن ادريس قال قال محمد بن عمرو : وحدثتنى زلفى عن رابعة انها أصبحت يوما صائمة في يوم بارد قالت فنازعتنى نفسى الى شئ من السخن أفطر عليه. وكان عندى شحم فقلت : لو كان عندى بصل أوكراث عالجته فاذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب في منقاره بصلة . فلما رأيته اضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان * وبالاسناد عن محمد بن يزيد . قال : كانوا يرون لوهيب انه من أهل الجنة فاذا أخبر بها اشتد بكاؤه . وقال : قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان . وبالاسناد عن أبى عثمان النيسابورى يقول : خرجنا جماعة مع استاذنا أبى حفص النيسابورى الى خارج نيسابور فجلسنا فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا بأيل (١) قد نزل حتى برك بين يدى الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديداً . فلما سكن سألناه فقلت : يا أستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا ، فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك . فقال . نعم رأيت اجتماعكم حولى وقد طابت قلوبكم فوقع فى قلبى

(١) الأيل بضم الهمزة وكسرها والياء فيهما مشدداً التيس الجبلى

لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها . فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيل لي أني مثل فرعون الذي سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه . قلت : فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كل حظ لي في الدنيا وأبقى في الآخرة فقيراً لاشئ لي ، فهذا الذي ازعجني

فصل * وقد لبس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الاولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لايحتاج الى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل * أخبرنا محمد بن ناصر انبأنا الحسن بن احمد الفقيه قال نا محمد بن محمد الحافظ قال نا عبيدالله بن محمد الفقيه قال احمد ابن عبد الله بن الحسن الادمى قال حدثني أبي قال قال سهل بن عبد الله قال عمرو ابن واصل . كذا في الرواية والصواب قال عمرو بن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا من الاولياء في طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل الى مسجد في أصل جبل واذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة . وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل . فأقام في المسجد الى المغرب فلما دخل الوقت اذا بأربعين رجلا عليهم المسوح وفي أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن احدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم . فلما فرغ من صلاته تقدم الى الشجرة فاذا فيها اربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف . قال : وبت على فاقتي فلما كان في الوقت الذي أخذوا فيه الرمان أقبلوا اجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت ياقوم أنا اخوكم في الاسلام وبي فاقة شديدة فلا كلمتموني ولا واسيتموني فقال رئيسهم انا لا نكلم محجوبا بما معه فامض واطرح ما معك وراء هذا الجبل في الوادى وارجع الينا حتى تنال ما ننال قال فرقيت الجبل فلم تسمح نفسي برمى مامعي فدفنته ورجعت . فقال لي : رميت ما معك . قلت : نعم . قال : فرأيت شيئا . قلت : لا قال مارميت شيئا اذن فارجع فأرم به في الوادى فرجعت ففعلت . فاذا قد غشيني مثل الدرع نور الولاية فرجعت فاذا في الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش ولم

البث دون المضى الى مكة فاذا أنا بالاربعين بين زمزم والمقام . فأقبلوا الى بأجمهم يسألونى عن حالى ويسلمون علىّ . فقلت : قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخرا كما أغناكم الله عن كلامى أولا فما فىّ لغير الله موضع

قال المصنف رحمه الله : عمرو بن واصل ضعفه بن أبى حاتم . والآدمى وأبوه مجهولان . ويدل على انها حكاية موضوعة قولهم اطرح ما معك لأن الاولياء لا يخالفون الشرع والشرع قد نهى عن اضاعة المال . وقوله غشينى نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لايغتر بها من شم رائحة العلم وانما يغتر بها الجهال الذين لابصيرة لهم * أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكى قال سمعت محمد بن على الواعظ . قال : وفيما أفادنى بعض الصوفية حاكيا عن الجنيد قال قال أبو موسى الديبلى : دخلت على أبى يزيد فاذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لى تعال . ثم قال : ان رجلا سألنى عن الحياء فتكلمت عليه بشئ من علم الحياء فدار دورانا حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد وقال احمد بن خضرويه : بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصا فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شئ . قلت : وهذه من المحالة القبيحة التي وضعوها الجهال ولولا ان الجهلة يروونها مسندة فيظنونها شيئا لكان الاضراب عن ذكرها أولى * انبأنا أبو بكر بن حبيب قال نا ابن أبى صادق قال ثنا ابن باكويه قال ثنا أبو حنيفة البغدادى قال ثنا عبد العزيز البغدادى قال : كنت أنظر فى حكايات الصوفية فصعدت يوما السطح فسمعت قائلا يقول . (وهو يتولى الصالحين) فالتفت فلم أر شيئا فطرحت نفسى من السطح فوقفت فى الهواء

قال المصنف رحمه الله * هذا كذب محال لايشك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام وظنه ان الله يتولى من فعل المنهى عنه فقد قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فكيف يكون صالحا وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن اخبره انه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات

الله عليه للشيطان لما قال له اتق نفسك . قال ان لله أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه

(فصل) وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم . وقد روينا عن الحلاج انه كان يدفن شيئا من الخبز والحلوى والشواء فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فاذا أصبح قال لاصحابه ان رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشي والناس معه فاذا جاؤا الى ذلك المكان قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك نشتهي الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوى عنهم الى ذلك المكان فيصلى ركعتين ويأتيهم بذلك . وكان يمد يده الى الهواء ويطرح الذهب فى أيدى الناس ويمخرق . وقد قال له بعض الحاضرين يوما . هذه الدراهم معروفة ولكن أؤمن بك اذا أعطيتني درهما عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق الى وقت صلبه * حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عبد الله بن احمد بن عمار الصيرفى ثنا أبو عمرو بن حيوة . قال . لما اخرج حسين الحلاج للقتل مضيت فى جملة الناس فلم أزل أزاحم حتى رأيته ، فقال لاصحابه : لا يهولنكم هذا فانى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما . وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحاً . وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئا من اعتقاده وتخليطه وبينا انه قتل بفتوى فقهاء عصره . وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد في التنور ويظهر ان هذا كرامة . قال ابن عقيل : وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق واصدقاء فى جميع البلاد فينزل بهم قوم فيرفع طائرا فى الحال الى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستعلمه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك اليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم باحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول : الساعة تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون الى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال

ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعي على انه يعلم الغيب . قال : ومما كان يفعله انه يأخذ طير عصفور ويشد فى رجله تلفكا ويجعل فى التلفك بطاقة صغيرة ويشد فى رجل حمامة تلفكا ويشد فى طرف التلفك كتابا أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيدو يأخذ غلاماله فى السطح (١) والحمامة بيد آخر فيه ما فى ذلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر فى الهواء فيروح الحمام الى تلك القرية فيأخذه صديقه الذى هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية واصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادى يابارش كأنه يخاطب شيطانا اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب الى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد فى اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذى فى يده فيرتفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عيانا من غير أن يرون التلفك فاذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور الى تلك القرية ليصلح الامر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبر ما فى القرية التى هؤلاء منها ثم يكتب كتابا الى دهقان تلك القرية فيشد به بلفكا ويجعله فى رجل عصفور كما قدمنا وبطاقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده فى رجل طير حمام فيروح الى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجد كتاب الشيخ قد وصلهم وقد اجتمع دهاقين القرية واصلحوا بينهم فيجيء ذلك فيخبرهم فلا يشكون فى ذلك انه يعلم الغيب ويتحقق هذا فى قلوب العوام .

قال ابن عقيل : وانما أوردت مثل هذا ليعلم انه قد ارتفع القوم الى التلاعب بالدين فأى بقاء للشريعة مع هذا الحال . قلت . وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى أبا الحسن واسم الشباس على بن

(١) الغلام فى بعض النسخ هكذا بالنصب وفى بعض بالرفع وعلى كل المعنى ظاهر . وهو ان ابن الشباس كان يتخذ غلاماً فى السطح لاجل ما ذكر

الحسين بن محمد البغدادي توفى بالبصرة سنة اربع واربعين واربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة . وكانت مذاهبهم تخفى على الناس الا أن الاغلب انهم كانوا من الشيعة الامامية والغلاة الباطنية وقد ذكرت في التاريخ عن ابن الشباس ان بعض اصحابه انكشفت له نار بخياناته وزخارفه وكانت تخفى على الناس الى أن كشفها بعض اصحابه من الشيعة الامامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث به عنه انه قال: حضرنا يوما عنده فاخرج جديا مشويا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشمها فلما فرغنا امر بردها الى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديا حياً يرعى حشيشاً ولم نر للنار أثرا ولا للرماد ولا للعظام خبرا . قال فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك ان التنور يفضي الى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب فاذا أراد ازالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده وينفتح السرداب واذا أراد ان يظهر النار أعاد الطبق الى فم السرداب فترى للناس

قال المصنف رحمه الله : وقد رأينا في زماننا من يشير الى الملائكة ويقول هؤلاء ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم تقدموا الي". وأخذ رجل في زماننا ابريقا جديدا فترك فيه عسلا فتشرب في الخزف طعم العسل واستصحب الابريق في سفره فكان اذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل . وما في هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف في الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان

الباب الثاني عشر في ذكر تلبيس ابليس على العوام

قد بينا ان ابليس انما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل وقد أفتن فيما فتن به العوام وحصر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته وانما نذكر من الامهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق فمن ذلك انه يأتي الى العامي فيحمله على التفكر في ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك . وقد أخبر رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خاق الله » قال أبو هريرة : فوالله اني لجالس يوما اذ قال لي رجل من أهل العراق هذا الله خلقنا فمن خاق الله . قال أبو هريرة : فجعلت اصبعي في أذني ثم صحت – صدق رسول الله – الله الواحد الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد * وباسناد عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان يأتي احدكم فيقول من خلقك . فيقول : الله فيقول : من خلق السموات والارض . فيقول : الله . فيقول : من خلق الله . فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله »

قال المصنف رحمه الله : وانما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو انه ما رأى شيئا الا مفعولا وليقل لهذا العامي ألست تعلم انه خالق الزمان لا في الزمان والمكان لا في المكان فاذا كانت هذه الارض وما فيها لا في مكان ولا تحتها شيء وحسك ينفر من هذا لانه ما ألف شيئا الا في مكان فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس . وشاور عقلك فانه سليم المشاورة * وتارة يلبس ابليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه * وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب فترى العامي يلاعن ويقاتل في أمر لا يعرف حقيقته . فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضي الله عنه ومنهم من يخص عليا . وكم قد جرى في هذا من الحروب وقد جرى في هذا بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة على مر السنين من القتل واحراق المحال ما يطول ذكره وترى كثيرا ممن يخاصم في هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلي بريئان منهم * وقد يحس العامي في نفسه نوع فهم فيسول له ابليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب * ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقي وأوسع على العاصي * ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء أعترض وكفر * ومنهم من يقول أي حكمة في هدم هذه الاجساد بعدما

بالفناء بعد بنائها * ومنهم من يستبعد البعث * ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده أو يبتلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى . وربما غلب فاجر مؤمناً فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب . ولماذا يصلى اذا كان الأمر كذلك . وكل هذه الآفات تمكن بها منهم ابليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو انهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم ان الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض

(فصل) ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء فتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم . وقد كان ابن عقيل يقول : قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها على . فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك فى علمك ليس هذا من شغلك . هذا وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته . والذى أنا فيه من الامور أمر عقلى فاذا أفتيته لم يقبل

(فصل) ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا اذا طأطأ رأسه وتخشع لهم . ويقولون : أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبة ولا رطبة ولا يتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزهد وايثاراً للمتزهدين على شريعة محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ومن نعمة الله سبحانه على هؤلاء انهم لم يدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لو رأوه يكثر التزوج ويصطفى السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم

(فصل) ومن تلبيسه عليهم قدحهم فى العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل . وا كثر ميلهم الى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون الى الغريب ولعله من الباطنية . وانما ينبغى تسليم النفوس الى من خبرت معرفته قال الله عز وجل (فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) ومن الله سبحانه فى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى

الخلق بانهم يعرفون حاله فقال عز وجل (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) . وقال (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)

(فصل) : وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين الى قبول دعاويهم وان خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها . فترى المتنمس يقول للعاصي : انت فعلت بالامس كذا وسيجري عليك كذا فيصدقه . ويقول : هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم ان ادعاء الغيب كفر . ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أمورا لا تحل كمؤاخاة النساء والخلوة بهن ولا ينكرون ذلك تسليما لهم أحوالهم

(فصل) ومن تلبيسه على العوام اطلاقهم أنفسهم في المعاصي فاذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة * فمنهم من يقول : لا أترك نقداً لنسيئة . ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لانه محرم وانما يخير بين النقد والنسيئة المباحين فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل فاذا عوتب قال الشهوة نقد والعافية نسيئة . ثم لو علموا حقيقة الايمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف . ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير . ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا انفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا اذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم في العذاب الذي هو الخسران المبين الذي لا يتلافى * ومنهم من يقول الرب كريم ، والعفو واسع والرجاء من الدين . فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء وهذا الذي أهلك عامة المذنبين . قال أبو عمرو بن العلاء : بلغني أن الفرزدق جلس الى قوم يتذاكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدرا فقالوا له : لم تقذف المحصنات . فقال : اخبروني لو أذنبت الى والديّ ما أذنبته الي ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفسا أن يقذفاني في تنور مملوء جمرا . قالوا : لا انما كانا يرحمانك. قال: فاني أوثق برحمة ربي منهما . قلت: وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد الى جهنم * وباسناد عن عباد قال : قال الاصمعي كنت

مع أبي نواس بمكة فاذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الاسود . فقال لي أبو نواس : والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الاسود . فقلت : ويلك اتق الله عز وجل فانك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال ما منه بد : ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر أبو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا انظر فقلت ويلك أفي حرم الله عز وجل فقال دع ذا عنك فان ربي رحيم ثم انشد يقول .

وعاشقان التف خداهما عند استلام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير أن يأثما كأنما كانا على موعد

قلت : أنظروا الى هذه الجرأة التي نظر فيها الى الرحمة ونسي شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة . وقد ذكرنا في أول الكتاب هذا ان رجلا زنى بامرأة في الكعبة فمسخا حجرين . ولقد دخلوا على أبي نواس في مرض موته فقالوا له تب الى الله عز وجل فقال إياي تخوفون حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي شفاعة واني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي . أفترى لا اكون أنا منهم

قال المصنف رحمه الله : وخطأ هذا الرجل من وجهين . أحدهما انه نظر الى جانب الرحمة ولم ينظر الى جانب العقاب . والثاني انه نسي ان الرحمة انما تكون للتائب كما قال عز وجل (واني لغفار لمن تاب) وقال (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) وهذا التلبيس هو الذي يهلك عامة العوام وقد كشفناه في ذكر أهل الاباحة

(فصل) ومن العوام من يقول : هؤلاء العلماء ما يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمري أنا قريب وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم في باب التكليف سواء فغلبة الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل . وبعضهم يقول : ما قدر ذنبي حتى أعاقب . ومن أنا حتى أؤاخذ . وذنبي لا يضره وطاعتي لا تنفعه وعفوه اعظم من جرمي كما قال قائلهم :

من أنا عند الله حتى اذا أذنبت لا يغفر لي ذنبي

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا انه لا يؤاخذ الا ضد أوند . ثم ما علموا انه بالمخالفة قد صاروا في مقام معاند . وسمع ابن عقيل رحمه الله رجلا يقول : من أنا حتى يعاقبني الله . فقال : له أنت الذى لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت انت لكان قوله تعالى (يا أيها الناس) خطابا لك * ومنهم من يقول : سأتوب واصلح . وكم ساكن الامل من أمله فاختطفه الموت قبله . وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب . وربما لم تهيأ التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لو قبلت بقى الحياء من الجناية أبدا . فمراراة خاطر المعصية حتى تذهب اسهل من معاناة التوبة حتى تقبل * ومنهم من يتوب ثم ينقض فيهيج عليه ابليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه * وباسناد عن الحسن انه قال : اذا نظر اليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فنماك ونماك واذا رآك مداوما على طاعة الله تعالى ملك ورفضك واذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أن يكون لاحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول : أنا من اولاد أبي بكر . وهذا يقول : أنا من اولاد علي . وهذا يقول : أنا شريف من اولاد الحسن أو الحسين أو يقول : أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على امرين . أحدهما انهم يقولون من أحب انسانا أحب اولاده واهله . والثاني : ان هؤلاء لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه اهلهم واولادهم . وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين وانما يحب من أطاعه فان أهل الكتاب من اولاد يعقوب ولم ينتفعوا بآبائهم ولو كانت محبة الأب تسرى لسرى الى البعض أيضا . وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيل له « انه ليس من أهلك » ولم يشفع ابراهيم في أبيه ولا نبينا في أمه وقد قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضى الله عنها : « لا أغنى عنك من الله شيئا » ومن ظن انه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن انه يشبع بأكل ابيه

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد احدهم على خلة خير ولا يبالى بما

فعل بعدها * فنهم من يقول : أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصى . وكشف هذا التلبيس أن يقال له ان الاعتقاد فرض والكف عن المعاصى فرض آخر فلا يكفى احدهما عن صاحبه . وكذلك تقول الروافض : نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فانه انما يدفع التقوى * ومنهم من يقول : أنا ألازم الجماعة وافعل الخير وهذا يدفع عنى وجوابه كجواب الاول

(فصل) ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين فى أخذ أموال الناس فانهم يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ويسمون تقلى الاكباد على الاموال ويسمون طريقتهم الفتوة . وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون الباس السراويل للداخل فى مذهبهم كالباس الصوفية للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته وأخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من محرض فقتلها ويدعون ان هذه فتوة . وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب * وباسناد عن عبد الله بن احمد بن حنبل انه كان يقول : كنت كثيرا أسمع والدى احمد بن حنبل يقول ، رحم الله أبا الهيثم . فقلت : من أبو الهيثم فقال أبو الهيثم الحداد لما مددت يدى الى العقابين وأخرجت السياط اذا أنا بانسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى : تعرفنى قلت لا . قال : أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين انى ضربت ثمانية عشر الف سوط بالتفاريق وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لاجل الدنيا فاصبر انت فى طاعة الرحمن لاجل الدين . قلت : أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد وكان يضرب المثل بصبره . وقال : له المتوكل ما بلغ من جلدك . قال : املأ لى جراب عقارب ثم أدخل يدى فيه وانه ليؤلمنى ما يؤلمك وأجد لآخر سوط من الالم ما أجد لأول سوط ولو وضعت فى فى خرقة وأنا اضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفى ولكنى وطنت نفسى على الصبر . فقال له الفتح : ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك الى ما أنت عليه من الباطل . فقال :

أحب الرياسة . فقال المتوكل : نحن خليديه . وقال الفتح : أنا خليدي. وقال رجل لخالد : ياخالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب . فقال : بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم . وقال داود بن علي : لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه فمضيت اليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم اليتيه من الضرب واذا حوله فتيان فجعلوا يقولون : ضرب فلان ، وفعل بفلان . فقال لهم : لاتحدثون عن غيركم أفعلوا انتم حتى يتحدث عنكم غيركم

قال المصنف رحمه الله : فانظروا الى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم

(فصل) ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض . مثل أن يحضر المسجد قبل الاذان ويتنفل فاذا صلى مأموماً سابق الامام* ومنهم من لا يحضر في أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب* ومنهم من يتعبد ويبكي وهو مصر على الفواحش لا يتركها . فان قيل له قال : سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد اكثر مما يصلح . ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم جب نفسه وهذا من أفحش الفواحش

(فصل) وقد لبس ابليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظنا منهم ان المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور في مجالس الذكر . ولو علموا أن المقصود انما هو العمل واذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة في الحجة عليه. واني لأعرف خلقا يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة في الربا والغش في البيع والجهل باركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين . وهؤلاء قد لبس عليهم ابليس فاراهم ان حضور المجالس والبكاء يدفع عنه مايلابس من الذنوب . وأرى بعضهم ان مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم * وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم . وأقام

قوما منهم للتفرج فيما يسمعونه واهملوا العمل به

(فصل) وقد لبس ابليس على أصحاب الاموال من أربعة أوجه . أحدها من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وانسوه حتى ان جمهور معاملاتهم خارجة عن الاجماع وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام » والثانى من جهة البخل بها فنهم من لا يخرج الزكاة أصلا اتكالا على العفو * ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فيظن ان المخرج يدفع عنه * ومنهم من يحتال لاسقاطها مثل ان يهب المال قبل الحول ثم يسترده * ومنهم من يحتال باعطاء الفقير ثوبا يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوى دينارين ويظن ذلك الجاهل انه قد تخلص * ومنهم من يخرج الردىء مكان الجيد ومنهم من يعطى الزكاة من يستخدمه طول السنة فهى على الحقيقة أجرة * ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى فيقول له ابليس ما بقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حبا للمال فيفوته أجر المتصدقين ويكون المال رزق غيره * وباسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال : أول ما ضرب الدرهم أخذه ابليس فقبله ووضعه على عينه وعلى سرته وقال بك اطغى وبك أكفر . رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من ان يعبدنى . وعن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال . ان الشيطان يريد الانسان بكل ريدة فاذا اعياه اضطجع فى ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئا . والثالث من حيث التكثير بالاموال فان الغنى يرى نفسه خيرا من الفقير وهذا جهل لان الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر :

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الانفس ليس الفضل فى الحال

والرابع فى انفاقها * فنهم من ينفقها على وجه التبذير والاسراف ، تارة فى البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور . وتارة

فى اللباس الخارج بصاحبه الى الكبر والخيلاء ، وتارة فى المطاعم الخارجة الى السرف . وهذه الافعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسؤل عن جميع ذلك * وباسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين اكتسبته وأين انفقته * ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر الا انه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على ما بنى ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه ولو كلف أن يبنى حائطا من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل * ومن هذا الجنس اخراجهم الشمع فى رمضان فى الانوار طلبا للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لان اخراجهم قليلا من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى اخراج شمعة فى رمضان ولقد كان اغناء الفقراء بثمن الشمع أولى ولربما خرجت الاضواء الكثيرة الى السرف الممنوع منه غير ان الرياء يعمل عمله . وقد كان احمد بن حنبل يخرج الى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى * ومنهم من اذا تصدق اعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين اذلال الفقير * وفيهم من يجعل معه الدنانير الخفاف فيكون فى الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد اعطى فلان فلانا دينارا وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس دينارا ثقيلا يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه الى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاسا صغيرا ظنه قطعة فاذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلا ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فرآه زائدا على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطى عند كل مرتبة ومنهم من يتصدق على الاجانب ويترك بر الاقارب وهم أولى * وباسناد عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة » * ومنهم من

يعلم فضيلة التصدق على القرابة الا ان يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى * وقد روى عن أبي أيوب الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان افضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح »

قال المصنف رحمه الله : وانما قبلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فان تصدق على ذى قرابة بحبة فقد انفق على هواه * ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة * وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تمول » وباسناد من أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال تصدق به على نفسك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على زوجتك قال عندى دينار آخر قال تصدق به على ولدك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على خادمك قال عندى آخر قال أنت أبصر به * ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه ابليس بان الحج قربة وانما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس . قال رجل لبشر الحافى : اعددت الفى درهم للحج . فقال : احججت . قال نعم . قال : اقض دين مدين قال : ما تميل نفسى الا الى الحج قال : مرادك ان تركب وتجيء ويقال فلان حاجى * ومنهم من ينفق على الاوقات والرقص ويرمى الثياب على المغنى . ويلبس عليه ابليس بانك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا ان ذلك ما يوجب فساد القلوب * ومنهم من اذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الامر فى ذلك قربة وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم مافعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة * ومنهم من يجور فى وصيته ويحرم الوارث ويرى انه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى انه بالمرض وقد تعلقت حقوق الوارثين به * وباسناد عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من خان عند الوصية قذف فى الوباء» والوباء واد فى جهنم . وعن الاعمش عن

خيثمة قال : ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث آمره بأخذ المال من غير حقه وآمره بانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه

(فصل) وقد لبس ابليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غني فان أضاف الى هذا السؤال والاخذ من الناس فانما يستكثر من نار جهنم * اخبرنا ابن الحصين باسناده عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل منه أو يستكثر. وان لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئاً وكان مقصوده باظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رآى . وان كتم نعمة الله عنده يظهر عليه الفقر لئلا ينفق ففي ضمن بخله الشكوى من الله * وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا بادي الهيئة فقال « هل لك من مال قال . نعم » قال : فلتر نعمة الله عليك . وان كان فقيراً محقاً فالمستحب له كتمان الفقر واظهار التجمل فقد كان في السلف من يحمل مفتاحا يوهم أن له داراً ولا يبيت الا في المساجد

(فصل) ومن تلبيس ابليس على الفقراء انه يرى نفسه خيراً من الغني إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغني فيه. وهذا غلط وان الخيرية ليست بالوجود والعدم انما هي بامر وراء ذلك

(فصل) وقد لبس ابليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات وذلك اكثر اسباب هلاكهم * فمن ذلك انهم يقلدون الآباء والاسلاف في اعتقادهم على مانشأوا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ . ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية اسلافهم وكذلك المسلمون يجرون في صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى الرجل يعيش سنين يصلي على صورة مارأى الناس يصلون ولعله لايقيم الفاتحة ولا يدري ما الواجبات ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هواناً بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق في ذلك البلد . ثم

ترى أحدهم يركع قبل الامام ويسجد قبل الامام ولا يعلم انه اذا ركع قبله فقد خالفه في ركن فاذا رفع قبله فقد خالفه في ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الامام وقد بقي عليهم من التشهد الواجب شيء وذلك أمر لا يحمله الامام فتكون صلاته باطلة * وربما يترك أحدهم فريضة وزاد فى نافلة * وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب وربما كان فى يده خاتم قد حصر الاصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء الى ما تحته فلا يصح وضوءه وأما بيعهم وشراءهم فأكثر عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيها فى رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة * وقل أن يبيعوا شيئا الا وفيه غش ويغطيه عيب * والجلاء يغطى عيوب الذهب الردىء * حتى أن المرأة تضع الغزل فى الانداء وتنديه ليثقل وزنه * ومن جريانهم مع العادة ان أحدهم يتوانى فى صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام ويغتاب الناس وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر فى العادة لان فى العادة استبشاع الفطر ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيقول معى عشرون ديناراً لا أملك غيرها فان انفقتها ذهبت وأنا استأجر بها داراً وآكل أجرة الدار ظناً منه ان هذا الامر قريب * ومنهم من يرهن الدار على شيء ويؤدى الربا ويقول هذا موضع ضرورة وربما كانت له دار أخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ولكن يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو انه يستعمل الخزف مكان الصفر * ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الاكابر فقل أن ترى أحدا منهم يسافر أو يفصل ثوبا أو يحتجم الا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الكهان « فقال : ليسوا بشيء . فقالوا : يارسول الله انهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقاً . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة * وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من اتى عرافا فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة اربعين ليلة * وروى أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ». ومن جريانهم مع العادات كثرة الايمان الحانثة التى اكثرها ظهار وهم لايعلمون فاكثر قولهم فى الايمان حرام علىّ أن بعت . ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم ابسه فى وقت كالخطيب يوم الجمعة . ومن عاداتهم اهمال انكار المنكر حتى أن الرجل يرى اخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب . ومن عاداتهم أن يبنى الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه ازالته وقد اثم بكونه كان سبباً لاذى المسلمين . ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر وفيهم من اذا دخل بمئزر رمى به على فخذيه فيرى جوانب اليتيه ويسلم نفسه الى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لان العورة من السرة الى الركبة ثم ينظر هؤلاء الى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر . ومن عاداتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها الى أن تسقط مهرها ويظن الزوج انه قد تخلص بما قد أسقطته عنه * وقد يميل الرجل الى احدى زوجتيه دون الاخرى فيجور فى القسم متهاونا بذلك ظناً ان الامر فيه قريب * فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : من كانت له امرأتان يميل الى احديهما على الاخرى جاء يوم القيامة يجر احدى شقيه ساقطا أو مائلا » ومن عاداتهم اثبات الفلس عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس انه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يوسر ولا يؤدى حقاً . وفيهم من لايقوم من دكانه بحجة الفلس الا وقد جمع مالا من أموال

المعاملين فاضر به ينفقه فى مدة استئاره وعنده ان الامر فى ذلك قريب . ومما جروا فيه على العادات ان الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيرا من الزمان إما بالتثبط فى العمل أو بالبطالة أو باصلاح آلات العمل مثل أن يحد النجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة الا أن يكون ذلك يسيرا قد جرت العادة بمثله * وقد يفوت اكثرهم الصلاة ويقول أنا فى اجارة رجل ولا يدري ان أوقات الصلاة لاتدخل فى عقد الاجارة * وقلة نصحهم فى اعمالهم كثيرة ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالات ينبغي أن يكون وسطا * ويدفنون معه جملة من الثياب وهـذا حرام لانه اضاعة للمال ويقيمون النوح على الميت . وفى صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » . ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء * وفى الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية » . وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لابل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة . ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو سنة وربما لم يناموا هذه المدة فى سطح . ومن عادتهم زيارة المقابر فى ليلة النصف فى شعبان وايقاد النار عندها وأخذ تراب القبر المعظم * قال ابن عقيل . لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندى بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى الشرع عنه من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالالواح وكتب الرقاع فيها يامولاى افعل بى كذا وكذا وأخذ التراب تبركا . وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد فى هؤلاء

من يحقق مسألة في زكاة فيسأل عن حكم يلزمه. والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأمونية يوم الاربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلي. ولم يكن معها نياحة. ولم يعقد على أبيه ازجا بالجص والآجر ولم يشق ثوبه الى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه

(فصل) وأما تلبيس ابليس على النساء فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبيس ابليس عليهن. فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلي العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهي لا تعلم. وفيهن من تؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام. وقد تؤخر غسل الجنابة في الليل الى أن تطلع الشمس. فاذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر وتقول ما تدخل الي. الا القيمة. وربما قالت أنا وأختي وأمي وجاريتي وهن نساء مثلي فممن أستتر وهذا كله حرام. فان تأخير الغسل من غير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة ما بين سرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأمها الا أن تكون البنت صغيرة فاذا بلغت سبع سنين استترت واستترمنها وقد تصلي المرأة قاعدة وهي تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة. وقد تحتج بنجاسة في ثوبها من بول طفلها وهي تقدر على غسله. ولو أرادت الخروج الى الطريق تهيأت واستعارت وانما هان عندها أمر الصلاة. وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل. وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستهين به. قد تستهين المرأة باسقاط الحبل ولا تدري أنها اذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلما. وقد تستهين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فانه يجب عليها أن تتوب وتؤدي ديته الى ورثته وهي غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه أو عشر دية الام ولا ترث الام من ذلك شيئا ثم تعتق رقبة فان لم تجد

صامت شهرين متتابعين . وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادي وما بيننا هذا وتخرج بغير اذنه وتقول ما خرجت في معصية ولا تعلم أن خروجها بغير اذنه معصية . ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة . وفيهم من تلازم القبور وتحدلا على الزوج وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت الا على زوج أربعة أشهر وعشرا . ومنهم من يدعوها زوجها الى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية وهي منهية عنه لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح » أخرجاه في الصحيحين . وقد تفرط المرأة في مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئا الا أن يأذن لها أو تعلم رضاه . وقد تمطى من يخجم لها بالحصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام وقد تستجيز ثقب آذان الاطفال وهو حرام . فان أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ الصوفي وتصافحه فصارت من بنات المنبر فخرجت الى عجائب . وينبغي أن نكف عنان القلم اقتصارا على هذه النبذة فان هذا الامر يطول ولو بسطنا النبذة المذكورة في هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من رددنا عليه بالاحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات وانما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير وقد اقتنعنا في ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطي رده لان الامر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه

﴿ الباب الثالث عشر في ذكر تلبيس ابليس على جميع الناس بطول الأمل ﴾

قال المصنف رحمه الله : كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الاسلام فلا يزال ابليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل في النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوق العاصي بالتوبة فيعجل له غرضه من الشهوات ويمنيه

الانابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل

وكم عازم على الجد سوفه وكم ساع الى مقام فضيلة ثبطه . فلربما عزم الفقيه على اعادة درسه فقال استرح ساعة أو انتبه العابد في الليل يصلي فقال له عليك وقت . ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الامر الى طول الامل فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسويف والاعراض عن الامل فان المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير في خير . أو ميل الى شر طول الامل فان الانسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير الا أنه يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من أمل أن يمشي بالنهار سار سيرا فاترا ومن أمل أن يصبح عمل في الليل عملا ضعيفا ومن صور الموت عاجلا جد . وقد قال صلى الله عليه وسلم « صل صلاة مودع » وقال بعض السلف : أنذركم سوف فانها أكبر جنود ابليس . ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الامل كمثل قوم في سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبا للرحيل . وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهرا فضرب بوق الرحيل في الحال فاغتبط المحترز واعتبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس في الدنيا منهم المستعد المستيقظ فاذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فاذا كان في الطبع حب التواني وطول الامل ثم جاء ابليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة الا أنه من انتبه لنفسه علم أنه في صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فان فتر في الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كمينا ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا انه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين

« كلمة لمصححه وناشره »

﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ﴾

(والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن تمسك بهديه ووالاه)

أما بعد فيقول مصحح هذا الكتاب وناشره « محمد منير عبده أغا الدمشقي » قد تم بحول الله وتوفيقه طبع (كتاب تلبيس ابليس) لعالم الآفاق وواعظ العراق الامام الحافظ الكبير أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله وجعل الجنة مأواه

وقد بذلت جهدى فى تصحيحه ومراجعة أصوله وكان لدى حين شرعت فى طبعه نسختان خطيتان مختلفتا التاريخ

(١) للوجيه الفاضل الشيخ فوزان السابق نسخت سنة ١١٣٥

(٢) للسيد أمين أفندي الخانجى نسخت سنة ١٠٩٤

وكنت أجد أثناء المقابلة بعض ابواب مفقودة من احدى النسختين وتارة بعض جمل محذوفة فاثبت ذلك وأنبه عليه أحيانا لخفائه وتارة يظهر لى بعض أغلاط فى النسختين فاراجع مظانها وأصححها . وتارة تخفى فانبه عليها .

ولا أدعى انى أعطيت الروية حقها بل أجرى على القول المشهور مالا يدرك كله لا يترك كله *وبالجملة فان هذه النسخة خير من النسختين بكثير والله الموفق للصواب (اليه المرجع والمآب)

﴿ فهرست كتاب نقد العلم والعلماء ﴾

صحيفة

صحيفة

﴿تم الفهرست﴾